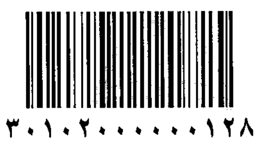
جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الافريقية



سلطنة البرنو الاسلامية حتى ظهور محمد الامين الكانمي

(رسالة ماجستير)

في

التاريخ الاسلامي

مقدمة من الطالب

عبد الفتاح حسنين مقلد بكر



اشراف

الاستاذ الدكتور/ حسن أحمد محمود

١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ

الفصل الرابع :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

يستمد هذا الموضوع الذى أتناوله بالدراسة أهميته فى عدة اعتبارات سياسية وتاريخية وحضارية . وذلك أن سلطنة برنو . التى قامت فى السودان الاوسط . كان لها دور هام فى نشر الاسلام فى تلك المنطقة . فقد كانت برنو . دارا تشبعت بروح الاسلام وطبعت بحضارته وتقاربت مع ثقافته العربية . وذلك لانها تربت فى حجر سلطنة كانم . السلطنة القديمة والام التى دخلها الاسلام فى القرن الحادى عشر الميلادى .

وكان لموقعها الجغرافى سببا فى جعلها حلقة اتصال بين البلاد العربية الاسلامية وبين الزنوج الافريقيين سكان الغابات الاستوائية . فقد أعطاها هذا الموقع الجغرافى ميزة فهى تقع فى منطقة السفانا التى تحف بها الصحراء الكبرى فى الشمال والغابات الاستوائية من الجنوب . فقد كانت تخترق الصحراء الكبرى . طرق صحراوية ربطت السلطنة ببلاد الشمال الافريقى المطلة على البحر المتوسط . وهى بلاد ذات حضارة اسلامية عريقة كذلك تقربها من منطقة الغابات الاستوائية . ساعدها على أن تقوم بدورها فى نشر الاسلام بين سكان هذه الغابات . ومن هنا كان سلطنة برنو استطاعت أن تتبوأ مكانة سياسية بين شعوب السودان . حتى أستحقت أن تكون استاذة الحضارة فى ذلك الجزء من القارة الافريقيـــة .

فاذا نظرنا الى الاعتبار السياسى . نجد تلك الصلات الوطيدة التى ربطت سلطنة برنو بمصر . وبلاد الشمال الافريقى . وغرب افريقيا والسودان . وما كان يسود هذه العلاقات من روح طيبة ووئام وأحيانا فترات من الفتور والقطيعـــة .

أما الاعتبار التاريخى فيتأتى من طبيعة الفترة التى أتناولها بالدراسة . تلك التى تبوأت فيها شعوب المنطقة مكانة سامية سواء فى الحيز السياسى والاقتصادى والحضارى

بوجه عام وكان الباعث لهذه النهضة ارتباطها بمصر وهى فى أزهى عصورها وفـى الفترة التى تقلدت فيها مصر قيادة العالم الاسلامى وزعامته .

أما الاعتبار الحضارى فهو ذلك التيار الحضارى الاسلامى العربـى الذى زحف على برنو من مصر وبلاد الشمال الافريقى . وطبع البلاد بالطابـع الاسلامى . وذلك من اثر انتقال العلماء المسلمين اليها واستقرارهم بهـا فترة من الزمن . وأثر قوافل الحجاج التى كانت تذهب كل عام الى الاراضـى المقدسـة فى الحجاز . وانتقال الكتب الدينية وخاصة التى تعالج المذهـب المالكى المذهب المنتشر فى البلاد من بغداد ومصر والحجاز والشمـال الافريقى الى هذه الديار .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على بعض المصادر العربية . والمراجع العربية والاجنبيه والتى بالاعتماد عليها استطعت أن أقدم هذا العمل العلمى المتواضـع .

وكانت المصادر العربية الاتية خير عون لى فى دراستى :

١ـ القلقشـندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا . حوى هذا الكتاب نماذج للمكاتبات التى كان يرسلها سلاطين مصر . لسلاطين برنـو والتى كانت يحتفظ بها ديوان الانشاء المصرى . وكذلك اورد نص رسالة من سلطان برنو الى السلطان المملوكى بالقاهرة . السلطان الظاهر برقوق

وقد ألقت هذه الرسالة الضوء على نوع العلاقة التى كانت بين مصر وتلـك البلاد وكيف كانت قوافل الحجاج تأتى كل عام وتمر بمصر فى طريقهـا الى الحجاز . وأن الرسالة المذكوره حملها ابن عم السلطان وهو فى طريقه

الى الحجـــــاز ، وأنه حمل الرد عليها وهو فى طريقه عودته الى بلاده .

٢ـ المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . وفيه يلقى الضوء على الـــدور الذى لعبه التجار الكاريمه والذين هم من كانم ــ برنو ــ فى اقتصاد مصـــره وكيف ساعـــدوا سلاطين مصر بالاموال فى اعداد الحملات العسكريه . وكيـــف آمن لهم السلاطين طريق القوافل .

٣ـ ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار : يبين لنا المؤلف . كيف قـــام أهل برنو ببناء مدرسة ابن رشيق بالقاهرة وذلك لكى يتلقى طلاب البرنـــو بهذه المدرسة العلوم الاسلامية والتفقه فى المذهب المالكى . وأيضا كيـــف قام السلطان العادل أخو صلاح الدين الايوبى ببناء فندق الكارم للتجـــار الكاريمه على شاطىء النيل فى بولاق وذلك لكى يستقر التجار بالقاهرة .

٤ـ محمد بيلـــو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور : وفيه يلقى الضوء على أحـــوال بلاد برنو الاسلامية وحالة المسلمين بها . ويعطى وضعا لبلادهم وعاداتهـــم ولكن صاحب الكتاب كان متأثرا بالصراع الدائر بين أهل برنو والفلاتة . ومـــن هنا فان المؤلف تجنى على أهل برنو بوصفهم بالكفر .

٥ـ ابن بطوطـــة : تحفه النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار : يشـــرح لنا كيف كانت القوافل تصل الى برنو باعداد كبيرة وكيف كان يحمل اليها النحاس من تكادا وعن سلطانها المسلم الذى لم يكن يكلم الناس الا من وراء حجـــاب ولا يظهر للشعب الا أيام العيدين . ويحدثنا عن الفتيـــات والعبيد اللـــتى كانت تصل من برنو الى بلاد الشمال الافريقى .

٦- ابن خلدون ألف كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر : يحدثنا عن أهل برنو وعن سلطانهم والعلاقات التي كانت تربط سلاطين كانم وبرنو بالسلاطين الحفصيين سلاطين تونس والهدايا المتبادلة بينهم . ومدى حرص سلاطين برنو على توثيق علاقاتهم بسلاطين تونس .

٧- السلاوي : الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى . وهو يشابه القلقشندى في الاحتفاظ بالرسائل المتبادلة بين سلاطين المغرب الاقصى وسلاطين برنو ويعطى مثالا على ذلك . الرسالة المتبادلة بين السلطان المنصور بالله العباسي سلطان المغرب والسلطان ادريس العرب سلطان برنو . وهذه الوثيقة تبين لنا مدى عمق العلاقات بين سلاطين برنو وسلاطين المغرب الاقصى .

وغير هذه المصادر المذكوره كثيرا من المصادر والمراجع العربية والاجنبيه اعتمدت عليها في اعداد هذه الرسالة . وإن كان من المراجع الاجنبية : بالمرفي كتابيه

1. The Bornu shara and sudan.
2. Sudanese memains

والذى قدم كثيرا من المعلومات عن سلاطين البلاد وتواريخ حكمهم وحروبهم مع اعداء برنو وكراشهم التى كانوا ينشرونها على الشعب . وجاءت بهما معلومات طيبة وقيمه .

وأيضا بارت :

Travels in North and central Africa.

وكان بارت قد قام برحله الى برنو وشاهد فيها مالم يشاهده احد من الرحالة والعلماء والاجانب واستطاع الحصول على عدد من المخطوطات من تاريخ برنو . ومن هنا فان كتابه حوى كثيرا من المعلومات القيمة وقد اعتمدت عليه كثيرا في هذه الرسالة .

وجاء بعد بالمر ، بارت ، أورفوى فى كتابيـــه

Histiave du l'empire du Bornu, Histiove des populations du centeal.

وأن كانا أورفوى قد اعتمد فى كتابيه على بارت وبالمر الى أنه قدم معلومات طيبة وقيمة عن برنو وشعبها وتاريخها .

ولكن كانّ للمصادر العربية الاصيلة الدور الرئيسى فى الالمام بجوانـب الموضوع ، اذ كانت هى العمود الفقرى للرسالة . ولقد تبين لى أن الكتاب والمؤرخين العرب كانوا اسبق من الكتاب الاوربيين فى اكتشاف هذه الاجزاء من القارة الافريقيـة وفى ارتيادها والكتابة عنها . وأن الكتابات الغربية أعتمدت على هذه المصادر عنـد الحديث عن برنو وغيرها من بلاد السودان الاوسط والغربى . وحتى الكتب الاجنبيـة التى تبسطت فى الكتابة عن برنو . أعتمدت مؤلفوها على مخطوطات عثروا عليها فـى برنو اثناء رحلاتهم اليها أو العمل بها بعد وقوعها تحت الاحتلال البريطانى .

الا أننى اقول هنا أن كل هذه المراجع لم تحاول أن تلقى ضوءً كافيا علـى نظام الحكم فى السلطنة ، ولا عن احوال الشعب وظروف معيشته ولا عن الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية . ومن هنا فقد جاء الفصل الثانى من الرسالة ولم يستوفـى حقه من حيث العمق وغزارة المادة .

وقد قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول . تناولتها كما يلى :

الفصل الاول : ظهور السلطنه الى حيز الوجود الافريقى . وما هى العوامـل التى ساعدت على ظهورها . وكيف مارست دورها بعد ذلك فى القارة الافريقية وما هى المراحل السياسية التى مرت بها . ومراحل قوتها وضعفها . والسلاطين الذين مارسوا دورا بارزا فى تاريخها وساعدوا على تقدمها وعظمتها وتفوقهـا فى القارة . وكيف أنتهت الاسرة السيفية على يد محمد الكانمى .

وتناولت في الفصل الثاني ـ نظام الحكم وبحثت فيه الاسس التي كان يقوم عليها الحكم في تلك الديار . وكيف كان السلطان والذي لقب بالماى على قمة الجهاز الحاكم في البلاد . يعاونه مجلس استشاري مكون من أثنى عشر شخصا يختارون من بين افراد الاسرة الحاكمة وقادة الجيش وطبقة القوم . وما هو دور المرأة في البلاط السلطاني . وبحثت أيضا النظام الادارى الذى كانت تسير عليه البلاد . والنظام الحربى . والجيش ودوره في توسيع رقعة البلاد وفي صد غارات الاعداء .

وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وهو علاقات برنو الخارجية بالدول ـ الاسلامية المجاورة . وقسم هذا الفصل الى ثلاث أقسام . علاقات سياسية ، وعلاقات أقتصادية . وعلاقات ثقافية . وكان تقسيم هذا الفصل على أساس العلاقات السياسية مع مصر وبلاد المغرب العربي . وغرب أفريقيا والسودان . وسرت على هذا التقسيم في العلاقات الاقتصادية والثقافية . وأوضحت الدور الذى أدته تلك العلاقات لبرنو وكيف كانت العلاقة والروابط بينها وبين تلك البلاد . وكيف ساعدت هذه العلاقات برنو على التقدم والرقى .

وجاء بعد ذلك الفصل الرابع والاخير في الرسالة وهو الاسلام والثقافة العربية . وبحثت في هذا الفصل كيف دخل الاسلام تلك الديار وما هو مدى انتشاره وأثره في شعب برنو وفي صنع حضارة البلاد بالصبغة الاسلامية العربية وكيف أثرت اللغة العربية في البلاد وحركة التعريب في دواوين الدولة ومؤسساتها . وما هو دور المعاهد التعليمية والمؤسسات الثقافية والمساجد والطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الاسلامية في برنو .

وفي النهاية اشيد بالدور العظيم الذى قام به استاذى الدكتور / حسن أحمد محمود وكيل كلية الاداب للدراسات العليا والبحوث . الذى تفضل على بالاشراف

على تلك الرسالة وكان لفضـــله وتوجيهاته أن خرجت هذه الرسالة الى حيـــز الوجود . وأشيد بدور وتوجيهات الدكتور / محمد محمد اسـين .

وأشكر السيد أمين جامعة القاهرة الاستاذ / محمد انور على تلك التسهيلات التى منحنى اياها . والساده موظفى مكتبة جامعة القاهرة والجمعية الجغرافيـــة والدراســات العربية . والدراســات الافريقيـــة .

والله الموفــــق

الفصل الاول

ظهور سلطنة برنو

تقع سلطنة برنو جنوب غرب بحيرة تشاد ، فى وادى متسع ذو تربة خصبة سوداء ، وتحصل على حاجتها من المياه من نهرى وابى waabe فى الشمال ومن نهر يدسرام Yedseram من الجنوب الشرقى ، ويعتمد السكان فى حياتهم الزراعية وأمورهم المعيشية على هذين النهرين ، والى الجنوب الغربى توجد وديان نهر لوجون وهضبة يوقشى وتنحدر هذه الوديان الى الغرب فى اتجاه كانو Kano [1] .

وقد أختلف الباحثون فى أصل تسمية برنو ، فيرى العرب أنها مأخوذة من برنوح ، لانهم يعتقدون أن سفينة نوح قد رست على هذه الارض وأنهم سموا التسمية هكذا " برنو " من أمراء كانم المطرودين من بلادهم ، والذين كانوا يقولون أنهم اصل بلاد نوح [2] ، ثم حذفت الحاء من " برنوح " وصار الاسم برنو [3] ، وغالبها من يرى أن كلمة برنو من اصل بربرى ، ويقول بهذا الرأى بوارت معتمد فى ذلك على التشابه بينهما وبين الكلمات بروش أى اصل برنو ، وبربر ، ويذكر أيضا أن الفلاته يقولون أن اصل برنو يرجع الى البربر ، وأن أهل أمارات الهوسا يطلقون على سكان

Urvoy, Y.: Histiroe du l'empire du Bornu. P.11. (1)

Carbou, H. : La regiou du Tchad et du Ouadai, Tome (٢)
2.P. 20.

(٣) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، ص ٤١١ .

بورنو ، اسم برى برى ، وأن ملوكهم ينحدرون من البربر التجوليين [1] ، وأن برنو بلد يسكنها قوم كثيرون منهم البربر والعرب والفلاته [2] ، فضلا عن شعوب اخرى ، منها قبائل التبو والتيدا ، التى كانت تسكن هضبة برنو ، والذين عرفوا بشدة البأس حتى أنهم فى القرن السادس عشر الميلادى ، كانوا عماد قوة برنو العسكرية [3]

وظهرت برنو على أنقاض دولة " الكانم " التى تقع شمال بحيرة تشاد وقد كانت هى المقر الاول للاسرة المالكة فى برنو ، وذلك لان اسلافهم كانوا قد اقاموا ملكهم العظيم فى تلك الديار واتخذوا لهم عاصمة اسمها بخيمى ، بلغت من الشهرة مبلغا عظيما فى بلاد الشرق والشمال الافريقى ووسع سلاطينهم حدود دولتهم ، التى بدأت تدخل مرحلة من الانهيار والضعف بعد موت السلطان ، دونامة دا بلمى فى عام ١٢٥٩ م [4] بسبب التنافس بين افراد الاسرة الحاكمة ، على تولى مقاليد الحكم فضلا عن احاطة الاعداء بها من الشرق والجنوب والمتربصين لحظة الضعف للتخلص من تفوقها ، أو القضاء عليها ففى جنوب الكانم كان يسكن شعب الصو [5] ، الذى عمل

---

(1) Barth, H.: Travels in north and central Africa, vol. 2. P. 26.

(٢) محمد بلو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، ص ٨ .

(٣) سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقية ، ترجمة يوسف خليل ، ص ١٣٥ .

(٤) Urvoy, Y.: Histiove des pepulations du Soudan central. P.322.

(٥) كان هذا الشعب قد هزم ، على يد الشعوب البيضاء التى جاءت الى بلاد السودان وكانوا يشكلون وحدة متماسكه ، وكونوا لهم مملكة قديمة ، وكان لهم نظامهم الاجتماعى والسياسى وأنهم بسطوا نفوذهم ، على بعض القبائل السودانية ، وأن اسلافهم قد أنشأوا القرى وكانت لهم حضارتهم .

Urvoy, Y.: Histiove du l'empive du Bownu. P.19.

على التخلص من سيطرة حكام الكانم ، ولذلك دخل في صراع معهم ، وبلغ من شدة الصراع بين شعب الصو وحكام الكانم ، أن لقي أربعة من سلاطين الكانم مصرعهم في ميدان القتال (١) وكان أول هؤلاء السلاطين السلطان سلما Selma بن عبد الله الذي ولي حكم الكانم في الفترة من ٧٤٧ – ٧٤٩هـ – ١٣٤٦ – ١٣٤٩ م (٢) وخلفه في الحكم أخوه السلطان كوري بن عبد الله الذي حكم لمدة عام واحد ٧٥١ هـ – ١٣٥٠ ثم لقي مصرعه في ميدان القتال أيضا ضد الصو ، وذلك في مدينة نجيلاوا Ngelawa (٣) ثم آلت أمور البلاد الى أخيه كوري الكبير ، الذي حكم هو الآخر سنة واحدة ، ٧٥٢ هـ – ١٣٥١ م ، ولقي مصرعه في نفس المكان الذي قتل فيه أخيه على يد شعب الصو (٤) وتولى السلطة وقيادة القوات من بعده أخوه محمد بن عبد الله الذي لم تطل مدة حكمه هو الآخر من سنة واحدة ، ٧٥٣ هـ – ١٣٥٢ م ، فقد هزم ولقي نفس المصير (٥) وكان لهذه الهزائم المتكررة على يد شعب الصو ، في فترة زمنية قصيرة ، وألق دليل على مدى ضعف الدولة من الأسباب التي مهدت لرحيل الأسرة الحاكمة الى برنو ، لكن شاء القدر أن يتولى أمور البلاد بعد ذلك السلطان ادريس بن ابراهيم ٧٥٤ – ٧٧٨ هـ – ١٣٥٣ – ١٣٧٦ م والذي أن كان قد استطاع أن يكسر

---

(١) Yver.: Encyclopedia of Islam, Art. Bornu. vol.1.P. 751.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P.585.

(٣) Ahmed ibn Fartua History of the first twelve Years of the reign of Mai Idris Alooma of Bornu. Trans. by Palmer.P.88

(٤) Palmer, R. The Bornu Sahara and Sudan. P. 42.

(٥) Barth, H. OP. Cit. P. 585.

شوكة شعب الصولو موقتا ، الا أنه واجه عدو آخر كان هو السبب الاساسي في رحيل الاسرة نهائيا من ـ كانم ـ الى برنو .

الصراع ضد البلالـه

البلاله شعب عرف بهذا الاسم ، نسبة الى أول زعيم لهم ، كان يدعا بـــلال أو Bilal بيلال[1] Emulel ، وأن كلمة البلاله تعنى فى لغة الطبو رق : الرجال الاحرار أو النبلاء[2] ، وهم ينحدرون فى نفس الفرع ، الذى انحدرت منه الاسرة القديمة الحاكمه لكانم ، أى من اصل مغومى[3] وقد نجحوا فى أقامة امبراطورية واسعـــة لهم حول بحيرة فترى ، أذ أقام لهم ابوهم "جل سكومى" بن دوناما ديلاى مركزا قويا على حدود البحيرة ، وسيطروا على عدة قبائل فى كوكو ، ثم ظهروا كقوة سياسية فـــى بداية القرن الرابع عشر الميلادى[4] وذلك عندما أسلموا ، وحمل سلطانهم لقب مـــلك الناس ، وأن كانوا يدعون انهم من اصل عربى ، وكانت لهم علاقات طيبة مع مصـــــر وسلاطينها المماليك[5] كما اختلطوا مع أولاد حميد ومع التبو ونتج عن اختلاطهم مـــع أولاد حميد معرفتهم باللغة العربية الى حد التحدث بها[6] وفى القرن الرابع عشـــــر

---

(١) Crabou, H.: OP. Cit P. 18.
(٢) Crabou, H.: OP. Cit, P. 11.
(٣)
(٤) يذكر ماكمايكل : أن هؤلاء البلاله الذين يعيشون فى المنطقة التى تقع بين بركـو Borku وإجرى أنهم ينحدرون من قبيلة الازد Azd . .
(٥) Macmochael, A.H.: A History of the Arabs in the Sudan, vol. 2. P. 185.
(٦) Urvoy, Y.: Histore du l'empive du Bornu.P. 50.
Crabou, H.: OP. Cit.PP. 293 - 294.
Crabou, H.: OP. Cit. P. 304.

للبلاد ، زادت قوة البلالة العسكرية ، وارتفعت مكانتهم السياسية في منطقة السودان الاوسط ولم يلبث أن استغلوا هذه القوة العسكرية ضد حكام كانم بسبب بينهم من خلافـــات (١) ، فقاد سلطانهم عبدالجليل قواته ضد الكانم فهب سلطان الكانـــم ادريس بن ابراهيم (٢) ٧٥٤ – ٧٧٨هـ – ١٣٥٣ – ١٣٧٦م لملاقاة العدو الزاحف من الشرق ، ويعد ادريس هذا من السلاطين الاقوياء ، الذين حكمـــوا كانم ، فقد سبق له أن تغلب على شعب الصو ، كما قاتل البلالة ، ولكنه لـــم يتمكن من احراز نصر حاسم عليهم (٣) .

ويدفع عبء المواجهة الحاسمة مع البلالة على أخي ادريس ، وهو داود بن نكالى (٧٧٩ – ٧٨٨هـ – ١٣٧٧ – ١٣٨٦م) ، ولكنه لم يستطع وقف زحفهم ، وانتهى الامر بطرده من العاصمة ، ولم يلبث أن قتل داود على يد السلطان عبدالجليـــل سلطان البلالة ، ولم يأت عام ١٣٨٠م الا وكان البلالة قد سيطروا على عاصمـــة الكانم واحتلوهـــا (٤) .

---

(١) Trimingham, J.S.: Ahistory of islam in west Arica P. 118.

(٢) قام بالحج الى الاراضي المقدسة في الحجاز ، ولا نعرف شيئا عن سنوات حكمه الا انه مات في دمشك ، وهي أحد المعاقل القوية التي كان يتحصـــن بها شعب الصو ، أو ربما يكون مما زاد في أهميتها انها المكان الذي مات فيه السلطان ادريس (Barth,H.: Op.it,P.586) وقد ذكره الرحالة ابـــن بطوطة ولقبه بملك برنو ، وقال ان النحاس يحمل من تكاوا الى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يوما من تكادا ، وأهلها مسلمون ولهم ملك اسمه ادريس ، لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب (ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائـــب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨)

(٣) عبدالرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٦٦ .

(٤) Murdock, G.P.: Africa, its people and theire culture history, 199.

ولكن عثمان بن داود (٧٨٩ ـ ٧٩٢ هـ ـ ١٣٨٧ ـ ١٣٩٠ م) نجح في تحقيق بعض الانتصارات على البلاله ، فأوقف زحفهم ، كما خلص العاصمة شهم ، وعاد اليها مع اسرته ، فزاد التفاف القبائل حولــــه (١) .

وعندما توفى عثمان بن داود ، ولى الحكم بعده عثمان بن ادريس ، والــذى لم تزد فترة حكمه عن عامين (٧٩٣ ـ ٧٩٤ هـ ـ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ م) وأصل خلالهما الجهاد ضد البلاله ، وولى الحكم بعده ابوبكر لياتو بن داود ، فــــى الوقت الذى أشتد فيه الصراع ضد هذا العدو ، ولم يدم حكمه ، الا تسعـــة شهور (٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٢ م) فقد قتل على يد البلاله (٢) ، فولى حكم البلاد عمر بن ادريس (٧٩٦ ـ ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ م) وهو آخر سلاطيـــن اسرة سيف من كانم ، فقد أضطر الى الالتجاء الى الاراضى التى تقع الى الجنـــوب من كانم ، والتى تحتلها المستنقعات فى اقليم الصو ، ولكن اضطر الى تغيير مقــر حكمه أمام مطاردات اعدائــــه .

ولما رأى السلطان عمر بن ادريس أنه لا قبل له بمواجهة البــلالة ، جمــع مجلســـه المشارك له فى الحكم ، وأنضم اليهم الامام الاكبر للبلاد والذى يتولــــى

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P 586.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 586.

مقاليد الامور الدينية ، وطلب المشورة فأجمعوا جميعا على ضرورة مغادرة هذا المكان ، بعد أن ذهبت ايام العظمه والقوة لاسرة سيف ، فى هذا المكان وانه لم يعد يطيب لهم فيها المقام ، وبناء على هذه النصيحة ، جمع السلطان عمر بن ادريس ، ما تبقى من قواته العسكرية وحشا شيته وشروته وأنتقل الى كاجا Kaga (١) وهى فى الاراضى الجنوبية التى رحل اليها السلطان مع أسرته ، وقد مات فى داماجا Damagia وهى من البلاد التى تقع فى أرض الجنوب أيضا ، وهكذا أجبر البلاله أسرة سيف على نقل عرش الملك الى برنو غرب بحيرة تشاد وقد أقام البلاله دولتهم بعد سيطرتهم على كانم (٢) .

أما القوم الذين التجأوا الى الجنوب ، فانهم وجدوا صعوبة فى العيش بين أنهار كوتوكو Kotoko ولوجون Logon ، ذلك لان بعض قبائل الكانو كانت تتنقل فى الاراضى الخصبة لنهر يو Yo على الجانب الغربى للبحيرة فى الاقليم الذى عرف فيما بعد باسم برنو .

---

(١) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2, P. 79.

(٢) هذه الدولة قد أخذت وأتسعت وزادت مواردها ، وانهم اداروا امورها من مقر حكمهم الاول ، حول بحيرة فترى ، وقد سعى السلطان عبد الجليل الى الحصول على تأييد مصر ، للاعتراف بشرعية حكمه للكانم ، وذلك لان مصر ، كان لها نفوذ سياسى قوى فى السودان الاوسط ، وأن نفوذها كان معترفا به فى تلك الجهات فى آواخر القرن الرابع عشر الميلادى ولكن هذه المحاولة للحصول على الاعتراف الرسمى والشرعى لحكمهم فى السلطنه المملوكيه فى مصر ولكنها لم تظفر بشئ ، (حامد عمار : علاقة مصر بالبلاد الافريقيه فى العصور الوسطى رسالة ماجستير ، القاهرة ص ٥٤)

وهناك دخلوا فى صراع جديد مع شعب الصو استمر فترة طويلة [١] ، وفى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، تم تحرك هذه القبائل واستقرارها وفرض سيطرتها على سكان البرنو ، بعد أن قدمت اعداد كبيرة من شعب الكانمو خلف الاسرة الحاكمة [٢] ، حيث عاشوا شعبا زراعيا ، وكانت حياتهم أكثر استقرار [٣] ومع مرور الزمن أصبحت دولة قوية ، غيرت الاحوال السياسية فى تلك المنطقة [٤] .

" استقرار الاسرة الحاكمة فى برنو "

تمتع شعب الكانمو فى موطنه الجديد باستقلال ، بعيدا عن سيطرة البلالة ، اذ نجح فى دفع قبائل الصو الى الجنوب [٥] واختلط الشعب الزاحف من الشمال مع بقايا سكان البدائيين ، الذين لم يتحركوا جنوبا ، وبهذا الاختلاط تكون شعب الكانورى ، وقد استخدمت هذه الكلمة وأطلقها الكانمو ، وتعنى هذه الكلمة فى اللغة العربية ، شعب النور ، أو وطن النور ، وتدل هذه الكلمة على أن شعب الكانمو ، هم الذين جاءوا بالاسلام الى تلك البلاد ، بعد أن كان سكانها شعب وثنى [٦] .

---

(١) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 118.

(٢) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 61.

(٣) Shinnie, M.: Ancient African Kindgoms, P. 70.

(٤) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa, P. 18.

(٥) Urvoy, Y. OP. Cit. P. 61.

(٦) Crabeu, H. OP. cit. P.P 14 - 20.

وقد تمسك شعب الكانمبو بتعاليم الاســـلام[1] • ووصل شعب الكانمبو الى موطنه الجديد • مع السلطان عمر بن ادريس • ثم بعد وفاته تولى أمورهـــم الملك سعيد • وقد حكم سنة واحدة • (٨٠١ هـ ـ ١٣٩٨ م) ولم تطلـــق عليه الوثائق التى حرطبها بارث أثناء رحلته الى برنو ـ لقب سلطان اسوة ـ بالسلاطين من الاسرة السفهيــة ولكن لقبه بلقب ملك • وفى عهده تخلص البلالـه من كل أثر للاسرة السابقة • فى الكانم • وأستمروا فى مطاردة • أسرة سيــف فى مقرها الجديد • بل أنهم استطاعوا قتل الملك سعيد [2] •

وتولى الحكم بعده السلطان قاضى أفنو بن[3] ادريس وقد حكم سنة واحـدة (٨٠٢ هـ ـ ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠ م) وفى هذه السنة قاتل البلاله • وسقـــط فى ميدان المعركة وهو يقاتل اعدائه وأعداء شعبه • فآلت الامور بعده الى السلطان بيرى بن ادريس • الذى حكم فترة تقدر بثلاثة وثلاثين سنة (٨٠٣ ـ ٨٣٥ هـ ـ ١٤٠٠ ـ ١٤٣٢ م) ولم يحدث طوال هذه الفترة أى اشتباك مع البلاله • ويبدو أنهم قد كفوا عن مهاجمة الاسرة المهاجرة الى وطنها الجديـد • ومع أنتهـــاء الخطر الخارجى بدأت الحروب المدنية والصراع بين افراد الاسرة المالكة • تمهد

---

(١) Cnobou, H, OP, Cit, P. 58.

(٢) Barth, H, OP. Cit.P. 587.

(٣) عرف باسم افنو • وذلك لانه يرجع الى اسم أمه • التى ربما كانت من أهـــل الهـــوسا •

للظهور ، فقد حدث نزاع بين السلطان برى (عثمان) وكاجاما Kaghamma محمد بن دلتو ، وقد مات السلطان برى فى مكان يسمى كانانتو Kenantu [1].

وتولى الحكم بعده عثمان كالناما Kalnama بن داود ، الذى حكم تسعة شهور (٨٣٦ هـ – ١٤٣٢ م) وقد خضع فى هذه الفترة القصيرة لنفوذ كاجاما نكالى بن ابراهيم ، واليها قاضى وعزل عن العرش وأضطر الى أن يلجأ الى الغرب حيث أستقر فى كانو ، أحدى امارات الهوسا ، وهناك مات ، بل من المحتمل أن يكون قد قتل [2].

وتولى امور البلاد بعده دوناما بن عمر ، الذى حكم عامين (٨٣٦ – ٨٣٨ هـ – ١٤٣٢ – ١٨٣٤ م) وقد قتل ودفن فى نجوما Ngyma [3].

وتولى امور البلاد بعد مقتله السلطان عبدالله ، أو ، الابن عمر وقد لقب باسم دكوميرى وحكم ثمانية اعوام ، (٨٣٨ – ٨٤٦ هـ – ١٤٣٥ – ١٤٤٢ م) وقد دخل فى صراع مع كاجاما عبدالله دجلوبى الذى أستطاع أن يخلعه عن العرش وأن يقيم بدلا منه ، أبراهيم أبن عثمان ، سلطانا على البلاد ، ولكن الاخير

---

(١) هذا المكان يقع فى أرض الجوكون وكان هؤلاء جنوب البرنو Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 89).

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

(٣) يبدو أن الاماكن هذه التى كان يقتل فيها السلاطين أو يدفنون فيها اسماء لمدن قد اندثرت وغير معروف مكانها حاليا ، وذلك لانها لاتظهر اسمائها على خرائط برنو (Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

توفى ، فاضطر الكاجاما ، أن يعيد عبدالله الى العرش مرة ثانية ، وقد مات في فاميلفا Famelfa (1).

آلت أمور البلاد من بعده الى ابراهيم بن عثمان ، وحكم ثمانية أعوام (٨٤٦ ـ ٨٥٤ هـ ـ ١٤٤٥ ـ ١٤٥٠ م) ولم يكن راضيا عن رجال البلاط السلطاني ولكن قد قتل على يد أخيه قاضى ، وآل الحكم بعد مقتله الى أخيه قاضى بن عثمان ، الذى حكم سنة واحدة ، ولكنه عزل عن العرش ، وتولى بدلا منه دوناما بن بيرى ، وقد حكم هذا أربعة سنوات (٨٥٥ـ ٨٥٩ هـ) ـ (١٤٥١ـ ١٤٥٥ م) وبعد وفاته تولى الحكم محمد بن ماتالا Matala وقد حكم خمسة شهور (٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) ، وتولى بعده السلطان ميرأو أمير Amer وقد حكم سنة واحدة ، (٨٦٠ هـ ـ ١٤٥٦ م) وقد كانت أمه أميرة من أميرات الاسرة الحاكمة في البلاد ، اذ كانت ابنة السلطان عثمان بن داود ، ومات في تارماتا (٢) .

وآلت امور البلاد بعد وفاته الى السلطان محمد بن قاضى ، وقد حكم اياما قليلة ، تعتبر أقصر فترة حكم فى تاريخ البلاد ، وكان سلطانا قاسيا ، فظا غليظ القلب ، بل أكثر من ذلك فانه كان دمويا يحب منظر الدماء ، ومات ودفن في

---

(١) Barth, H. OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth H.: OP. Cit. P. 586.

نيري كيوري Nuri - Kor - buri وتولى ادارة شئون البلاد

من بعده السلطان ، جهادى بن امالو ، وحكم خمس سنوات ٨٦١ ــ ٨٦٥هـ

(١٤٥٦ ــ ١٤٦١ م) ، وقد هزم فى معركة عسكرية كان يدافع فيها عن بلاده ،

ضد هجوم ، محمد بن عبدالله ملك البلالة [1] ، مما يدل على أن البلالـــه

بدأ مرحلة جديدة من الصراع ضد الاسرة الحاكمة فى برنو ، بعد هدوء استمر

نحو ستين عام ، ويبدو أن الذى دفع البلالة الى الهجوم على اراضى برنو ، أن

السلطان جهاد ، كان يعد العده لكى يقوم بحمل عسكرى ضدهم اذ عقد عـدة

اتفاقيات مع عرب واحة قوات ، لكى يستعين بهم ضد البلالـه [2] .

وتولى مقاليد الحكم فى البلاد ، بعده السلطان عثمان بن قاضى (٨٦٦ــ

٨٧٠هـ ــ ١٤٦١ ــ ١٤٦٦ م) والذى أمتاز بالصفات العلية والحميـد ،

فكان كريما عطوفا على شعبه كما كان حاكما قويا شجاعا ومع هذا فقد عزل عن العرش

بسبب الخلافات بين افراد الاسرة الحاكمه وقام بعزله على غازى الذى كانت له اليـد

العليا ، وأن كان لم يعرف السبب الحقيقى الذى ادى الى عزله ، ولم يتولى

على غازى مقاليد الحكم [3] وقد ذهب عثمان بن قاضى ، السلطان المخلوع بعـد

طرده من البلاد الى الشـرق حيث أستقر فى كردفان ، حيث تولى مقاليـد

---

(١) Barth, H., Op. Cit. P. 583.

(٢) Palmer, H., Op. Cit. P. 220.

(٣) Barth, H., Op. Cit. P. 588.

الحكم وسيطر على القبائل التي تسكن تلك الجهـــــات [1] .

وتولى بعده عمر بن عبدالله لمدة عام واحد (٨٧١ — ١٨٦٦ م) وكـان أختيارة عن طريق علي غازي ولم يتم اختياره عن طريق الامراء . وكان رجلا مستتـــا فظل يحكم في الظل . وكان سلطانا صوريا [2] ولكن في تلك الفترة أصبحت اليـــد العليا في توجيه الامور في البلاد . لامير يسمى . محمد بن محمد . والـــذى قام بقتل السلطـــان وتولى مقاليد الامور في البلاد [3] وقد حكم خمـــــة سنوات (٨٧٢ — ٨٧٦ هـ — ١٤٦٢ — ١٤٧١ م) كان أميرا قويـــا . مقداما . وهو آخر ملوك اسرة داود . وقد فر الى تيســق . وكان بعـــض أفراد اسرته قد فر الى كردفان . وجاء بعدهم بن ادريس . وكانوا محاربيـــن شجعانا ورجالا اشداء [4] قادوا البلاد الى بر الامان . واستطاعوا أن يدعمـــوا قوة برنو وأن يجعلوا منها أقوى دولة في السودان الاوسط الغربي .

---

(١) Pmaer, H.: OP. Cit. P. 220.

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P. 222.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 508.

(٤) Palmer, H.: OP. Cit. P. 222.

" أزدهار برنو فى عهد السلطان على غازى "

(١٤٧٢ ـ ١٥٠٤م)

قام السلطان على غازى ، بطرد السلطان محمد بن محمد ، من عرش البلاد ونصب نفسه ملكا ، على البلاد ، والسلطان على غازى اسمه الحقيقى ، على بن دوناما ولكنه لقب بعلى غازى وذلك نظرا للغزوات التى كان يقوم بها ، وقد حكم ثلاثة وثلاثون عاما (٨٧٧ ـ ٩٠٩هـ ـ ١٤٧٢ ـ ١٥٠٤م) وتمثل فترة حكمه فترة ازدهار واستقرار فى برنو ، أذ يمثل عهده نهاية الحروب المدنية والمشاحنات بين افراد الاسرة الحاكمة ونهاية لفرع من اسرة سيف ، وبداية لفرع آخر هو فرع ادريس الذى أستطاع أن يجعل اسم برنو ساطعا فى سماء بلاد السودان بعد أن مزقت الحروب المدنية السلطنة لفترة طويلة [1] ، وكان أول عمل قام به ، هو القضاء على نفوذ الرؤساء المحليين فى الاقاليم وأصحاب المناصب العليا ، أذ جعلهم لا يملكون حولا ولا قوة ، ولا يستطيعون اتخاذ اى قرار دون الرجوع اليه ، أذ بلغ من نفوذ هؤلاء الامراء ـ أمثال الامير كاجاما ، وأمير يرايما ـ أن تمكنوا من عزل السلاطين وتوليه سلاطين غيرهم ، وكانت لهم اليد العليا فى ادارة البلاد ، وكان القضاء على نفوذ هؤلاء الامراء بداية لاستقرار البلاد .

---

(١) Barth, H. : OP. Cit. P. 589.

كذلك عمل السلطان على غازى ، على انشاء عاصمة جديدة للبلاد ، تكــون
مقر السلطنة والادارة ، ومنها يمارس شئون الحكم والقيادة ، فحتى هذه الفتـــرة ،
لم تكن السلاطين برنو عاصمة سياسية ثابته ، فكان كل سلطان يتخذ لنفسه مقــرا (١)
وكان السكان ، يعيشون فى خيام فى الاراضى التى سيطروا عليها أو التى كانــوا
يمدون نفوذهم اليها ، على الرغم من أن نانجام Nanigham كانت مقـــر
السلاطين السابقين له (٢) ، وكانت العاصمة التى بناها ، هى برنى Birni
أونجازار جومو ، أو ، قصر ايجومو Ghasreggomo ، وكانــت
هذه العاصمة تحاط بسد ترابى ، ارتفاعه ٢٠ قدم ، وطوله ميل وثلاثة أرباع الميل ،
ويوجد بها قصر السلطان وهو قصر كبير وضخم وبها بعض المبانى المختلفة مـــن
الطوب الاحمر ، وهذه المبانى هى عبارة عن مساكن الامراء ، وعليه القوم ، ومقــر
ادارة شئون البلاد ، ولكن معظم المنازل كانت عبارة ، عن أكواخ من الطين أو ،
البوص ، وقليلا من أثارها ما زالت باقية ، وكان للمدينة خمس مداخل ، من خلال
السور ومن المحتمل أن تكون من بينهم بوابه عظيمه وهى التى تظهر كفجوة فــى
الحائط (٣) وظلت برنى ، مقر السلاطين وعاصمة البلاد ، للذين حكموا مـــن
بعده لمدة تزيد عن ثلاثمائة سنـــة ،

---

(١) Encyclopedia Britannica, Art. Kanem. vol. 13.P.205.

(٢) تقع هذه العاصمة على نهر واو Wau وهى على مسافة ثلاثة أيام من العاصمة الجديدة كوكو ، التى بناها الشيخ محمد الامين الكانمى

(٣) Hogben, J.: The Mahammaden emivtes of Nisevia: P. 37.
Shinnle, M.: OP. Cit. P. 72.

كذلك أقام السلطان علي غاجي نظاما إداريا قويا ، يعتبر نموذجا جديدا للاستقرار والاستيطان ، فساد البلاد ، الامن والطمأنينة ، والرخاء وزادت شهرة البلاد وامتد نفوذها فيها ، وأصبحوا بفضلها تحت نفوذ سنغاي وبسطوا نفوذهم على امارات الهوسا [1] ، وأرسلت له هذه الامارات الجزية السنوية ومن بين هذه الامارات ، امارة كانو [2].

وكانت للسلطان علي غاجي ، قوات عسكرية مؤلفة ، مما جعل الناس يلقبونه ، بالغازي أو المحارب أو القاهر [3] إذ بدأت ، برنو ، تستعيد قوتها ، وأصبح لها زمام المبادرة في بلاد السودان الاوسط والشرقي [4] من ذلك أن السلطان علي غاجي ، قام بغزو بلاد ، الكوارارافا (الجوكون) جنوب برنو [5] وكذلك نرى خلال الوثائق التي عثر عليها بارث ، نعلم أن السلطان علي ارسل حملات الى كوارارافا وهو أول ، سلطان من سلاطين الاسرة الحاكمة ، من قام بالتفكير في اعادة تلك البلاد من البلاد [6] ولذلك فانه طلب مساعدة سكان واحة فزان وساكنيها ضد البلاد وكان ذلك في عام ١٤٧٨ م [7].

كما عمل على رفع الكفاءة العسكرية لقواته بالحصول على الخيل ، لكي يستخدمها في حروبه ضد الاعداء ، فكان يبادل الخيل ، بالعبيد التي يحصل عليها من قواته ، مع تجار البربر القادمين من الشمال الافريقي والذين كانوا يحصلون على اعداد كبيرة من العبيد في مقابل الخيل العربية التي يحضرونها لبرنو ، وقد أدت على كسر قوة أسعار تلك الناس (٨) ـــــار

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٥٨ .
(٢) Trimingham, J.: Ahistory of islam in west Africa. P.121
(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 589.
(٤) Ahmed Ibn Fartua. OP. Cit. P. 2.
(٥) Trimingham,: OP. Cit. P. 122.
(٦) Crabon, C.P? Cit. P. 22.
(٧) Palmer, H.: OP. Cit. P. 224.

ليبيا على واستولت ونجح فى هزيمتها وضرب عاصمة كانتا وهى مدينة سورامى ولكنه لم يستطع أن يحطم قوتها نهائيا ، اذ أضطر الى العودة الى برنو ، هذا وقد قسم أن سلطان كبى " كانتا " يحشد قواته ، وحينما سار سلطان كبى خلف السلطان على ، والتقى معه فى معركة على حدود برنو الغربية ، استطاع نيبا كانتا ، بفضل أسلحة ادات سغناى ، أن يحرز نصرا ، على سلطان برنو الا أن هذا النصر لم يكن نصرا حاسما [٢] كذلك قام السلطان على بطرد الطوارق من ايرAir [٣] ولكن الهلاك الصد و القديم ، لبرنو التى كانت قد سيطرت على كانم ، كانت تقف عقبة فى سبيل التوسع البرنوى ، وقد عاصر السلطان على كارى ، الحاج ابراهيم ، اسكيا سغناى ، ولهذا ذكر صاحب كتاب القناعى " أن سلاطين الدنيا أربعة سلاطين ما خلا السلطان الاعظم صاحب استانبول ، سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان بـرنو ، وسلطان مـلى " [٤]

ومما يدل على عظمة برنو فى عهده ، ظهور برنو فى خرائط البرتغاليين ، التى رسموها لافريقيا فى عام ١٤٨٩ م [٥] .

---

(١) كانت امارة كبى ، أحد المقاطعات التى تخضع لنفوذ سلطنة سغناى ، ولكنها أستطاعت الحصول ، على استقلالها ، وأخذت فى التوسع ، وكانت تقع بين النيجر ونهر النيجر ، وكان يحكم هذه الامارة فى ذلك الوقت حاكم يدعى (Kanta) كانتا
Barth,H.: OP. Cit. P. 590.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

(٣) تقع اير شمال برنو ، وكان الطوارق سكانها يهددون طريق القوافل المؤدى الى برنو
Bovill, E.: the golden trade of moors, P. 104.

(٤) القلقشندى : محمود كعت : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان وأكابر الناس ، ص ٣٨ .

(٥) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

وفي عهده فان الامام عمر بن عثمان (ت ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م)[١] حاول أن يعلم افراد العائلة الملكية ، والامراء والاميرات ، وحكام الاقاليم ، التعاليم الدينية الاسلامية الصحيحة ، وتخليص الاسلام ، من بدع وخرافات الافريقيين ، ولهذا كان السلطان على يذهب كل يوم الى الشيخ ، عمر بن عثمان ، لكى يستمع اليه وهو يقرأ القرآن ويفسر آياته الكريمة وأيضا وهو يقرأ الاحاديث النبوية الشريفة ، ويلقى التواشيح الدينية ، وذلك بهدف الالمام بقسط وافر من تعاليم الاسلام ولهذا استجاب السلطان على للشيخ عمر ، عندما طلب منه تطبيق تعاليم الاسلام ، وأن يحتفظ فقط بأربع زوجات كحد أقصى وأن يترك جانبا زوجاته الاخريات ، كما عرفه الشيخ عمر ، أنه يمكن أن يحتفظ بأى عدد من الجوارى ، كما يشاء ، كما أستجاب لهذه التعاليم بعض الوزراء[٢] ، وفي عهد السلطان على ساد أنحاء السلطنة الاستقرار ، وعم الرخاء ، واستعاد عاصمة كانم التى كانت تخضع للبلالة ، ولكن سلاطين برنو كانوا يعتبرون كانم جزء من سلطنة البرنو رغم خضوعها لحكم البلالة ، كما عمل السلطان على غازى على نشر الاسلام ، وإقامة العدل بين رعيته ، والحكم وفق الشريعة الاسلامية[٣] .

---

(١) الشيخ عمر ماسامايا ، هاجر من توات الى برنو ، وأنه كان أحد الرجال الذين جاءوا من ايران أو العراق وأنه أحضر معه أفكاره الشرقية (Ahmed Ibn Fortua OP. Cit. P.5)

(٢) Trimingham, J.: OP. Cit. P. 122.

(٣) على ابوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا (رسالة دكتوراه) بآداب القاهرة ، ص ٣٢ .

استعادة الكانم من البلالة

تولى عرش سلطنة برنو ، بعد وفاة السلطان على غازى ، ابنه السلطـــان
ادريس الذى لقب باسم " كتاركامبى " (Katarkambi) وظل فى الحكـم
ثلاثة وعشرين سنة (٩١٠ - ٩٣٢ هـ - ١٥٠٤ - ١٥٢٦ م) وهو الابن القـوى
الشجاع للسلطان على [1] وذلك لانه فى عهد ادخلت برنو ، مركزا قويا وسادا بيـــن
دول السودان [2] فقد أهتم أهتماما خاصا بتقوية الجيش فعمل على تسليحه واستخدام
الخيول والدروع الواقية وذلك من أجل تحقيق حلم اسلافه فى أستعادة مقاطعة الكانم
من يد البلالة ولم يأت عام ١٥٠٧ م حتى أصبح الحلم حقيقة ، وذلك بانتصاره علـــى
أمير البلالة ، دونما بن عبد الجليل وفتح مدينة انجيمى ، العاصمة القديمة لامبراطورية
كانم ورنو ، كما استطاعت جيوشه المنتصرة أن تطرد البلالة نهائيا من بلاد الكانـــم
واعادتها الى حظيرة الامبراطورية ، بعد مائة واثنين وعشرين سنة ، من طرد السلطان
داود منها ، ولم أعاد مدينة انجيمى ، فقد بقيت العاصمة ، برنى ، التى بناهـــا
والده السلطان على غازى ، عاصمة الدولة الاولى ، فقد أصبحت انجيمى شبه مهجورة
ومن هذا التاريخ أصبحت كانم جزء فى أمبراطورية برنو بعد أن كانت مقاطعة برنو جــزء

---

(1) Barth, H.: Op. Cit. v.II P. 590.

(2) McEwan, J. M.: Afroca from the early time to 1800, 49.

في امبراطورية كانم [1] وكان السلطان ادريس قد وضع على عرش كانم السلطان دونما بن عبد الجليل ، واشترط عليه أن يدفع الجزية لبرنو ، وأن يخضع خضوعا نهائيا للادارة المركزية في العاصمة برنى . ولكن هذا مات دونما ، فتولى أمور كانم اخيه آدم بن عبد الجليل ولذلك عاد السلطان ادريس الى كانم مرة ثانية وقتل الامير آدم ، ويكشف كانم فـترة طويلة لعدم سيطرته عليها ، وقاد الحرب ضد أمارة كبى وسلطانها كانتا قوة عسكـرية قوية مرتوى الاقاليم الغربية في البلاد .

وبهذا الانتصار يعتبر السلطان ادريس ، من أقوى السلاطين الذين حكموا برنوا اذ لم يجرؤ أحد من السلاطين الذين سبقوه على التفكير في انتزاع تلك الاراضي السليبة من أيدي البلالة ، باستثناء والده السلطان على غازى [2] .

وفي عهد السلطان ادريس هذا اتساع مدينة برنى ، وعلت شهرتها ، وأصبحـت مركزا هاما للتجارة ، وخاصة لتجارة العبيد [3] وقام بالحج الى الاماكن المقدسـة في الحجاز ، وزار بيت الله الحرام وزوده بالتقوى والايمان القوى ، على يد الشيـخ عمر بن عثمان ، وكان السلطان ادريس يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـي حروبه التي كان يشنهـا ، لانه كان يقوم بها تنفيذا لاوامر الله ، ولذلك حصـلا

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٢

(٢) Oliver, R.: The dawn of African history, P. 63.

(٣) Hogben, S.J.: The Muhammadan emirates of Nigria P. 37.

بما جاء في القرآن الكريم من الجهاد في سبيل الله ومحاربة الكفار ، ولهذا حارب شعب السو الوثني ، الذين كانوا دائما يغيرون على بلاد المسلمين [1] وهاجمهم وقاتلهم [2] Kalama

وولي حكم برنو وكانم أبنه السلطان محمد بن ادريس (٩٣٢ – ٩٥١ هـ – ١٥٢٦ – ١٥٤٥ م) وقد حكم تسعة عشر عاما ، وسار على سياسة والده وكان سلطانا قويا وشجاعا ، نجح في كل الميادين ، وحقق نجاحا عسكريا ساحقا في الحروب التي خاضها ، وقام بقتل قاضي بن عبد الجليل في كانم ، والذي عمل على مهاجمة السلطان محمد بعد توليته عرش برنو ، بأربعين يوما فقط ، كما هاجم السلطان بمفرده قاتليا ، Kitaba ، وبذلك أخضع كانم للإدارة المباشرة [3].

كما حقق عدة انتصارات في الغرب ، فاستولى على الاقاليم التي إلى الشمال والغرب من كيبي ، كما خضعت له كثيرا من القبائل التي كانت تسكن هذه الاقاليم ، بل أكثر من ذلك فإن بعض هذه القبائل ادعت أن أصلها من برنو ، وهكذا حصل جيران برنو على كسب ودها ، بل وضع الجزية عليها/

وتولى ادارة شئون البلاد وحكمها ، بعد السلطان محمد ، أخوه علي بن ادريس ، والذي حكم سنة واحدة (٩٥٢ هـ – ١٥٤٥ م) وكان سلطانا عادلا لا

---

(١) Po lmer, H.: The Bornu shara and sudan, 227.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. f. 590.

(٤) Palmer, H.: OP. Cit. P. 228.

وبا ، وطغاياها عليها سجاطا ، ويعني في أبناء كانم مرتبطة ببرنو (1) ، وعرف السلطان
علي ، بأسم علي حارق البلالة ، وذلك لانه سار علي سياسة والده السلطان ادريس
وأخيه السلطان محمد ، في قتال عصب البلالة ، وكسر شوكته (2) ولذا فقد هزم
سلطان البلالة عبد الرحمن (١٥٣٠ - ١٥٥٤ م) واستطاع أن يأسر ثلاثة من
أبنائه ، وأخذهم معه الى العاصمة برنى ، بعد أن قاتلهم خمسة أيام ، كما
استطاع ان يشتت شمل البلالة حتى أن بعض أبناء السلطان عبد الرحمن ، أسروا
مع عصب البلالة الى الشمال وقد تزوج السلطان علي أميرة من البلالة وهي التي أنجبت
السلطان ادريس الوما وكان زواجه عام ١٥٤٥ م (3) ، ومات السلطان علي وهو
يقاتل البلالة في أرض الكانم ، بالقرب من العاصمة القديمة نجيمي .

آلت امور سلطنة برنو بعد مقتل السلطان علي دوناما بن محمد بن أدريس
الذي لقب باسم " جامامي Ghamammi " وحكم تسعة عشر سنة (١٥٢ -
٩٧١ هـ - ١٥٤٦ - ١٥٦٣ م) ، والذي هزم سلطان البلالة ، عبد الجليل
بن قاضي ، الذي ولي امور البلالة بعد السلطان عبد الرحمن (4) واستطاع السلطان
دوناما بن محمد ، أن يهزمه ، عندما حاول قائد البلالة عبد الجليل بن قاضي ،
مهاجمة برنو ، في بربروا Barboruma ، ولكن دوناما ، هزمه شر هزيمة بل وتعقبه

---

(1) Barth, H.: OP. Cit. vol IIIP. 592.

(2) Palmer, H.: OP. Cit. P. 250.

(3) Palmer, H.: Sudanese memoires. P. 1.

(4) Palmer, H.: OP. Cit. P. 2514

حتى كانم ، حيث هزمه مرة ثانية ، واستطاع أن يبعد عدد كبير من رجالات البلاط الفار من أرض كانم ، وبذلك استقرت كانم وظلت مرتبطة ببرنو ، ولم يفكر بعد ذلك أهل هذا الاقليم في القيام بأى عمل ضد برنو ، ولم يقلل من قيمة هذا العمل حدوث مجاعة كبيرة في عهده ، [1] ومات السلطان ، دوناما في عاصمته برني .

وفي سلطنة برنو بعد وفاة دوناما السلطان ، عبدالله (دالا) بن دوناما والذى حكم سبعة أعوام (٩٧٢ - ٩٧٨ هـ - ١٥٦٤ - ١٥٧٠م) فاشتهر الفيصد السلطان عبد الجليل الذى كان قد جاء إلى كانم ، والذى كان لا يزال يحكم في كانم ، وقام بالاغارة على برنو ، وصحب معه في هذه الغارة معظم أمرائه ورؤساء الاقاليم والمدن ، واستمر في الاغارة على برنو ، ليل نهار ، كما كان يفعل في عهد السلطان دوناما بن محمد ، ولم يقلع عن عادته في الاغارة على برنو ، حتى هزمه ، وهزمه أبناء عبدالله ، ولم يستطع البلالة وسلطانهم الجديد الدخول في معركة مع عصبة البرنو ، وسلطانه عبدالله ، بل استمروا في الاغارة على الحدود ، والسلب والنهب [2] كذلك قام السلطان عبدالله ، بعدة حملات ضد عصبة القيوى في الشمال

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 592.

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P.P. 252 - 253.

وعند الطوارق ، وكذلك ضد الاثنين في الجنوب (الكواررافا) والجوكن [1] . وفي عهد السلطان عبدالله هذا عمت قبائل الفلاته ، الاستقرار في الاقاليم الغربيـــة من برنو . كما حدثت مجاعة كبيرة في أيام حكمه وبات يعرف في كتابنا Ketaba [2]

برنو في أسمى عصور ازدهارهـــا :

ادريس الوما (١٥٧٠ ـ ١٦٠٢ م)

■■■■■■■■■■■■■■■■■■

١٥٧٠

انتقل عرش برنو بعد وفاة السلطان ، عبدالله بن دوناما ، الى أعظم سلاطيـــن برنو ، منذ تأسيسها ، ذلك هو السلطان ادريس بن علي بن أحمد بن عثمـــان بن الحاج ادريس ، الذي ينحدر من السلطان امي بن عبدالجليل ، أول سلطا ن أعتنق الديانة الاسلامية ، في تاريخ كانم ، من سلالة سيف بن ذي يزن من سلالـــة حمير [3] ويسمى ادريس أماسامي أمامي Amsami ، أو ، ادريس الوما ، نسبة الى المكان الذي دفن فيه وهو جزيرة الوما Alowma [4] ، ولعله أي ، ومما الواضح أن ألوما الرأي الذي قاله بارث ، غير سليم وأن الوما هي تصحيف لعلي فهو ادريس بن علـــي وقد ذكر بهذا الاسم ادريس ابو السلاوي [5] وأن الوما أي الجزيرة التي دفن فيها قـــد أخذت اسم الوما بعد دفنه فيها وليس قبل دفنه ، وقد حكم ثلاثة وثلاثون عامـــا

---

(١) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 74.

(٢) Barth, H. OP. Cit. P. 592.

(٣) Ahmed Ibn Fartua: Mai Idris a looma of Bornu. P.9.

(٤) Barth, H.: OP. Cit.: Vol.3. P. 592.

(٥) السلاوي ، أحمد خالد : الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى جـ٥ ، ص ١٠٥ .

(٩٧٩ـ ١٠١١هـ - ١٥٧١ـ ١٦٠٢م) وتعتبر فترة حكمه ، أهم فـترة في تاريخ البلاد ، ذلك أنه كان صبياً صغيراً عندما تولى العرش ، بعد فـترة من الاضطرابات ، كانت تسيطر فيها الأم الملكة " الماجيرا " عائشة كيلي ، على مقاليد الأمور ، منذ أواخر عهد السلطان عبدالله ، وذلك بحكم شخصيتها القوية [1] وبسطت نفوذها الواسع على برنو [2] توطئة لأن يتسلم ابنها ادريس أمور البلاد وهي في قمة الهدوء والاستقرار .

نشأ ادريس الوما على حب الحرب والشجاعة ، والانتصار بالاضافة الى العـدل والعطف في جانب آخر [3] فقد أقامت له والدته قصر عظيم ومسجد كبير [4] ، لكي يبعد ادريس بعيداً عن قرب العاصمة ومفاسدها ، ولكي يختلف عن ابن عم السلطان دوناما وابنه السلطان عبدالله [5] .

فكان القصر والمسجد يقعان على نهر " يو Yo " على بعد ١٥ ميل جنوب جامبارو Gambaroux وقد [illegible] خلال حكـم السلطان دوناما بن محمد والذي نجح هو وابنه في تولي عرش البلاد [6] .

---

(١) هذه الماجيرا ، هي ابنة السلطان محمد بن ادريس ، وهي التي نصبت السلطان ادريس ، على عرش البلاد وهي صغيرة السلطان العظيم ادريس كاتاجارمي الذي نجح في دخول كانم وكسر شوكة البلالة .

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P. 233.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 593.

(٤) شاهد بالمر اثارهما باقية اثناء تجواله في امارة برنو .

(٥) Palmer, H.: OP. Cit. P. 233.

(٦) Ahmed Ibn Fartua. OP. Cit. P. 63.

وقام السلطان ادريس بتأمين الطرق التجارية المؤدية الى الشمال ، وقام بعدة حروب ضد الوثنيين فحارب ، سلطان اماكا Amaka وحارب سلطان كانو في الجنوب كما حارب البربر في الشمال ، وشن عليهم النطاق ، ووصل في حملاته شمالا الى مدينة بلي Bulma وعسكر هناك عدة ايام (١) ، وقام السلطان ادريس الوما بتأدية فريضة الحج ، وفي طريق عودته الى سلطنة برنو عندما وصل الى ارض مراقه – يبدو انها كانت تقع شمال شرق برنو وانها اندثرت لانها لم تظهر في الخرائط – واثناء قتل كل السكان الوثنيين في هذه النواحي ، كما أمر جميع المحاربين الالتجاء بها (٢) .

وأحضر السلطان ادريس معه الاسلحة النارية بعد تأدية فريضة الحج ، ودرب ، عددا كبيرا من عبيده ، على استخدامها ، وبذلك ضمن السلطان التفوق العسكري في كافة المعارك التي يدخلها ضد ، أعدائه ، كما ضم الى جيشه بعض الجنود والضباط ، الاتراك والطرابلسيين ، ويقال انه اشتراهم من مصر في طريق عودته من الحج (٣).

عمل السلطان ، ادريس على وقف الحروب بين المسلمين ، والمصالحة بين القبائل ، وجعلهم أخوة ، في الله ، ودخل في حرب طويلة مع كل البلاد ، التي تجاور برنو سواء التي تقع شرقها وغربها ، أو جنوبها وشمالها .

---

(١) Ahmed ibn Furthua.: OP. Cit. P.P 10 – 11.

(٢) Ahmed ibn Furthua.: Ibid. P. 12.

(٣) ابراهيم بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم – برنو ، ص ٨٩ .

وأرغم الاهالي على أن يتبعوا اصول الدين ، وأن يتحلوا بالتسامح ، والاخاء ، وليس بالتفاخر والعداء [1] وبعد التنافس والتراشق ، وذلك لكي يحكم بينهما القاضي بالحق والقسط ، وأن يخافوا الله في اعمالهم [2] . كما أخضع قبائل السو ، وغزا قبائل البربر القاطنة في اير ، وتغلب عليها ، واستولى على اراضيها ، وما يقع في شمالها من اراضي البربر ، وبذلك فتح الطريق ، بينه وبين طرابلس ، ثم غزا قبائل الماغرا واخضعهم ، وأنتصر عليهم ، وقام باخضاع قبائل البلالة سبع مرات [3] وذلك لان السلطان عبد الجليل بن عبد الجليل ، قائد البلالة ، جاء لكي يقاتل السلطان ادريس وكان معه عدد قليل من الجنود ولكن في منتصف النهار ، انكسرت قوات الاعداء وفروا الى الشرق ، وتبعهم السلطان حتى أخضع لهم كل شيء [4] .

ثم بعد ذلك وجه عنايته صوب بلاد الهوسا ، فأرسل عدة حملات اليهــا تبحث في الاستيلاء على المنطقة الواقعة غرب برنو كلها ، حتى مدينة كانو ، وقد ارتاحت مملكة سنغاي ، لهذه الانتصارات ، ولولا أنها سقطت تحت ضربات الجيش المراكشي في عام ١٥٩١ م لقام صراع عنيف بينها وبين سلطنة برنو ، وذلك لان كل منهما كانت تسعى للسيطرة على بلاد الهوسا ، كما أخضع مختلف

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا : ص ٧٨ .

(٢) Ahmed ibn Farthua. OP. Cit. P. 13.

(٣) علي ابوبكر : نفس المرجع . ص ٣٤ .

(٤) Ahmed ibn Furtua.: OP. Cit. P. 56.

المعاصر في مملكتـــه . وذلك لانه كانت له الغلبـــة والتفوق بسبب قوة جيشـه الذي كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان وكانت هذه الاسلحة النارية التي يحصل عليها مجهولة في السودان الاوسط والغربي ولذلك كانـــت هيبته التي يحدثها في قتاله مع عدوه هي أن يقاتله بالسلاح الابيض والاسلحـــة المستخدمة في ذلك الوقت حتى اذا حمي وطيس القتال . أصدر الاوامر للجنـــود الحاملين للاسلحة النارية (البنادق) أن يطلقوها فيطلقوها . طلقة رجـــل واحد . فلا يسع العدو الا أن يولي دبره مذعورا . مدحورا . تاركا وراءه مئات من القتلى والجرحى [1] بالرغم من تهجمية عصبة النصر لبرنو . لقد أوجد السلطنة حتى قواهم السلطان ادريس بطردهم من حصونهم وقتل معظمهم [2] كذلك خضعت للسلطان ادريس القبائل العربية في الشرق والجنوب . ومن هؤلاء عرب الشوا [3] .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجـــع . ص ٣٤ .

(٢) Ahmed Ibn Fartuwa. Op. Cit. P. 54.

(٣) كان عرب الشوا يعيشون شرق برنو ويكونون جزء من سكانها ولكنهم كانوا موجودة وحدة عرقية هاجروا . من الشرق بعد فترة طويلة الى برنو . وان كانت لا توجد لدينا ادلة قوية عن الزمن الذي جاءوا فيه الى البلاد . قبل تولي السلطـــان ادريس لوما عرش البلاد وقد جاءوا بخطوات وئيدة . الى الاقاليم الشرقية من اقاليـــم الهمج . حتى وصلوا الى هذا المكان . في وطن برنو وذلك دون التحرك الى الغرب اكثر من ذلك . ولهم لهجة تختلف عن لهجة أهل المغرب . وانها تحوي كثيرا من مخارج النطق تقترب الى لهجة أهل الحجاز . ولا سيما في طريقـــة النطق . وان كثيرا من عاداتهم لاتزال تحتفظ بطابعها القديم وان هـــؤلاء الشوا . ينقسمون الى عدة بطون وأفرع . وكان عددهم يقدر بنحو ٢٠٠ الى ٢٥٠ الف نسمة في عهد زيارة بارث لبرنو وليس هناك شك في أن عرب الشوا . هـــم الذين سهلوا الاقامة للفلاته في برنو . وان كان الشوا في الشرق والفلاتـــة في الغرب وهناك كثيرا من القرى في برنو . يسكنها عرب الشوا مع الكانوري وقد سمح سلاطين برنو لعرب الشوا بالاحتفاظ Barth,H.: Op. Cit. P.P. 88 - 90 بشيوخهم وكان لهم شيخان يحكمانهم بأنفسهم وكانت هذه المشيخات تخضع للسلطـــان وكان لكل قبيلة شيخ تخضع له القبيلة وكان شيخ القبيلة مسئول عن كل شـــيء يتعلق بقبيلته (ابراهيم بن صالح : نفس المرجع . ص ٢٦٩ .) .

وشيد السلطان ادريس الوما ، كثيرا من المباني التي تشهد له بالعظمة والقدرة على تعمير العمران ، في أرجاء الامبراطورية ، فأمر ببناء ابوجة أبوابا للمدينة ووضع الحراس على كل باب وأقام بها مخازن واسطبلات للجنود ، وأمر كل الرؤساء ، بأن يبنوا منازلهم بالطوب الاحمر ، وأن يكون بها مكان يخصص للخيل ، كما قام ببناء المساجد من الطين والحجارة ، بعد أن كانت تبنى من البوص ، ورأى ضرورة الاهتمام بالمساجد والعناية بها وعلى ذلك أعاد بناء المساجد القديمة ، وشيد مساجد جديدة فسيحة وطينية (1) .

في المجال السياسي ، أصبحت برنو دولة هامة ونشطة ، في السودان الأوسط والشرقي ، وكانت هذه الفترة ، فترة توسعها ، وبسط نفوذها على أراضي واسعة ، ، فكانت تحدها من الشمال ، الامبراطورية العثمانية ، التي بسطت نفوذها على الشمال الافريقي منذ القرن السادس عشر الميلادي ، وذلك بعد أن مدت برنو نفوذها حتى جنوب فزان ، وشرقا الى وداي ، ولما كان الطوارق يهددون طريق القوافل الموصل الى فزان ويقومون بنهب القوافل ، فان السلطان ادريس كان يخشى ، أن يقوم الاتراك ببسط نفوذهم جنوبا وذلك باحتلال كوار ، وبلما ، ولذلك ليسيطروا على الطوارق ويأمن طريق القوافل (2) .

---

(1) Barth, H.: OP. Cit. P.P. 88 - 90.

(2) Barth, H.: OP. Cit. P. 234 - 235.

وكان لبرنو في عهد السلطان ادريس ، أهمية بارزة في نقل التجارة وعبر الطرق الصحراوية ، وعلى وجه الخصوص ، تصدير الرقيق واستيراد الخيول ، وقد زاد ذلك من ارتباطها مع الشمال الافريقي وكانت تجارة الرقيق تمد بمكاسب ضخمة للاســـــرة المالكة وبمصدر قوة للجيش السلطاني [1] .

وقد أمر السلطان ، ادريس ، بنقل الفلاحين من إقليم كولو Kulu في كانم ليستقروا في برنو وذلك ليقوموا بالزراعة ، فاستقروا في جنوب شرق البحيرة بالقرب من بحر الغزال ، كما رحل بعضهم بارادته ، ليستقر في ظل الطمأنينة والامـــان اللذين سادا الامبراطورية [2] واستطاع السلطان ادريس أن يواجه المشاكل الـــتي خلفها له سابقوه في الحكم ، وأن يقوي الامبراطوريه ، ويدعم مركزهـــا ، ومن أجـــل ذلك ، اتجه الى محاربة ، الذين هربوا من سيفه من سلاطين برنو ، وظلوا يملكـــون مساحة واسعة من الاراضي ويحتلون أماكن هامة ، مجاورة لبرنو والذين كانوا يقومـــون بقطع الطرق والاغارة على القوافل والاغارة على حدود برنو وقام السلطان ادريـــس بمهاجمـــة وطن هذه القبائـــل ، على نهر كيامدوجوبي

Kamadugu-wembe

---

(١) Hodgkin, T. Nigerian perspectives. P.P. 26 - 27

(٢) McEwan, J.H.t. Africa From the early times to 1800 P. 82.

بالقرب من عاصمتهم دماسك Damasak ، بمعسكرات كبيرة ومحصنـــة (1)
وضع فيها جزءاً كبيراً من جيشه ، ثم لم يلبث أن قام بهجوم كبير ، فدمر مزارعهم ومحاصيلهم
وأشجارهم وصمم على أن يستولي على عاصمتهم ، ونجح في ذلك الى حد أنه قتل وأســـر
جميع سكانها ، كما واجهت البلدان الصغيرة ، نفس المصير ، واضطر سكان دوجمتي
الى الفرار الى كانم ، كما هاجم سكان الغابات الكثيفة التي يسمـــــون Dughumti
اساكا التي تسكن بين جامورجو Gamurgu وماندرا ، فأسر زعمائهم ، كما عمـــل
على ضرب القبائل الوثنية بعضها ببعض ، وذلك بتأييد بعضها ثم التخلي عنها وتأييـــد
فريق آخر وهكذا تمت له السيطرة على كل القبائل الوثنية ، كما سيطر على ســـــكان
جزر بحيرة تشاد ، وأصبحت برنو كاملة السيادة وسيطر على كل الاراضي المجاورة (2) ،
ومن أجل زيادة السيطرة على جزر بحيرة تشاد ، فأنه أمر بتصنيع قوارب كبيرة ، كبيـــرة ،
بدلا منها كان يستخدمه السكان في عبور النهر (3) .

كان السكان يستخدمون قطعة خشب مجوفة ، وقد ركب ذلك النوع ابن فرطوه
عند عبوره النهر النيجر ، أو بدون تجديف ، وذلك لاستخدامها في عبور النهر ،
والوصول الى جزر البحيرة ولما رأى السلطان أن عبور النهر الى الاعداء يستغرق يومين
أو ثلاثة ايام ، فانه رأى أن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لعبور اعداد كبيرة مـــن
الجنود ، ومن هنا فانه أمر بصناعة قوارب كبيرة لكي يتم عبور الجنود باعداد كبيرة وفـــي
فترة قصيـــــرة (3) .

---

(1) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(2) Barth, H.: OP. Cit. vol. 3. P. 593.

(3) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2 P. 80.

كان السلطان ادريس رجل تقي ومتدين ، ولذلك بذل جهوده لتدعيم الاسلام وتعاليمه في نفوس مواطنيه وعمل على ان يكون الاسلام هو الديانة الرسمية للبلاد ، كما عمل على القضاء على البدع والخرافات [1] . وان كان افراد الشعب العادى لا زالوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم القديمة رغم اعتناقهم للدين الاسلامي [2] .

عمل السلطان ادريس على تشجيع شعبه في الذهاب الى الاراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ، ومن اجل ذلك بنى منازل لهم في مكة والمدينة ووقف العطايا ، كما احضر العلماء المسلمين من بلاد الشرق والشمال الافريقي وأسس المحاكم الاسلامية واستخدمها في التشريع بدلا من التقاليد الموروثة [3] .

ولم يكن للسلطان ادريس رغبة شديدة في توسيع رقعة مساحة الامبراطورية ، لذلك عمل على تأكيد السلام مع جيرانه واكتفى منهم بدفع الجزية من الاجزاء التي يسيطر عليها . كما كان يلقى الرعب في قلوبهم باستخدام القهر ، وبذلك ضمن سلامة الامبراطورية من الهجمات الخارجية ، ولكي يضمن بقاء هذه الاماكن تحت سيطرته ، فانه جمع عددا كبيرا من الخيل والجمال للقيام بالدوريات .

وقد جاء امير ماندارا السابق يطلب مساعدته ضد عمه الذي عزله من العرش فقام السلطان ادريس ، سار الى كاريا ثم الى ماندارا ، ولكن السلطان فر الى الجبال العالية التي تقع قرب المدينة واضطر السلطان ادريس أن يعود الى برنو ، دون ان يحقق اغراضه

(١) Triminghsm,J.S: A history of islam in west Africa P. 193.

(٢) Shinnie: M: OP. Cit. P. 74.

(٣) Shinne. M.: OP. Cit. P. 75.

ولكنه عاد في العام التالي وحول أحسن التجمعات العسكرية والقوات الكبيرة يعسكر تحت السور وأجبر سكان ماندرا على الاعتراف بالامير المخلوع والاعتراف بسيادته لانه الامير الشرعي وله حق العرش (1).

ولقد كانت الحروب التي خاضها ذلك البطل الافريقي ، سببا في رخاء برنو ، وخارجها أيضا سببا في نمو المدن البرنوية ، ونمو اقتصادها وزيادة حركة التجارة بها وقد مات هذا السلطان القوي في احدى الغزوات في الجنوب عام ١٦٠٣ م بعد أن طعنه احد الوثنيين بخنجر في صدره ، ودفن في الزا Alau[illegible] في [illegible] [illegible] (2) وبذلك طويت صفحة من صفحات تاريخ برنو كانت مليئة بالانتصارات والفتوحات .

ص ٧١

(1) Barth,H.: OP. Cit. P. 595.

(2) Barth,H.: ibid. P. 598.

(بعـــد السلطان ادريس الوما)

آلت أمور البلاد ، بعد مقتل السلطان ادريس ، الى ابنه الاكبر السلطان محمد بن ادريس ، الذى حكم ستة عشر عاما وسبعة اشهر (١٠١١ - ١٠٢٧ هـ - ١٦٠٢ - ١٦١٨ م) ولقب باسم محمد بوكالمارامى Bukalmarami . كان اميرا ممتازا ، طيبا ، ولكنه لم يكن مقاتلا ، فهزم فى أحدى المعارك الكبرى ، التى كان يقوم بها قوات برنو ضد البلالة وقتل فى مدينة دامسكى Damisiki فى كانم (1) .

ويبدو أن الدولة قد أخذت فى الضعف والانقسام ، والتدهور ، وأخذت الامور تسوء والاحوال لا تستقر (2) وهذا نتيجة لضعف السلاطين الذين لم يحتفظوا بمصالح البرنو ، ولم يكن لاى من هؤلاء السلاطين الذين تولوا العرش بعد السلطان ادريس شأن فى تصريف وادارة أمور السلطنة (3) حتى أن السلطان محمد بن ادريس لم يقم بأى عمل يذكر طوال مدة حكمه .

أما السلطان ابراهيم بن ادريس فقد حكم سبعة اعوام وسبعة أشهر (١٠٢٧ - ١٠٣٥ هـ - ١٦١٨ - ١٦٢٥ م) وقام بتأدية فريضة الحج فى

---

(1) Palmer, H.: OP. Cit. P. 244.

(2) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(3) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٨ .

(4) ~~Barth, H.: OP. Cit. 590.~~

عام ١٦٢٩ م [1] وأصبح بعد غادية فيهــــا الحج رجلا هديا ، وقال أن
الشيخ قد بلغ أنه ، سرقت جرة لسيدة عجوز ، فقالت العجوز أن هذا مــن
عمل أعمال السلطان ، ولما بلغ ذلك القول السلطان ، أمر بإحضار العجــوز
وعاقبها بالقول بأنه لا يستولى على أموال المسلمين بالقوة ، ولا يأخذ أمـــوال
الأرامل ، فلماذا تقول على أنى شرير ، فقالت له ، لأنك تقضى وقتك فـــى
اللعب والهزل ولا تؤدى الصلاة ولا تتبع الدين الحق ولولا فعلك هذا ،
لما ساد الشر السلطنة وسرقت جرتى منى ، ولو لم تقم بأداء واجبك لله فـــى
أرضه وتحكم بالعدل والشريعة فإن الوثنيين سوف يأخذون أرضنا هذه ، فسمــع
السلطان كلام السيدة العجوز ورجع الى حكم القرآن والشريعة الإسلامية فعمــم
الرخاء وساد العدل [2].

ودخل السلطان ابراهيم بن ادريس عشرة حروب كبيرة وبنى لــــه
فى العاصمة برنو قصر أججومو Ghasreggomo [3] .

وتلى بعده عرش برنو الحاج عمر بن ادريس الذى حكم تسعة عشر عامـــا
وتسعة أشهر (١٠٣٦ - ١٠٥٥ هـ ١٦٢٥ - ١٦٤٠ م) وعندمـــا
وصل الى العرش كان فى الستين ، وقد وفد الى برنو فى عهده بعض معلمــى
الفلاتة ينتمون الى الشيخ الفلاتى ولديد الذى استوطن كاتيرد شمال برنو [4] .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.
(٢) Palmer,H.: OP. Cit. P. 244.
(٣) Barth,H. : OP. Cit. P. 598.
(٤) وكانت هذه المدينة كواجهة لنشر الاسلام وقد تأسست فى عهد الماى عمر .

وكان منهم الشيخ الوالي بن الجبوري وقد قام بهداية الناس وتعليمهم الدين الاسلامي الصحيح الخالي من البدع والخرافات ، وقراءة القرآن ، وحثهم على الناس لاخذ التعاليم الدينية الاسلامية عنهما . وقد تاب على أيديهما بعض عمال السلطان برنو . وكان أمير البلاد وسلطانها السلطان عمر من بين هؤلاء التائبين [1] .

كان السلطان عمر يعاني من اعتلال في صحته وقد أستمر ذلك طوال فترة حكمه حتى أنه ترك العناية بصحته لابنته الاميرة فو سام Fusam . وماتت وهي في العاصمة برني [2] .

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور في بلاد التكرور ص ٦ ـ ٧ .

(٢) Palmer, H.: Op. Cit. P. 545.

(تدهور الاسرة في برنو)

ولي عرش برنو ، بعد وفاة الحاج عمر بن ادريس ، ابنه السلطان علي ، الذي حكم ، أربعين سنة (١٠٥٥ - ١٠٩٥ هـ - ١٦٤٥ - ١٦٨٤ م) وكان رجلا تقيا ، شجاعا وذكيا . قام بتأدية فريضة الحج ثلاث مرات في أعوام ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م ، و ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م ، و ١٠٧٢ هـ - ١٦٦٧ م) وهـــذا أن دل فانما يدل على مدى تمسكه بالاسلام (١) .

وعندما عاد السلطان علي من حجه الأخير ، فانه واجه ثورة عارمة في البلاد ولكنه تمكن من القضاء عليها وربما تكون هذه الثورة محاولة لخلعه من عرش البلاد . وقام بعدة حملات عسكرية ضد سلطان اير وذلك للهجوم على اغاديس .

وفي أثناء حكمه للبلاد كان قوة شعب الجوكو الوثنيين ، والذين كانوا يسكنون في اقليم جومبي Gombe جنوب برنو بدأت في الظهور (٢) وقد تركوا تأثيرا على مجرى الامور السياسية في برنو (٣) وكان سلاطين برنو قد عملوا على القيام بغزو الوثنيين الذين يسكنون جنوب برنو وحول خليج بنين وبذلك انتشر الاسلام بينهم ، وليس لصيــد

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Palmer,R.: OP. Cit. P. 246.

(٣) كان الفلاته وأهالي البرجا يطلقون على شعب الجوكن اسم الكوارارافا ، وأيضا اطلق عليهم شعب برنو في الماضي هذا الاسم عليهم ، وجاء ذلك في مخطوطاتهم وانهم من شعب الكانوري ، وجاءوا من الشرق من مصر او من مكة كما تذكر ذلك اساطيرهم (Meek,C.K.: A sudanese kingdom. P.P.16-22) وانهم تركوا وادي النيل حوالي ٦٠٠ م وهاجروا بعدئذ الى كردفان ثم الى بحيرة تشاد ثم الى اقليم ماندارا ثم جاءت قبائل طردتهم من هضاب ماندارا الى اقليمهم الحالي جنوبا P.P 71-72

Ahmad ibn Fartua, OP. Cit.

الرقيق كما ذكر هيجهام . وقد قتل السلطان ادريس الوما في احدى غزوات الجنوب في أرض شعب الجوكون .

وعندما ظهرت قوتهم فانهم اصبحوا ذو تأثير فعال في منطقة السودان الغربي حتى أن بعض امارات الهوسا . كانت تدفع لهم الجزية سنويا مثل . زاريا . وكانو . وكتسينا [1] .

وقاموا بحصار السلطان علي بن عمر في عاصمة برني من الجنوب . وقام الطوارق بحصار العاصمة من الشمال وحاصروا العاصمة لفترة طويلة . ولكن السلطان علي . نجح في الايقاع بين الفريقين فتقاتلا حتى تحطما قتالا شرساً . وكان ذلك لقدرة السلطان علي في ادارة الصراع بين أجل الاستيلاء على بلاده . وقد عد ذلك نصرا عظيما لـه وخلده احد شعراء برنو " دان ماريا " في قصيدة شعرية [2] .

ويبدو أنه بعد انتصار الطوارق على الجوكون فان السلطان علي استطاع أن يقتل من الجوكون الف قتيل . ويجرح الف ويأخذ معه الف أسير منهم [3] وهذا يدل على حنكته السياسية وقدرته العظيمة في الاحتفاظ ببلاده وإدارة شئونها . وفي عهده حدثت مجاعة عظيمة في البلاد . استمرت سبع سنوات وسميت مجاعة " دالا داما Dala-Dama " [4] .

ويبدو أن الامور قد ساءت في البلاد وأن هذه المجاعة أثرت في الشعب

---

(١) Crowder, M.: The story of Nigeria. P.P. 43 - 44

(٢) Hodgkin, T.: OP. Cit. P. 32.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 246.

(٤) Palmer, R.: ibid. P. 95.

كانوا عمالا وأدت الى عدم استقرار الامور في البلاد وهجر الاهالي الاراضي الزراعية وتركوها بدون فلاحة [١] .

وقد كان للحصار الذي فرضه الطوارق والجوكون على العاصمة من الاسباب القوية التي أدت الى حدوث تلك المجاعة والى عدم استقرار الامور في البلاد ومع هذا قام السلطان علي بحملة عسكرية ضد طوارق اير لرفع الروح المعنوية للشعب ولكي يثبت للطوارق كما أثبت للجوكون أن الامبراطورية ما زالت قوية ، لكن الحملة فشلت في تحقيق اغراضها [٢] .

بدأ الضعف والانحلال يدب في الامبراطورية القوية لكنها بقيت على هذه الحالة حتى القرن التاسع عشر الميلادي وكان اضطراب احوال العالم الاسلامي .. وتفرق شعوب السودان الغربي واضطراب الاحوال في المغرب العربي سببا في بقاء هذه الامبراطورية دون تمزق [٣] .

وترك السلطان علي بن عمر حكم البلاد لابنه ادريس بن علي منذ عام ١٦٨٠ ، وبذلك يكون حكمه الحقيقي للبلاد انتهى في هذه السنة وتوفي عام ١٦٨٤ م [٤] . ومات السلطان علي في هذا العام في ... ودفن في مدينة ماتان [٥] .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى السلطان ادريس بن علي وكان يحكم منذ عام ١٦٨٠ لكن التنصيب الرسمي لحكم البلاد لم يتم الا في عام ١٠٩٦ هـ ١٦٨٤ م

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Barth,H.: ibid. P. 598.

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٥٤ .

(٤) Palmer, H.: OP. Cit. P. 248.

(٥) تقع مدينة ماتان شمال شرق نجمى عاصمة كانم القديمة في الطريق الى بلما وتبعد عنها على مسافة ثمانية ايام من نجمى .

واستمر يحكم البلاد عشرين عاما ١١١٠ هـ - ١٢٠٤ م [1] ولم تذكر الوثائق التي عثر عليها أي شيء من أعماله وما جرى في البلاد في فترة حكمه الا أنه مات ودفن في قوان [2] .

وآلت امور البلاد بعد وفاته الى ابنه دوناما بن علي ، وحكم تسعة عشر عاما (١١١٥ - ١١٣٤ هـ - ١٢٠٤ - ١٢٢٢ م) وكان محاربا شجاعا وسلطانا عظيما ، ولم تذكر الوثائق عنه شيئا ، الا أنه حدثت في عهده مجاعة بالمدينة في العقد استمرت سبع سنوات عجاف ، ومات ودفن في أحد أحياء العاصمة بيرني [3]

وآلت امور البلاد الى ابنه السلطان حمدون الذي حكم اربعة عشر عاما (١١٣٥ - ١١٤٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٢٢٦ م) وامتازت فترة حكمه بالسلام ، وظهر التدين والورع بين عامة الشعب ، وكان سلطانا يحب العلم والعلماء ، والدراسة في كتب الفقه والدين ، والمداومة على قراءة القرآن وحده وأنه قام بتأدية فريضة الحج ، ومات في العاصمة بيرني ، ودفن في منزله بعد تأدية الصلاة عليه [4] .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى ابنه محمد بن حمدون ارجمــا Erghamma وحكم ستة عشر عاما (١١٤٩ - ١١٦٤ هـ - ١٢٣٢ - ١٧٥١ م)

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Palmer,R.: OP. Cit. P. 250.

(٣) Palmer,R.: Ibid P. 252.

(٤) Palmer,R.: Ibid P. 252.

قام بعدة حروب ضد كانو ، وفي آخر حرب معها ، حاصرها سبعة أشهر ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها [1] وفي عهده ساءت البلاد بسبب الفوضى ، فقد ترك ، الامراء والحكام ، أمور البلاد وأداروا ظهورهم وأقاموا في العاصمة يعيشون عيشة البذخ والرفاهية ، والامبراطورية تتمزق الى أجزاء صغيرة ولم يستطع السلطان ، أن يقاوم أي ضغط خارجي يقع على البلاد [2] حدثت في عهده مجاعة استمرت سنتين ، جعلت الشعب يئن تحت وطأة الفقر والجوع والحرمان ، ومات السلطان محمد ودفن في العاصمة برني .

وآلت أمور البلاد التي دمرها الى ابنه دوناما بن محمد ، وحكم سنتين وسبعة أشهر (١١٦٥ – ١١٦٨ هـ – ١٧٥٢ – ١٧٥٥ م) ولا نعرف شيئا من سنوات حكمه الا أنه حدثت مجاعة شديدة أتت على الاخضر واليابس ، وشاعت بين الاهالي حالة من الجوع والحرمان [3] ومات السلطان دوناما في العاصمة برني ودفن بها .

وتولى بعده حكم البلاد السلطان علي بن دوناما وحكم أربعين سنة (١١٦٨ – ١٢٠٧ هـ – ١٧٥٥ – ١٧٩٣ م) وكانت برنو في عهده قد وصلت الى مرحلة من الضعف والانهيار حتى أنها فقدت السيطرة على الطرق

---

(١) Palmer, H.: OP. Cit. P. 253.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 599.

(٣) Barth, H.: ibid . P. 599.

الطرق الصحراوية المؤدية الى الشمال بسبب ازدياد خطورة طوارق أير .

وفي عهده بدأت قوة الفلاته في الظهور وأصبحوا يشكلون خطرا على أمن برنو [1] كان السلطان علي سلطانا متدينا ورعا يخشى الله في كل أموره ويحب العلم والعلماء وكان أبا لثلاثمائة طفل (٣٠٠) وكان سلطانا مغوارا يتمتع بنوع خاص من الاقدام والجسارة وبعد وأنه أرسل حملات عسكرية الى اقليم ماندرا ولكن هذه الحملات لم تحقق الغرض الذي من أجله أعدت وأنه قام أيضا بعدة حملات ضد سكان بيدوى Bedde [2] ومن ثم بدأ سكان برنو يشعرون بالضعف الذي وصلت اليه امبراطوريتهم عندما هاجمها الفلاته . ذلك أن الجزء الاكبر من الجيش كان قد قتل على يد سكان ماندرا وسكان بيدى . ومات ودفن في العاصمة برني .

ويبدو أن خلفاءه قاموا بصفة الشيخ والضعف . فلم يستطيعوا أن يفسح المتمردين على أطراف الامبراطورية وتركوا الاهالي انفسهم فيها قطاع الطرق وعصابات اللصوص . فأهملوا الزراعة وفلاحة الارض وفتكت بهم الاوبئة والمجاعات . ودفع القدر بالسلطان أحمد بن علي ليتولى أمور البلاد فقد حكم سبعة عشر عاما (١٢٠٨ - ١٢٢٥ هـ = ١٧٩٣ - ١٨١٠ م) وكادت البلاد قد وصلت الى حالة من السوء والفوضى والاهمال [3] كان السلطان أحمد متعلما

---

(1) Trimingham, J.S.: A History of Islam in West Africa, P. 124.

(2) Barth, H. OP. Cit. P. 599.

(3) Barth, H.: Ibid. P. 599.

محبا للعلم والعلماء وكان له أصدقاء عديدين من العلماء ورجال الدين ، وعطوفا على الفقراء الا أنه لم يكن رجلا شجاعا يحب القتال والحرب ولذلك فانه لم يستطع أن ينقذ الامبراطورية من الخطر الذى يحيط بها ، بعد أن وصلت البلاد الى حالة من الانهيار والتمزق ، وزاد الحالة سوءا انتشار مرض الطاعون الدمرى ببرنو والذى حصد معه عددا كبيرا من سكان برنو واستمر ذلك المرض ثلاث سنوات [1] .

((الصراع ضد الفلاته))

استقر بعض الفلاته فى الاقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة وتجمعوا فى اقليم جوجبا Gojeba واستطاعوا أن يكونوا قوة عسكرية وحربية هائلة وخرجوا على سلطة السلطان احمد والدولة وقاموا بقتل الزعماء والرؤساء الذين كان يرسلهم السلطان احمد لحكم الاقاليم الغربية فى ذلك الوقت فظهرت حركة الزعيم الدينى الفلاتى عثمان ابن فوديو والذى وضع خطة للاستيلاء على امارات الهوسا الرئيسية ، تعيين الزعيم ماهر المختار وابراهيم زكى القلب ، ليقوموا بمهاجمة امارات الهوسا ولم يكد يصل أحد هؤلاء الزعماء الى مركز قيادته حتى انضمت اليه الجماعة المقيمة ، وشكل كل واحد منهم جيشا تواجد الايمان بالله وانه دافع عن العقيدة الاسلامية ونشرها .

---

(1) Barth, H.: OP. Cit. vol 3. P. 599.

ولما أحس أمير كانو ، وأمير كتسينا أن كل واحد منهما مهدد في عقر
داره بادر كل منهم بالكتابة الى سلطان برنو يستنجده ويستحثه على هؤلاء الغزاة
وذلك لانهما يدينان له بالولاء ويدفعان له الجزية السنوية .

ولما كانت برنو سلطنة اسلامية فهل يلبي سلطانها المسلم طلب الاميرين
محاصرة الشيخ على الاسلام ، في حين ان عدم اجابة طلبهما تعني تقلص نفوذ
سلطنة برنو [١] ومن هنا كان المشكلة التي واجهت السلطان احمد مشكلة سياسية
كما هي مشكلة دينية ، ولا شك أن السلطان اطال التفكير فيها قبل أن يأخذ
قراره النهائي ، ذلك لانه اعتبر نفسه حاميا لبلاد الهوسا وذلك جزاء ما كان يقدم
له من امرائها كجزية سنوية ، ورغم أن نفوذ برنو اخذ يتلاشى منذ أوائل القرن السابع عشر
على هذه الامارات الا انه كان لا يروقه ابدا أن يرى حركة دينية تحت زعامة غيره
لا سيما اذا كانت من شعب يعتبر شعبا طارئا في البلاد وهو شعب الفلاته [٢] .

وتحت تأثير هذين العاملين اصدر أوامره الى حكام المقاطعات الغربية من برنو
والمتاخمة لبلاد الهوسا باعداد العدة للدفاع عن الهوسا وبلغ الخبر الشيخ
عثمان ، فأصدر أوامره الى أتباعه بمهاجمة برنو وسلطانها لان مناصرة امراء الهوسا
من سلطان مسلم يعتبر ارتدادا عن الدين [٣] وقال عثمان أن سلطان

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ص ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٢) علي ابوبكر : نفس المرجع ص ٥٢ .
(٣) محمد بلو : نفس المرجع ، ص ١٣١ .

بورنو لهم مواطن يركنون اليها ويذبحون لها ، ويرقون الدماء على أســراب قرابينهم ولهم بيوت مخصصة فيها حيات وأفاعي يذبحون لها ، ويعملون للبحر كما كانــت تفعل القبائل المتوحشة أيام الجاهلية [1] .

قام جيش الفلاته بمهاجمة امارات بورنو الغربية وأنزل بقوات بورنو هزيمة منكســرة وطرد حكام الاقاليم من عواصمهم الاقليمية وكان ذلك في عام ١٨٠٨ ، وبذلك اصبح الطريق مفتوحا الى عاصمة بورنو وسار الجيش الفلاتي اليها واستطاعوا ان يحتلوها بعد معركة عنيفة تحت قيادة الماهر مختار وهرب السلطان احمد من البوابة الشرقية عندما دخل الفلاته المدينة من الناحية الغربية ، وكان ذلك في عام ١٢٢٤ هـ ـ ١٨٠٩م وذهب ليحكم من نوغادا وكان هذا المكان يحيط به الخطر من كل جانب ولهـذا فانه ارسل الى الفقيه محمد الامين الكانمي يطلب مساعدته [2] وذلك لانه كان يحارب عدوا قويا يتسلح بالعقيدة الاسلامية وانهم كانوا يقاتلون من اجل العقيدة بعد أن سيطروا على امارات الهوسا [3] .

وكان الماهر مختار لا زال يحكم في عاصمة بورنو ، فقام الشيخ الكانمي بطرده وطرد الفلاته وأجبرهم على العودة الى امارات الهوسا وترك بورنو ، وعندما عادوا هاجموا مرة أخرى فقاتلهم وأجبرهم على العودة ، ورغم انهم استولوا على جزء من البلاد الا أنهم لم يستطيعــوا أن يهزمــوا بورنو نهائيـــا [4] ولذلك

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، مرجع ص ١٠١ .

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 599.

(٣) عبد الرحمن زكي : جمهورية نيجيريا الجديدة ، مجلة المجلة ، عدد ٤٧ ، ص ٢٥ .

(٤) Bovill, E.W.: The golden Trade of Moors. P. 227

استطاعت برنو أن تنجح في وقف زحف الفلاني بدلاً من أن تنهار ، أو تخضع لهم وترتبط بامبراطوريتهم كما حدث لأقاليم الهوسا وغيرها من البلاد التي خضعت لهم وكما كان يتصور الفلاني بعد أن دخلوا العاصمة بأنهم سيطروا على برنو ، وذلك لأن شعب الكانمبو رفض أن يحكمه الفلاني أو أن يصبح احدهم مايا على برنو وبعد أن أعاد الكانمي الاسرة المالكة على عرش برنو [1] ، وبعد ذلك كان برنو قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والنهوض بفضل الجيش القوي بقيادة محمد الأمين الكانمي [2] .

وكان للخطوات التي اتخذها سلطان برنو والكانمي وأمراء الهوسا ضد الفلاني من العوامل التي ساعدت على طرد الفلاني وإنقاذ البلاد منهم ، رغم أنهم استمروا في القيام بالسلب والنهب وقطع الطرق [3] .

وكان للعرب فضل عظيم في مساعدة الكانمي في طرد الفلاني ، إذ أن عرب الشوا قدموا مساعدات عظيمة للكانمي ، مما كان له أكبر الاثر في الانتصار على الفلاني .

وصار الكانمي الحاكم الفعلي للبلاد ولكنه أبقى السلطان احمد على كرسي العرش ليحكم البلاد [4] وتوفي السلطان احمد بن علي ودفن في العاصمة برني عام ١٨١٠ وآلت الامور الى ابنه السلطان دوناما .

---

(١) Crowder,M.: The story of Nigeria. P.P. 88 - 89

(٢) Hodghin,T.: OP. Cit. P. 43.

(٣) Bovill,E.W.: Carvans of the old shara. P. 227.

Triningham.J.: The inflivence of islam open Africa (P.) 20

(((الفصل الثاني)))

نظام الحكم

أ- النظام السياسي في برنو

لقد مر النظام السياسي في برنو بعدة مراحل حتى استقر في صورته النهائية اذ كان نظام الحكم قبل أن تستتب الأمور في البلاد في مرحلة بدائية فالشعب يعيش على فطرته قبل أن يعتنق الاسلام ولم يكن الحكام قد اتخذوا العقيدة الاسلامية كيانا لهم . فان الشعب كان يقدس الملك ويعبده من دون الله ، وقبل ظهور الحكم الملكي فان الحكم كان بيد زعيم القبيلة البدوية ، ثم تطور حتى صار الملك يسمى به سلطان يأخذ بنظام الحكم القائم على الملكية الاقطاعية وان كان هذا النظام قد شابه بعض الغموض في بداية الأمر ، ولم يستقر ويكتمل في صورته النهائية الا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وظل مستمرا في برنو حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان السلطان يقوم بادارة شئون السلطنة وتنظيم أمورها (1) ذلك لأن السلطان كون حوله قاعدة ثابتة قوية من شعب الكانمبو ، وأخيرا شعب الكانوري في برنو ، والذين استقروا في هذه الأرض الواسعة ، وأنشأوا المدن وكونوا قبيلة واحدة ، (2)

---

(1) Lebeuf, A.: Les population du Tchad, P. 41.

(2) Trim ingham, J.S.: A History of islam in west Africa, N.P. P.P. 124 - 125.

وأنه أصبحت ذات حضارة ونظم سياسية . وكان السلاطين من بين هؤلاء القوم الذين عنصروا الحكم .(١)

وكان السلطان على رأس الجهاز السياسي في البلاد . وكان يلقب بالماي Mai وظل هذا اللقب مستعملا في برنو حتى أواسط القرن التاسع عشر . وانتهى بانتهاء حكم الأسرة السيفية والسلطان يتمتع بالحكم المطلق في البلاد فهو يجمع بين يديه السلطتين الروحية باعتباره أمير المؤمنين والسلطة الزمنية باعتباره الحاكم الأوحد في البلاد . وهو يسنده مجلس أسموها كيغما بغنا .(٢)

ووصل النظام السياسي في برنو إلى درجة من التقدم . لدرجة أن أثار دهشة الرحالة الذين زاروا برنو . وتعجبوا من وصول هذا المستوى السياسي في إحدى بلاد القارة الافريقية .

إذ لم يتصوروا أن يوجد هذا النظام الدقيق من توزيع السلطات والاختصاصات وأن هذا النظام أرقى بكثير مما في بلاد السودان الأخرى . بل وأنه يشبه من عدة وجوه النظام السياسي الذي كان سائدا في الدول الأوروبية في العصر الوسطى .(٣)

---

(١) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 125.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية . مادة برنو ٥٨٩ .

(٣) Denham and Clopperton,: Travels in Northerns and central Africa P. 325.

كان السلطان رأس الدولة ، الا انه كان يوزع بعض الاختصاصات والمسئولية في ادارة أمور الدولة بين أتباعه ومعاونيه (1) وكان البلاط الملكي يحفل بعدد كبير من الموظفين والضباط ورجال الادارة والذين كانوا يحتلون أمكنة جيدة في القيام بهذه الأعمال في ادارة شئون القصر كانوا يتحرون الدقة والأمانة والمسئولية التامة في هذه الأعمال (2) .

وكان السلطان ينتخب من بين أعضاء الأسرة السيفية الحاكمة للبلاد ، وكان الأخ ينجح أحيانا في تولي مسئولية السلطة في البلاد ويمنع ابن السلطان من تولي عرش السلطنة (3) وان الحكم لم يكن ينتقل من الاب الى ابنه الا في حالات قليلة ولديه القدرة في منع أحد الأعضاء الأسرة من اغتصاب العرش (4) ولكن الحكم انتقل في برنو من فرع الى فرع آخر في الأسرة السيفية ذلك أن السلطان علي غازي استطاع أن ينقل السلطنة من فرع داود الذي طرد البلاد من كانم الى فرع ادريس الذي هو منه (5) .

وكان يتم اختيار السلطان الذي يتولى الحكم في البلاد من بين أبناء السلطان السابق دون النظر الى القاعدة الوراثية بالنسبة للأكبر .. ويقوم الأسرة الحاكمة بعقد مؤتمر يتم فيه يجتمع

---

(1) Crăuder, M.: The story of Nigeria. P. 34.

(2) Lebeuf, A.: Les pepulations du chad. P. 42.

(3) Denham and Clapperton: Travels in Northern and central Afriea. P. 325.

(4) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ١٢٠

(5) Palmer, R.: The Bornu Sahara and Sudan P. 227.

اختيار ثلاثة أشخاص ، ويتم اختيار السلطان من بين هؤلاء الثلاثة ثم بعد ذلك يعلن اختياره رسميا سلطانا للبلاد عن طريق هذا المؤتمر [1] وجرت العادة عن اختيار السلطان فانه يرفع على ما يشبه المنصة العالية وذلك اعلانا باختياره سلطانا على البلاد وأميرا للمؤمنين ، وتلك العادة كانت موجودة عند الشعوب المجاورة لبرنو [2]

وان هذا النظام السياسي في حكم البلاد كان ملكي استبدادي والسلطان يجمع في يده كل السلطات شأنه شأن نظم الحكم القائمة في الامبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الأوسط والغربي ، سواء في عهدها الوثني أم في عهدها الاسلامي [3] .

واتخذ السلطان وأسرته بعد ارتقاؤا طبيعة عادتها البذخ والأبهة في كل العصور والفترات التي مرت بحياة السلاطين من الأسرة السيفية ، فالرحالة ليو الأفريقي (الحسن الوزان) الذى زار برنو في عهد السلطان على غازى يصف مدى الأبهة والعظمة التي عاش فيها ذلك السلطان . [4] يقول (ان السلطان لديه ثروة عظيمة من الذهب وحتى أطباق الأكل من الذهب والأدوات التي يستخدمها في المأكل والمشرب والأواني وأدوات المائدة وسلاسل كلابه كل هذه مصنوعة من الذهب الخالص .

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 27

(٢) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 424

(٣) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، صـ ٧٢

(٤) ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ، صـ ٨٢

وأنه لا يدفع ديونه للتجار من العبيد الا بالذهب.[1]

ويحدد القلقشندي من ملكهم فيقول (ان ملكهم على حضارة سلطانه ، وسعة مملكته في غاية لا تدرك من الكبرياء ، ويسع برأسه هنا ان السائح ضعف أجناده ، ولـه متحصل ببلاده ، لا يراه أحد الا في يوم العيدين بكرة وعند العصر أما في سائر السنة فلا يكلمه أحد ، ولو كان أميرا الا من وراء حجاب.[2])

وابن بطوطه يتحدث عن سلطان البرنو فيقول (ان لهم ملك اسمه ادريس وهو لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا في المناسبات ولا يكون ذلك الا من وراء حجاب.[3]) وعند ظهور الملك فان الطبول الملكية تدق ويعلو رنينها ويعلن القارعون ان القمر الجديد قد ظهر وارتفع وأن ملكنا الذى ارتفع الى السماء قد ظهر ومعه[4].

ورغم كل هذه المظاهر والاحتفالات بالسلطان فان الحكم في البلاد كان يطبق الشريعة الاسلامية في كل أمور الحياة[5].

ولم يكن السلطان في كل أدوار تاريخ برنو يحكم بمفرده وانما كانت الأمور تتغير بتغير الحياة السياسية اذ نجد السلطان على غازى الذى حكم ثلاثة وثلاثين عاما (١٤٧٢ ــ ١٥٠٤ م) ترك ادارة شئون البلاد وصرف

---

(١) Leo Africanus: A history and Discription of Africa. vol. 3. P. 831.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الانشا جـ ٥ ، ص ٢٨٠

(٣) ابن بطوطه: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٩٨

(٤) Meek, C.K. : Tribal studies in Northern Nigeria vol. 1, P. 494.

(٥) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام.

أمورها في بداية تولي حكمه للبلاد لرسو من أفاضل أهل مجلسه

ووزرائه وأسرته المالكة تحت حكم هؤلاء الأعوان له . طويلة وذلك

لانشغاله ببناء الجيش . ثم أنه اتخذ خطوة ايجابية فيما بعد .

تدل على مدى احساسه بتولي المسئولية كاملة وأنه لابد من تصريف أمور

البلاد بالحزم والقوة . تحقق من نفوذ أولئك الوزراء داخل

المجلس وأشرف بنفسه على ادارة البلاد وصرف شئون الدولة وقام

بتقسيم جذري في الدولة واستطاع بهذه السياسة أن يكسب ود الشعب

وعطف وصداقة الدول المجاورة. (1)

(((مساعدي السلطان)))

كان يعاون السلطان في تصريف أمور البلاد مجلس يطلق عليه

(اسم كوكنا) ويعرف أعضاؤه باسم كوكناوه (2) ويمثل هذا المجلس النظام

الارستقراطي في برنو ويضم هذا المجلس ولي العهد المنتظر (يرمة) وأعضاء

السلطان وأخوته وأقاربه ورؤساء القبائل والأشراف وقواد الجيش .

وكان هذا المجلس في أحيان كثيرة يتدخل حسب الظروف في ادارة شئون

البلاد .

وللسلطان حاشية كبيرة في خدمته وأعضاء عديدون وهؤلاء الأعضاء كانوا

في أوقات كثيرة يديرون شئون الامبراطورية نيابة عن السلطان

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس نفس المرجع . ص ٨٠

(2) Ahmed ibn Fartua Mai Idris of Bornu, P. 31.

اذ يبدو أن السلطان كان يترك ادارة السلطنة لبعض أبنائه في وزرائه ومستشاريه الذين يتكون منهم مجلس شورى السلطان . وقام هؤلاء من جانبهم بكل الواجبات . وأسدوا النصح للسلطان . ولم يخونوا الأمانة التي حملها لهم بل تفانوا في خدمة البلاد (١) .

ويذكر بارث أن مجلس السلطان يتكون من اثنى عشر شخصا وقد أطلق على هؤلاء الأعلام أو علية القوم ~~يتكون~~ (كانت) منهم القيادة السياسية للامبراطورية وأطلق عليهم أيضا الأعلام الكبار أو أرباب الدولة أو الأمراء (٢)

وهؤلاء الاثنى عشر الذين تطلق عليهم الألقاب هم كيغاما Kagghamma وهو القائد العسكرى للبلاد ويطلق عليه في تركيا كبير العسكر وتحت امرته قوات كبيرة ولهم نفوذ واسع في البلاد ويتمتع بسمعة طيبة لأنه هو الذى يقوم بقيادة القوات العسكرية للبلاد في حالة الهجوم عليها من الأعداء . أو القيام بغزو احدى البلاد المجاورة .

ويأتى بعده في المرتبة ويشاركه نفس النفوذ في المجلس وفى البلاد أيضا (Yerima وهو حاكم الاقليم يسمى (٣) Yeri [illegible] وهو الاقليم الشمالى

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس ، نفس المرجع ص ٨٩

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٣) يقع هذا الاقليم بين اسم البلاد المركزية يعنى واقليم مونيو Muniyo وأطلق عليه الاقليم الشمالى .

من الامبراطورية ويختار حاكم هذا الاقليم من بين افراد الاسرة الحاكمة ومن بين كبار فيهم الرأي والحزم . اذ أن مهمته كانت مراقبة الاقاليم الشمالية وصد غارات سكان الصحراء وضبط أمور الاقاليم الادارية والحربية والتجارية ولا يستطيع القادم الى برنو من الشمال أن يدخل هذا الاقليم دون استئذان من اليريما وذلك لكثرة هجوم الطوارق على الاجزاء الشمالية للبلاد [1] .

والشخصية الثالثة في مجلس شورى السلطان هو الجالاديما Galadima وهو حاكم اقليم جالادي [2] وكان له نفوذ واسع ايضا في المجلس ولدى السلطان اذ أن اقليمه كانت تمشي فيه قوات برنو لمهاجمة امارات الهوسا وكانت قوات الاقليم الغربي تشكل جزءا كبيرا في قوات برنو .

والشخصية الرابعة في المجلس هي شيروما Chiroma وهو لقب خاص بالوريث الشرعي للسلطان [3] وغالبا ما يكون ابن السلطان أو أخوه وكانت اراؤه وأقواله أحيانا كثيرة يأخذ بها في المجلس نظرا لان رأيه كان يأتي بعد رأي السلطان

---

(1) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 41.

(2) وهي مقاطعة كبيرة من مقاطعات برنو وتقع الى الغرب من البلاد وهي تجاور مقاطعة نجورو Ngozu .

(3) Barth, H.: OP. Cit. P. 591.

من الموالاة عليه .

ويشارك في المجلس أيضا حاكم العاصمة برني . وهذا الشخص لـه نفوذ في المجلس نظرا لانه حاكم العاصمة والمسئول عن أمورها وكان عليها لدى السلطان ويطلق عليه لقب "فوجوما" Fugoma .

ويشارك في المجلس شخصية يطلق عليها "ياجيما" وقد ساعدت ظروف البلاد أن يصبح هو الرجل الاول في البلاد . اذ أصبح وزيرا له أهميته في أثناء الحروب الداخلية التي سادت البلاد قبل أن يتولى السلطان على قاي حكم البلاد . وسنحت له الفرص أحيانا في عزل السلاطين عن العرش . الا أن بارث لم يستطع أن يحدد الاقليم الذي كان يحكمه ولا يوجد ادنى أرتباط بين اسمه وبين اقليم باجرمي الذي يخضع لبرنو في بعض الاوقات [1] .

ويكاد يكون هذا الشخص مسئولا عن ادارة الشرطة أو (الشؤون السرية للسلطـــان) ويأتي بعده الشخص السابع في مجلس الشورى ويطلق عليـــه "ستلوما" Sintelma وهذا اللقب له أرتباط باقليم كانم [2] وربمـــا أطلق على من كان يتولى ادارة اقليم كانم بعد خضوعه لبرنو . وظل هذا اللقـــب

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٢) Barth,H.: Ibid. P. 591.

هامًا في برنو لكن بمرور الزمن فقدت أهميته .

ويأتي بعده في المرتبة في المجلس الكاشيلا Kasaima وهو حاكم الاقليم الغربي للبلاد وهو الجزء الذي كان يجاور الكانم وكانت عليه مسئوليات كبيرة اذ أنه كان أول من يتلقى ضربات البلالا في الهجوم على برنو ومن هنا فقد حظيت مدينته بأحسن تحصين ووضعت تحت قيادته قوات عسكرية كبيرة (١)

وبعده يأتي الكاجيرتيما Kaghirtemma وهو حاكم أحد الاقاليم الشمالية لبرنو ثم الاريجوانا Alainoma وهو حاكم أحد الشمالية ولكنه اقليم صغير ثم المستريما mestrema وهو الشخصية الحادية عشر في المجلس وكان المسئول عن شئون الحريم في القصر السلطاني (٢) .

والشخص الثاني عشر في المجلس وهو الشخص الاخير هو يراما Yirama وليست له أدنى صلة بحاكم الاقليم الشمالي من البلاد بل أنه كان يخضع للشخص المسئول عن شئون حريم القصر السلطاني ولكن برز دوره في عهد السلطان ادريس اليما .

ومن خلال أعضاء المجلس برزت بعض الشخصيات التي اثرت في تاريخ برنو كالكاجاما . القائد العسكري للبلاد أصبح له دور هام في ادارة البلاد . اذ نجد

---

(١) Lebuef, A.: OP. Cit. P. 40.

(٢) Lebuef, A.: Ibid. P. 41.

الكاجاما ، محمد بن دلتو في عهد السلطان بيري بن ادريس (١٤٠٠ – ١٤٣٢ م) يدخل في صراع طويل مع السلطان وادى هذا الصراع الى سوء حالة الشعب في برنو .

واستطاع الكاجاما ، نكالي بن ابراهيم – في عهد السلطان عثمان بن داود (١٤٣٢م) وساعده ديريما قاشي ، أن يقوما بعزل السلطان عثمان وأجباره على التخلي عن العرش والفرار الى اقليم الهوسا وكذلك فان الكاجاما عبدالله ديجلما Dighelma عزل السلطان عبدالله بن عمر (١٤٣٥ – ١٤٤٥ م) ووضع بدلاً منه على عرش برنو السلطان ابراهيم بن عثمان(١) .

وهذه التنظيمات التي كانت قائمة في برنو ، ربما أخذت عن نظم الحكم السائدة في سنغاي وإمبراطورية الروم(٢) وكان هذا المجلس يمثل قوة حقيقية في ادارة شئون البلاد ولم يكن السلطان الا منفذ لاوامر المجلس وفي أحيانا ، اخرى كان هذا المجلس يشرف على تنفيذ اوامر السلطان . ذلك أن معظم اعضاءه كانوا من الاسرة المالكة ويحتلون في المجلس مدى الحياة . ولكن لما انقسمت الامبراطورية وضعت مصادرة ثروتها ، واشتد النضال بين هؤلاء . وتحول الى معارك حامية فاضطروا الى القتال من أجل المحافظة على حقوقهم

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth,H.: Ibid. P. 588.

بالرغم من أن تلك الحقوق كانت هبة من السلطان (١) ، على أن شخصية السلطان هي التي كانت تحدد للمجلس الذي يحاوره مدى قوة نفوذه أو ضعفها ، فأن كثيرا من السلاطين كان مضطرا أن يحكم وفقا لنصيحة أو مشورة المجلس ، الذي كان لبعض أفراده تأثير قوي على الجيش (٢) .

وفي أوقات الشدة أو تعرض البلاد لخطر ، أو حالة الطوارئ فان المجلس كان يعقد صباح كل يوم في القصر السلطاني وعلى كل أعضاء الاثنى عشر الحضور في الصباح الى القصر وكانت الاوامر أن يترك كل واحد منهم دوابه وأسلحته أمام باب القصر ، وإذا دقت الطبول وصدحت الموسيقى فذلك اشارة الى أن السلطان في طريقه الى دخول قاعة الاجتماعات بصحبة بعض أبنائه وأخوته وحرسه الخاص الذي يتكون من أربعين فارسا يكون منهم عشرون على يمين السلطان وعشرون على يساره (٣) .

ويدخل السلطان القاعة ويأخذ مكانه في الجلوس على العرش ، ويسرع أعضاء المجلس بأخذ أماكنهم في الجلوس حسب النظام المتفق عليه في الجلوس حول كرسي العرش ، فيجلس على الجانب الايمن للعرش أبناء السلطان وأخوته وعلى الجانب الايسر يجلس طبقة الكوكنا (٤) .

---

(١) عبدالرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٦٤ .

(٢) Oliver,R.: The dawn of Africa history,P. 63.

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٤) Hodgkin,: The Nigerian Pevestives. P.P. 290 - 291.

((دور المرأة في حكـــم البـــلاد))

كان للمرأة دور هام وبارز في الحياة السياسية في برنو وفي ادارة شئـــون البلاد . وبالاضافة الى أنه كان لها امتيازات كثيرة . فالماجيرا Magira . كان لها نفوذ عظيم في القصر السلطاني وفي توجيه امور البلاد ولها حقوق محددة فقد كان لها حق اقالة العمال في مختلف الاقاليم وفقا لهواهـــا تتدخل في التنظـــيم الداخلي للدولـــــة .

فالماجيرا عائشة كيلي أمه السلطان عبد الله دالا تولت العرش وحكمت البلاد لسبع سنوات (١٠٦٣ ـ ١٠٧٠ م [1]) وقد أمدتنا مراسلاته في مسجــــد القصر السلطاني ولا سيما صلاة الجمعة وسلمبرجال البلاط وخرجت للحرب فـــي خلال فترة حكمها وقادت جيوش البلاد وتبعتها الرجال [2] وهذه الفترة التي سبقت حكم السلطان ادريس ألوما حيث كان يقيم السلطان ادريس في بلاد البلالا لـدى جده السلطان عمر سلطان البلالا . وقد تولت رعاية ابنها ادريس حتى ظهوره ولاكنت صحيحا في تربيتـــه تربية دينية سليمة . بعيدة عن الملوثات . وبعثت له قصرا

---

(1) Urvoy,Y.: Histore d' empire du Bornu., P. 75.

(2) Palmer,R.: Sudanese memoires,P. 42.

وبعيـــدا بعيدا عن العاصمة ومفاسدها وأنها مارست نفوذها القوي خـــلال فترة حكمها البلاد وأنها كانت تمسك السلطة في البلاد بيد من حديد وهـــي التي هيأت الامور في البلاد لكي يتولى ابنها السلطان ادريس ألوما مركـــز قوي (١) .

وكانت الماجيرا عائشة كيلي طفلة تميزت بالحكمة والفطنة وبعد ابنها عنهـــا ذلك وهي التي أمرت بارسال بعثة هامة وسفارة الى طرابلس (٢) .

وأنها اتجهت الى توسيـــع التجارة مع البلدان الخارجيـــة ومن ذلـــك يتبين كيف استطاعت المرأة في برنو أن تسيطر على حكم البلاد طوال السبـــع سنوات التي قضتها في الحكـــم (٣) .

وليست هذه هي الشخصية النسائية الوحيدة التي ظهرت في تاريـــخ برنو . بل أن تاريخ برنو قد سجل لعدد من الملكات الوالدات اللاتـــي لعبن دورا هاما في تاريخ برنو ومنهن الملكة فاطمة والدة السلطان بيري . فانها لما سمعت أن سارقا قتل جزاء سرقته فلم يسعها الا أن تحمل ابنها السلطان المسئولية كاملة وخاطبته قائلة أما قال الله تعالى في كتابه العزيز السارق والسارقـة فاقطعوا ايديهما " وحاسبته حسابا عسيرا على قتله السارق وعلى جهلـــه

---

(١) Palmer, R.: The Birne stare and sudan. P. 232.

(٢) Barth, H. OP. Cit. P. 593.

(٣) الفاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط . ص ٤٢ .

بحكم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية وسجيته سنة كاملة ، وكان اذا اراد أن يأتي الى مجلس الامراء فانه يجلس داخل القفاء وهو أشبه بالقفص الحديدي وصار بعد ذلك جلوس السلطان داخل القفاء عادة اتبعها من بعده السلاطين (١) .

كذلك فان الزوجة الاولى للسلطان كانت تلعب دورا هاما في شئون البلاد لا يقل اهمية عن دور الملكة الام . وكانت الزوجة الاولى للسلطان تحمل لقب جمسو Gumsu (٢) .

ودورها لا ينكر في البلاط السلطاني . ولها نفوذ قوي حتى على السلطان نفسه وكانت أحيانا تتدخل في توجيه سياسة القصر والشئون الداخلية للبلاد . ويأتي بعدها في البلاط السلطاني من حيث الاهمية والنفوذ الماجرام Magram وهي المسئولة عن الاشراف على طعام السلطان وتقديمه له . ويصل بها الامر في بعض فترات تاريخ برنو أنها كانت تمنع السلطان من ممارسة أي عمل لا ترغبه هي . وهي التي تتولى الاشراف على تربية ابناء السلطان . الذين تتولى العناية بهم والاشراف على رعايتهم أحسن رعاية منذ ولادتهم (٣) . وعندما يكبرون فانهم يرسلون الى اجزاء مختلفة من السلطنة ولا يسمح لهم بالبقاء في العاصمة الا في حالات الطوارئ وتعرض البلاد للخطر .

---

(١) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٢٩ .

(٢) Ahmed ibn Fartua: OP. Cit. P, 81.

(٣) Hogben, S.J.: The Muhammadan emirates of Nigeria. P. 39.

« التقسيم الاداري في برنو »

وصل النظام الاداري في برنو الى درجة عالية من الرقي اذا ما قورن بالانظمة الادارية المتبعة في بلاد السودان الاخرى . ذلك أن هذا النظام كان يقوم على أساس النظم المركزية . وأن كان في بعض الاحيان يقوم السلطان بمنح بعض الصلاحيات لاحد افراد الحاشية التي تلتف حوله اذا كان مأمون الجانب أو لبقا معه . وأن كانت بعض المقاطعات تخضع لاسرة من الحكام ينتقل الحكم من وال الى آخر بالارث . وكان هؤلاء الحكام عند ما يلتمسون ضعفا من السلاطين في العاصمة المركزية فانهم ينفردون بحكم مقاطعتهم [1] .

وإن كان النشاط الاداري لبرنو ينصب على تحصيل الجزية . وكانت قوة الدولة العسكرية تنعكس على قوتها الادارية وقد رتبها على تحصيل الجزية . فان ضعف الدولة قلل التحصيل من الجزية . وهذا المجال الاداري الواسع لسلطنة برنو يتطلب من السلطان الاستبداد بالسلطة . والتحرك المستمر عبر البلاد والمقاطعات بصحبة جيشه للقضاء على الفتن فاذا تراخى وقته ساءت الاحوال الادارية للاقاليم وأن كان التقسيم الاداري للبلاد يعهد في حكم الولايات النائية ومناطق الاطراف الى فريق من النواب أو القواد . وقد يخولهم الحق في الطمع بامتلاك

---

(١) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ١٠٩ .

استقلال ولاياتهم عن الحكومة المركزية أو الثورة على السلطان .

في بعض الأحيان فانه يولى أهل الأقاليم حكم أقاليمهم فيؤسسون به وضعهم أميارا مستقل عن الدولة الأم . وكان توسع برنو في ضم الأراضي المجاورة يصحبه عليها بالضرورة كلما اتسعت رقعتها كلما تعرضت إلى السقوط واصابها الضعف وعرضها للتفكك والانهيار (١) .

ولكن يبدو أن برنو كانت دون سائر بلاد السودان من حيث القدرة الفائقة في تنظيم شئونها الادارية للأقاليم والسلطنة . ومع هذه الميزة ، مهارة ملحوظة في تدبير شئون البلاد الادارية والتجارية ولعل كل هذه [illegible] وضح أثرها في حياة برنو وتقدمها دون سائر امارات السودان الأوسط والغربي (٢) .

بل أن النظام الاداري في البلاد لم يكن جامدا ، بل أن برنو تطورت في نظمها الادارية واستفادت من خبرتها السياسية واحتكاكها ببلاد شمال افريقيا ومصر وسائر البلاد الاسلامية التي كانت ترتبط معها بروابط المودة .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٨ .

(٢) سر الختم [illegible] عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ، ص ١٩٣ .

وأصدقائه وبذلك فإنها استفادت من النظم التي لدى هذه الدول وساعد ذلك على وجود نظام إداري متقدم [1] .

وكانت القيادة الادارية يحوط بها الاشراف الذين يخدمون السلطان ويأتي بعدهم في المرتبة العمال الذين تولى منهم ادارة شئون الممالك . وبعضهم من الاحرار والبعض الآخر من العبيد . وبعضهم لا يتقاضون مرتبا ولكنهم يمنحون أرضا . ويولون بعض الاقاليم ليجمعوا منها ما يستطيعون جمعه من مال وعليهم أن يقدموا للسلطان هدايا سنوية [2] .

والعمال الذين كانوا يتولون ادارة الاقاليم منهم الفكه وهو الجلالة . وهو حاكم مدينة . فاركو في الوقت نفسه . والكمله وهو والي اقليم " بر " والك يعد وهو من أكبر أصحاب الالقاب ويناط به ادارة الاقاليم الغربية وكان حكام الاقاليم يساعدهم جيش قوي ومن حق هؤلاء الحكام ان يختاروا مختلف رؤساء القرى والقبائل .

ولضمان استمرار التأييد الكامل للسلطنة كان من الضروري خلق أمارات عسكرية ذات سلطان مطلق يربطها بمركز السلطنة اتصالات مستمرة وذلك لضمان السيطرة على أطراف الامبراطورية . كما كان من الضروري ضمان الولاء الكامل

---

(1) Lewis: Islam in tropical Africa P. 24.

(2) دائرة المعارف الاسلامية : مادة ديوسو ، ص ٥٨٤ .

للسلطان خوفا من تروه أى من هؤلاء الحكام الاقليميين فى الاستقلال بالاقليم عن السلطان مستقلا نيابته لــه (1) .

وكان الاسلام سببا فى التقدم الادارى فى البلاد اذ بانتشار الاسلام نمت المدارس الاسلامية والمعاهد العلمية . وظهرت طبقة متعلمة مثقفة تضم العلماء الذين استطاعوا تنظيم السلطنة على أكمل وجه واستطاعت هذه الطائفة المتعلمة أن تشيع الامن والنظام فى أرجاء السلطنة المختلفة .

على أن التقسيم الادارى للبلاد لم يكن ثابتا اذ جاءت أحوال كانت تستدعى أن يحدث تغيير فى هذا التقسيم ذلك أن الحدود لم تكن ثابتة لان السلاطين كانوا يبسطون نفوذهم على بعض القرى والقبائل ومن الطبيعى فان الموقف السياسى يفرض ضم هذه الاجزاء للدولة . وربما كانت هذه المناطق لا تخضع للادارة المباشرة . إذ أن السلاطين ابقوا على رؤسائها وجعلوهم مسئولين أمامهم (2) .

ومهما يكن من نجاح النظام فى برنو ، الا أنه من الصعب القول كيف كانت تدار دولة برنو ، لانه لم نعرف الكثير عن نظامها الادارية لانه لم توضع بين أيدينا الوثائق التى تبين النظام والتقسيم الادارى للبلاد التى كانت تسير عليه ، الا أنه يمكن القول أن البلاد كانت مقسمة أربعة أقسام وهى الاقليم الغربى

---

(1) Trimingham, J.S.: The history of islam in west Africa P. 124.

(2) Trimingham, J.S: Ibid. P. 125.

ويطلق عليه اسم فوتو Futo ويحكمه حاكم يلقب " جلادما " أي حاكم الاقليم الغربي واسمه اشتق من الاسم الغربي جلاده ، أو رئيس البوليس فـــي مصر (1) .

وظهرت من كتابات الرحالة الذين زاروا برنو في منتصف القرن التاسع عشر أن البلاد تعاني من ضعف قوتها الدفاعية وأنها لا تملك القوة العسكرية الكافية للدفاع عن البلاد ، وأن الوحيد في البلاد الذي يملك القوة العسكرية يضعها تحت امرته هو حاكم المقاطعات الغربية وأنه لا ن يشبه في كثير من الامور بالسلطان وله وضع متميز داخل مجلس الشورى دون سائر حكام الاقاليم الاخرى (2) .

والاقليم الشرقي جادن أو جيدي gidin تحت حكم الحاكم الذي يلقب باسم mastrema وتعني هذه الكلمة حاكم الزنوج أو حاكم المدينة القديمة في شرق برنو .

والاقليم الشمالي " يري " يطلق على حاكمه يريما ، وكانت هذه الكلمة تعني باللغة الكانورية عن ملك حاكم الشمال ، نظرا لانه كان يقوم بمجهود عظيم واضح في صد غارات الطوارق والاقليم الجنوبي " اتيم " يطلق على حاكمه " كاجاما " واتيم تعني الاقليم الجنوبية ، وهذا الاسم كان دائما يشار عليه في لغة الهوسا والكانوري (3) .

---

(1) Palmer,H.: The Bornu Shara and sudan. P. 199.

(2) Vischer,H.: Across the sahara from trops 11 to Bornu, P. 225

(3) Palmer,H.: The Bornu shara and sudan P.P. 160- 162.

وكل المناصب الادارية العليا كانت توزع بين حكام من العائلة المالكة الذين كانوا ينحدرون منها لولائهم . وكانت برنو كاحدى امبراطوريات السودان الغربـــي والاوسط تشتمل على نوعين من الاقســام . فالعاصمة برنى وإن كان لها محافــظ ، الا أنها كانت تحكم مباشرة من السلطان لانه كان يقوم بها جميع كل الادارات المركزية ثم الاقطاعيات الواسعة خارج نطاق العاصمة والتي تحكمها الرؤساء المحليين وكانـــت تدفع الجزية من الانتاج والعبيـــد .

الا أن بلاد الكانوري كانت تشتمل على مجموعات كثيرة من القبائل التي تحكـــم عن طريق شيخ القبيلة وقد بقي بعض الحكام والرؤساء حكاما لمقاطعاتهم وأحياءهـــا . كانت تضم اليهم اجزاء من الاراضي الجديدة المستولى عليها .

وكان هؤلاء الرؤساء المحليين ، يخضعون الى البلاط بناء على أوامر السلطان والمدن والقرى تحت رقابة ما يسمى بالالفــا Alifa (١) .

وحكام الاقاليم الاربعة العظام يرأسون كل المقاطعات والمدن والقرى كل فـــي حدوده . وانه من النادر أن يكون أحد هؤلاء الحكام الاربعة العظام من غيـــــر أبناء الاسرة المالكة في سلطنة برنو (٢) والذين كانوا يدفعون مع موارد أقاليمهـــم كل عام للسلطـــــان (٣) .

---

(١) Trimingham, J.S: A history of islam in west Africa P. 211.

(٢) Crowder, M.: The story of Nigeria. P. 35.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ص ٣٨٥ .

وكان للعرب مشيخات يحكمونها في برنو ، أو ما يعرف باسم الحكومات المحلية وكانت تخضع هذه المجموعات المحلية للعاصمة ، فلقد كان لكل قبيلة شيخ يحكمها ويدير شئونها ويكون حكم الشيـــخ مقصورا على قبيلته هذه ، الا أنه يمكن أن تضم المشيخة القبيلة التي يرأسها وحلفاؤها من جميع القبائل ، ويعتبر شيخ القبيلة مسئول عن كل شئ يتعلق بقبيلته ، فلا يستطيع أي شيخ أن يتدخل في أمر قبيلة لا يحكمها ، وكان الشيخ مسئولا عن حل المنازعات القبلية بأسلوبه الخاص ، كما أنه مسئول عن جمع الخراج والضرائب ، وما من قبيلة الا وتدفع خراجها وضرائبها لشيخها ثم أن هذا الشيخ مع وزرائه ومستشاريه يأخذون من ذلك المال ما يحتاجون أنه حقهم ويبعثون بالباقي الى سلطان برنو ، الذي تدين له البلاد بأسرهـــا بالسمع والطاعة (1) .

الا أن سلطان برنو كانت تتسامح مع العرب وخاصة عرب الشوا نظرا للـدور الذي لعبوه في مساعدة دولة برنو في حروبها وفي الانتصار على اعدائها وخاصـة البلالة والفلاتة والجوكون ، والى جانبهم مشيخة وحكومة شيخ العرب ، تختلف عن أية مشيخة أو حكومة أخرى لذلك كان من بينهم أصحاب الشورى ولا سيما شيخ العـرب

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع — ص ٢٦٩ .

في أمر من الأمور دون إشارة تصدر إليه من هيئة رجال مجلسه وهؤلاء الرجال يتمتعون بسلطات كبيرة داخل المناطق التي يسري إليها نفوذ شيخ العرب [1] .

وعندما بلغت برنو درجة من الضعف والانهيار فإن رؤساء باستثناء حاكم الإقليم النوبي ظلوا في العاصمة يحصلون على الضرائب . وترك الضباط الذين كانوا معينين لحماية الحدود عملهم وتفرغوا لحماية البلاد من اللصوص [2] .

أيضا فإن العلاقات بين الحكومة المركزية في العاصمة وحكام الأقاليم لم تكن دائما على خير وفاق إذ نجد أن حكام الأقاليم كانوا أحيانا يدخلون في صراع ونزاع طويل مع السلطان من أجل دفع الضرائب والهدايا والإمدادات التي كان يجب على كل حاكم إقليم أن يقدمها للسلطان في حالة الحرب [3] .

وكانت أسوأ فترة في العلاقات بين السلاطين وحكام الأقاليم ذلك الذي حدث في عهد السلطان إبراهيم الذي ولي أمور البلاد في آخر عهد الأسرة السيفية . فقد كانت العلاقة بين حكام الأقاليم والحكومة المركزية تكاد تكون مقطوعة نهائيا . ذلك لأنه كان على حكام الأقاليم المختلفة أن يدفعوا جزية أو عبيدا للسلطان والذين كانوا يحصلون عليهم من القبائل المجاورة .

---

(١) إبراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

(٢) Trimingham, J.S: Op. Cit. P. 210.

(٣) عبد الرحمن زكي : الجيوش الإسلامية ، ص ١٠٦ .

كذلك كان بعض الحكام كانوا شبه مستقلين عن الحكومة المركزية مثل حكام "كوتوكو" وكوجـــــين .

ولكن السلطان كان يقوم في بعض الاحيان بخلع الولاة في الاقاليم رغم أن الحكم كان فيها وراثيا في اسرة معينة ، ويعين حكاما جددا بدلا منهم ، اذا لمس منهـــم عملا قد يؤدي الى سوء الادارة بالاقليم أو رغبة في الاستقلال عن الحكومة المركزيـــة في برنو العاصمة ، أو لا يسير وفق السياسة التي يرسمها السلطان .

ولم يكن لهؤلاء فترة زمنية يتركون بعدها الحكم ، وكان لكل مقاطعة جيشها الخاص وقوات الامن التي تخضع لحاكم الاقليم ، وكان يقودها بنفسه في حالة الحرب وأيضا عليه أن يقدم الحبوب والذخائر والاموال التي تطلب منه في حالة كون الدولة في حالة حـــرب مع الاعداء ، وعلى حكام الاقاليم أن يلبوا مطالب السلطان في اعداد اقصى امكانياتهـــم للحـــرب .

وكانت قوة السلطان تظهر في قدرته على تسيير الامور الادارية والتنظيميـــة للبلاد على أحسن وجه وعلى رضى الشعب وحكام الاقاليم عن حكمه [1] .

---

(١) نعيم قداح . أفريقية الغربية في ظل الاسلام ، ص ١١١ .

النظـــام المالـــي

ليس هناك شك في أن سلطنة برنو كان لها نظام مالي متقدم ، تقوم على أساسه ادارة شئون البلاد . وأن هذا النظام المالي كان يسير وفق نظـــام دقيق وإشراف مباشر من السلطان على بيت المال وأحيانا يوكل أحد أبنائه أو اخوته للاشـــراف على موارد الدولة المالية وإنفاقها مما لا شك فيه أن هذا النظام كانـــت له سجلاته الخاصة ووثائقه المحددة . لكن تدمير الشيخ عمر ابن محمد الامين الكانمي وحرقه وثائق الاسرة السيفية حال دون معرفة النظام الذي كانت تسير عليه البـــلاد (١) .

وكانت الضرائب والجزية هي المصدران الاساسيان لموارد الدولة الماليـة والتي كان يقوم رؤساء القبائل والقرى بفرضها على المراعي والمزارع والتي كـان يدفع جزء منها الى مندوب السلطان وكانت هذه الضرائب تصل الى خزينة الدولة ، وكانت الاقاليم البعيـدة الداخلة تحت سيطرة الدولة ملزمة بدفع جزية سنويـــة محددة تقدمها للحكومة المركزية مباشرة (٢) .

وكان لكل رئيـــس اقليم أو حاكم ولاية ، أو شيخ قبيلة أو رئيس قريـة شخص ملك يتأمون جمع الضرائب من الاهالي وبجانبهم اعضاء مكلفون بتوزيع الاراضـي الصالحـة للزراعـة على الاهالي ويحثها عليهم حتى يتم تحصيل الضرائب منهـــم .

---

(١) Barth, H., Op. Cit. Vol 3, P. 39.

(٢) Lebeuf, A., Op. Cit. P. 42.

وبجانب هذه الضرائب كانت توجد ضريبة الرؤوس التي فرضتها الحكومة ، وكان السلطة الروحية (التي تعرضها وتقرها) ويتم تحصيلها الكاثوليك كل عام يقدمون عشر من إنتاجهم الى الرؤساء الكنسية في مناطق الجنوب كان على كل فلاح أن يقدم ما يعادل ٢ كيلو ذرة بيضاء على كل حقل مزروع وذلك لرئيس المقاطعة [1] ويقدم مثل هذا أو ما يعادله لرئيس القرية ، ثم ضريبة خاصة تذهب الى سيد الاقليم وبعض الضرائب الاخرى يدفعها الفلاح نظير الخدمات التي تقدم له مثل توزيع الارض ، والاحتفالات الدينية التي تقام بمناسبة البذر والزراعة ونظير تسوية الخلافات التي تنشب بين الزراع [2] .

أما في بعض المناطق وعلى الاخص في الشمال حيث [illegible] الزراعة على [illegible] من ناحية الاراضي ، فقد فرض ملاك الاراضي على السكان الذين يباشرون زراعة حقولهم ضريبة قدرها المحصول تمثل عشر محصولاتهم ، وفي الجنوب حيث تنحصر مياه النهر ، وحيث الارض خصبة يقوم الملاك بتأجيرها ، بأسعار مرتفعة وقد أدت هذه الضرائب والاتاوات الى ظهور استغلال الضعيف وسوء استعمال السلطة ومحاولة الاستقلال من جانب الرؤساء وكان السلطان يحصل على الزكاة كل عام على المنتجات والحيوانات ، وكان على كل مدير للناحية أن يقدم ثور صغير يبلغ سنتين من العمر عن كل قطيع مكون من ثلاثين رأس [3] .

---

(١) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 42.

(٢) Lebeuf, : ibid. P.P. 42 - 43.

(٣) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 43.

وكانت هناك ضرائب جمركية وضع لها نظام خاص . وهذه الضرائب تؤخذ على القوافل التجارية وكانت تشكل مصدر ثروة للسلطان (1) .

وكان رئيس كل قرية أو اقليم يقوم بتحصيل الضرائب في الاسواق وذلك على البضائع التي تعرض للبيع وأيضا فان حكام الاقاليم التي تقع اقاليمهم على الحدود يقومون بتحصيل الاتاوات عند مرور القوافل في اقاليمهم وأيضا وجدت هناك عقوبات وغرامات واتاوات كان يفرضها السلطان في حالة النزاعات بين الاطراف المتحاربة وكانت تصب هذه الاموال في خزينة الدولة . كما أن الدولة كانت تمتلك مستودعات لخزن الضرائب العينية كالقمح والسيف والسروج والحبوب والملابس وغيرها من الاشياء التي ترد الى خزينة الدولة . وأيضا حظائر ليسكن فيها العبيد الذين كانت تحصل عليهم الدولة عن طريق الجزية أو القهر والانتصار (2) .

والغزوات التي كان يقوم بها السلطان أو حكام الاقاليم على البلاد المجاورة تشكل مصدرا هاما للدولة ومحلا اقتصاديا هاما ذلك أن السلطان أو الامير أو الملك المغلوب كان يقدم كل ثروته لمصلحة الغالب . وكان دخل برنو الرئيسي

---

(1) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ١٢٠ .

(2) Ahmed Ibn Fartuas Op. Cit P. 24.

يعتمد على ما يجود على البلاد من بيع الرقيق وكان رأس الخيل من جهتى برنو يشترون فى كل موسم جلبات بالآلاف على سكان الجنوب السود ، بالرقيق الذى كان يتم تبادله بالخيل التى تصل الى برنو من الشمال على يد التجار البربر (1).

وعندما تكون الدولة قوية فإن مصدرها من الضرائب والجزية والزكاة يكون كبيرا أما فى حالة ضعف الدولة فإن هذه الموارد تقـــل .

وكانت صادرات البلاد تعتبر مصدرا للدخل القومى لبرنو على أنه كان هناك اختلاف بين الجزية والضرائب . فقد كانت الجزية تجبى على نطاق واســـــع من حكـــام البلاد التى تخضع للسلطان . أما الضرائـــب فكانت تدفع الى رؤساء القرى ومنهم الى رؤساء [illegible] الى حكام الاقاليم وأخيرا الى السلطان . وذلك بعد أن يأخذ كل من هؤلاء نصيبه من هـذه الضرائب (2)

وكانت تجارة الرقيـــق من أهم موارد تمويـل الحروب فى عهد السلطان ادريس الوما بالاضافة الى أن السلطان ادريس فرض على القبائل التى ضمها الى الامبراطوريـة برنو . أن تدفع الى مثل السلطان مع مواردها الاقتصاديـــة

Oliver, R.: The dawn of African history, P. 64. (1)

Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 125. (2)

كل عام وكان هذا مصدرا من مصادر ثروة السلطـــان والبلاد [1] .

وحاول السلطان ادريس ألوما أن يضع نظاما لتحصيل الضرائب قائـم على الشريعة الاسلاميـة ومبادئها وفقا للمذهب المالكى السائد فـى البلاد وللنظم الاسلامية السائدة فى البلاد الاسلامية الاخرى . وهى الزكـاة والخراج والجزية . وقد حل الخراج محل الضريبة التى كانت تجمع بواسطـة رؤساء القرى والتى لم تكن محددة الكمية والمقدار وكانت الاقاليم التى تخضـع جنوب بحيرة تشاد تدفع الجزيـة للسلطـان [2] وعلى كل حال كان اقتصاد تلك البلاد خلال العصـور الوسطى قائمة على الاكتفاء الذاتى والاستهلاك سواء أكان زراعيا أوصناعيـا بدائيا . فالرعى هو أساس الاستقرار والمعيشـة فلم تكن هناك صناعات راقية متقدمة مثلما كانت توجد فى مصر ودول الشمال الافريقى وكانت التجارة التى لعبت دورا هاما فى المقايضة عن المستوى الثقافى الاقتصادى للبلاد .

ولم يكن فى البلاد نظام نقدى معين يتعامل به أفراد الشعب ويذكر القلقشندى أن معاملة هذه الأقاليم هى الامبراطورية القديمـة

---

(1) Ahmed ibn Fartuas OP. Cit. P. 20.

(2) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 211.

التي كانت تستعمل كأثمان - برنو - عبارة قطعة من النسيج أسود تمتد طول كل ثوب عشرة أذرع أو أكثر وأنهم يتعاملون بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق ، ولكنها جميعا تسعر بسعر القماش (1) .

وذكر ليون أنه توجد في برنو عملة نحاسية صغيرة لها قيمة نقدية صغيرة وهي التي يتعامل بها الناس ، ويستخدم الذهب أيضا في التعامل ولكن استخدامه ليس الهدف أكثر من استخدامه في التبادل والمعاملة (2) وأن تجار الشمال الافريقي الذين كانوا يتاجرون مع برنو كانوا يرفضون أن يتقاضوا أي شيء نظير تجارتهم الا أن يأخذوا العبيد ، ذلك لأن تجارة العبيد في برنو أصبحت هي العملة الأساسية في البلاد (3) .

ويمكن القول أن العملة المصرية والمغربية والتركية ، قد وصلت الى تلك الديار عن طريق التجار الذين كانوا يتاجرون معها وأيضا مع الحجاج الذين كانوا يمرون ببلاد مصر وشمال افريقيا في طريقهم الى الاراضي المقدسة في الحجاز ولكنها لم تكن عملة متداولة بين عامة الشعب ولكن ربما تكون استخدمت في شراء بعض الاشياء الثمينة لأفراد الاسرة المالكة .

---

(1) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٨٠ .

(2) Lyon,G. Travels in northern Africa P. 130.

(3) Bevill,E.: The golden of Moors. P. 242.

ويذكر بارث أنه لا توجد هنا عملة يتم بها البيع والشراء ولكن قد تكون هناك عملة قديمة وهي عبارة عن جلبة من النحاس ولكن الشخص نفسه قد شاهد بارث أفراد الشعب يعطونهم قمحا منهم ، وكان الثوب من القطن يستخدم كوسيلة لتحديد أثمان الأشياء الهامة والحقيرة والسوق لا يستطيع أحد أن يفكر فيه بالبيع والشراء ، ولكن في شراء الأشياء الكبيرة فان هناك أنواعا كبيرة من الأثواب تستخدم لتقدير ثمنها وأن كان لا يزال يجري في التداول بين القوم الدولار النمساوي [١] .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. vol.3, P. 55.

((د • النظـــام الحربـــي))

كان الجيش أحد العناصر الرئيسية في مجتمع برنو • وكان له دورا نشيطا في الحياة العامة للبلاد ذلك لانه كان جيشا اقطاعيا ولم يكن جيشا ثابتا في كل العصور • بل كان يتعرض للزيادة والنقص • رغم انه كان يأخذ الاهتمام الاول من السلاطين الاقوياء في برنو • والذين كانوا يحصلون على رغبة علان امبراطوريتهم فان السلطان علي غازي • الذي وضع اللبنة الاولى لقوة السلطنة عمل كل مـــا في وسعه لتقويـة الجيش فقام بشراء الخيل من افريقيا الشماليه • وبذلك لكـي يمضي في طريقه الى جهاد تبائل الجوكون التي تسكن بلاد الكوارا رانا ولكي يوسع حدود بلاده ويستولي على المناطق التي تشكل خطرا على برنو •

وهذا الجيش القوي جعل برنو في عهد السلطان علي غازي ليست فـــي وضع يؤهلها للدفاع عن النفس فحسب • وانما جعل برنو تلعب دورا يشبه الدور الذي تلعبه الامبراطوريات الكبيرة في شمال افريقيا وأوربا في قرونها الوسطى [1] •

ولقد تعرض هذا الجيش للاهمال في عهد السلاطين الضعفاء • لكن جيش برنو في أحد فتراتها التاريخية كان مؤلفا من ٢٥ الف مقاتل من الرماة والفرســـان والمشاة وخليـــــط من المرتزقـــة • وكان الجيش يضم جندا من الرقيـــق

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع • ص ٨٠ – ٨٢ •

وعبيده وأولادهم ملكا للسلطان ، والسلطان هو القائد الاعلى العسكرى للبلاد [1] وبالاضافة الى هؤلاء المرتزقه ، كان الجيش يتكون من عناصر اساسية من قبيلة السلطان ومن القبائل التى تعمل فى خدمته ، وكان لبرنو فرقا من الحرس تجوب الصحراء لتقر الامن وتحافظ على سلامة القوافل التجاريه عبر الصحراء .

وكان الجيش موزعا الى فرق تقيم فى المقاطعات فكل حاكم فرقة من الجيش يقودها ينفذ فى الحرب وتساعد على اقرار الامن فى اقليمه ، وكان جيش برنو من القوة فى بعض الاحيان بحيث استطاع أن يصد هجمات الاعداء وأن يفرض طاعة السلطان على كثير من الانحاء .

وقد تطور الجيش فى برنو تطورا يتناسب مع اتساع السلطنة وتقدمها المطرد فى ميدان الحضاره وكان نظام الرتب العسكرية معروفا فى هذا الجيش اذ نجد أنه كان يوجد كل فرقة قائد ثم مجموعة قواد الجيش وهؤلاء كانوا ينتمون الى طبقات مختلفة وصل بعضهم الى مناصب عاليه بفضل شجاعتهم فى ميدان القتال [2] وكان هذا الجيش يضم فرقا من الفرسان يقاتلون فى الحروب بدروع حديديه ويركبون خيولا باهظة الثمن كان السلاطين يقومون بشرائها من الشمال الافريقى وكانت حياة الحصان فى تلك الاقاليم محفوفة بالمخاطر والمهالك بسبب عدم استعداد الخيل لاحتمال الحراره الشديده [3]

---

(١) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ٨٦ .

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 595.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. vol. 5. P. 590.

على أن الدروع الحديدية لم تكن منتشرة كثيرا بين الجنود ، وكانت خاصة بالامراء والقواد وكان التجهيز من الدرع وصمة عار في الحرب ، وكانت شدة الحر في هذا الاقليم سببا في عدم انتشار هذه الدروع [1] .

وهناك اسلحة من الحديد هي الرماح والتروس ، وهي من صنع محلي وكان الجنود يستخدمون اتراسا مصنوعة من الحديد الذي يوجد في جبال باندرا .

وكان للسلطان رجال موصوفين من افراد الرؤساء (؟) مهمتهم حمل الابواق التي طولها ١٠ أقدام وهي آلة خاصة بالبلاط الملكي ، وهم يحيطون بالسلطان في الحملات وفي ميدان القتال [2] .

واستورد السلطان ادريس الوما الاسلحة النارية كالبنادق والمدافع النارية بالذخائر الخاصة بها وكانت هذه الالات الحديثة تأتي من مصر ومن شمال افريقيا بالاضافة الى أنه كان يوجد في جيشه عددا من الجنود والضباط الاتراك والطرابلسيين الذين استخدمهم كخبراء لتدريب بعض افراد جيشه على استخدام الاسلحة النارية الحديثة [3] .

وبالاضافة الى حملة الاسلحة النارية ، والفرسان ، كان الجيش يضم فرقا من المشاة ، والذين كانوا يمثلون قسما كبيرا من الجيش وهي تحمل

---

(١) نعيم قداح ؛ نفس المرجع ، ص ١١٢ .

(٢) Denham and Clapperton: OP. Cit. P. 324.

(٣) أنظر ص ٢٦ .

الشمس . ومن الخلفاء كاتب توضع في خدمة الجيش . وقد اشتهرت بشجاعة افرادها وقتلهم وهؤلاء هم النداشيين وكاتب الاستفلاج وكان جيش برنو يعرف في بلاد السودان بالجيش الذي لا يقهر .

والسلطان يحاط بحرس يتكون من النبلاء من العائلة المالكة وكذلك أمراء من أمراء الاسرة حرس خاص به من الذهب بأنفسهم . والافراد الحرس الذين خاصة في مدح السلطان بشعرهما . بالاضافة الى استعمال الالات الموسيقية والطبول لاثارة حماس المحاربين من الجنود . والفرقة الحرس الخاصة خاصة عند السلطان [1] ولاحظ بارث أن السلطان له حرس خاص مكون من أربعين جلوبا يحيطون به ومن حولهم مشون على يمينه ويمرون على يساره [2] .

في فترات متأخرة من تاريخ امبراطورية برنو فان السلطان كان تحت امرته جيش وحدته الالاف من المشاة والالاف من الفرسان المسلحين بالرماح ودون الرماة وحملة السهام الذين يحملون الدروع وعلى رؤوسهم خوذات حديدية . كما تحمي خيولهم أغطية مبطنة سميكة .

ويعرف الضباط الذين ينحدرون من العبيد باسم الكشلة . ويعرف رئيس الرماة باسم الكيكمة . وكل فرقة من مائة مقاتل من حملة الرماح رئيس يعرف بالقاقمة [3] .

---

(١) نسيم قداح : نفس المرجع ، ص ١١٣ .

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 592.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٨٥ .

وإلى جانب هذه الجنود النظامية ، كانت تستخدم قبائل القوى الشعبية التي تقيم في برنو والذين كان يجب عليهم أن يقوموا بالخدمة العسكرية زمن الحرب .

وقد عقد السلطان ادريس الوما اتفاقية مع العرب للدفاع معه زمن الحرب في حرب البلالة ، ووضع جيشا عربيا يقوده ضباط من نفس العرب وذلك لحرب البلالة بقيادة زعيمهم عبد الجليل من الصحراء ، وبعد معارك عنيفة ومتكررة تم القضاء على عبد الجليل سلطان البلالة وكان الفضل في هذا الانتصار يرجع للعرب ، وبعد أن أعلن السلطان ادريس الوما ، محمد بن عبد الله سلطانا على كانم فانه جعل السلطة بأيدي العرب ، دلالة على مكانتهم لديه ، وتبوأ العرب مراكز رفيعة في تلك الحكومة نظير خدماتهم العسكرية للسلطان [١] .

وفي حالة الحرب فان السلاطين كانوا يخصصون بعض العطايا ويقدمونها للعرب ولم تكن للجنود النظامية رواتب ثابتة سنوية أو شهرية بل كانوا يمنحون أرضا يعيشون من غلتها ومن هنا كان برنو كانت تستطيع في أوقات الحرب أن تجهز جيشا يتراوح بين ١٥ الف ، ٣٠ الف جندي مزودا من الفرسان والاسلحة النارية من الجيش البرنوي تجعله دائما متفوقا على

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص٢٧٢ .

شعوب السودان والتى لا تضارع برنو فى العتاد العسكرى (1) ومع امتلاك جيش برنو للاسلحة الحديثة فانهم كانوا قادرين على صنع البارود الجيد (2) .

وكان جيش برنو وفقا لما أشار به الرحالة الذين زاروا البلاد تحت قيادة كاجاما Kaigama أو جنرال أوسو Ulsoso وهذا الجيش هو السند الاساسى لقوة وعظمة السلطان ، اذ نجد أن قوة السلطان وعظمته واحترام الشعوب المجاورة له ولبلاده كانا رهنا بما يحمل الروح الجيشية من قوة . ذلك ان هذا الجيش كان يختلف عن بقية الجيوش السودانية ، لانه كان يمتاز بالقوة والنشاط والتسليح الجيد (3) .

على أنه مهما يكن من حالة الجيش فى برنو ، فانه لم يكن أبدا فى عزلة عن الاحداث التى تجرى فى العالم الاسلامى بل كان دائما جيشا مستعدا للجهاد فى سبيل الاسلام وأنه مما يشرف هذا الجيش أنه قد عملت بعض وحداته مع جنود الولايات الاسلامية فى اقليم الاندلس واشتراكه فى محاربة الفرنجة فى الصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيين فى تلك البلاد (4) .

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٢٨٥ .

(2) Lyon, G.: OP. Cit. P. 13.

(3) Crowder, M.: The story of Nigeria P. 55.

(4) الناظر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٢٣ .

بل أكثر من ذلك فان جوبيرلو في عهد السلطان ادريس الوما ، حسب مشاهدة شعب سنغاى وبعثه من كلمة ضد الغزو المراكشي القادم من الشمال والذي استطاع أن يقهر سنغاى ويسيطر عليها في عام ١٥٩١ م[١] .

وكان جوبيرلو مضرب الشجاعة والفداء والاقدام لانه كان يضم بين صفوفه قبائل التبو والتيدا وكان هؤلاء القوم ذوو بأس شديد في القتال ، حتى انهم كانوا في القرن السادس عشر يؤلفون نسبة كبيرة جدا من القوى العسكرية لسلطنة برنو من اسلحتهم التي كانوا يستخدمونها في القتال ضد اعداء البلاد المكسيين الراكضة[٢] .

بالاضافة الى جوبيرلو كان يضم بين صفوفه خيرة التوارك المحاربين والذين كان لهم صيت رائع في السودان الغربي[٣] .

وكان لاستخدام البنادق التي كانت مجهولة في السودان الغربي ، أثر كبير في هذه الفتوحات ، اذ نجد أن الخطة العسكرية لهذه القوات والتي استطاعت أن توسع حدود برنو في عهد السلطان ادريس الوما هو الامتناع عن استخدام الاسلحة النارية في أول المعركة مع العدو ، وكان القتال يتم بالسلاح التقليدي

---

(١) عبدالرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٢٩ .

(٢) انظر ص ٢

(٣) Gervis, P.: of emirs and pagans. P. 74.

المعروف في ذلك الوقت ، حتى اذا حمي وطيس المعركة صدرت الاوامر للجنود الحاملين للبنادق فيطلقون طلقة رجل واحد فلا يسمع العدو الا أن يولي دبره مذعورا مدحورا تاركا وراءه مئات القتلى والجرحى (١) .

الا أن هذا الجيش القوي بلغ مرحلة من الضعف في عهد السلطان علي بن عمر (١٦٤٥ ـ ١٦٨٤ م) حتى طمع في البلاد كل الاعداء المحيطين ببرنو فالطوارق قاموا بالهجوم من الشمال ، والجوكون من الجنوب ، وتقدمت قواتهما حتى حاصرا العاصمة برني ، الا أن الله كفى السلطان وشعبه شرهما اذ نجح السلطان في الايقاع بينهما وبذلك أنقذ بلاده منهما (٢) .

وكان السلطان ادريس الوما أقوى السلاطين الذين حكموا برنو ذلك أن جيشه كان واسع الصيت في بلاد السودان الاوسط والغربي لانه استطاع أن يحقق انتصارات عظيمة على كل اعدائه وأن يدمر كل من حاول أن يتحدى قواته (٣) ولم تكن هذه الانتصارات تتم الا بفضل الجهود العظيمة التي قام بها السلطان ادريس لبناء هذا الجيش ، أيضا قام السلطان ببناء سور كبير للعاصمة وجعل بهذا السور أربعة أبواب يقف على كل باب حارس مزود بالاسلحة الحديثة وقام

---

(١) علي ابيكر : نفس المرجع ، ص ٣٤

(٢) أنظر ، ص ٣٨ .

(٣) Murdock, G.P.: Africa, its people and their culture history P. 139.

يبدأ منازل للجنود واسطبلات للخيول واسطبلات للخيل بالاضافة الى أن الجيش كان يملك عدداً كثيرة بجانب المعدات العسكرية والتي كان يستخدمها في قطع الاشجـــار التي يختبئ فيها الاثنين حتى لا يجدوا مكانا يحتمون به [1] .

وهو الجيش الذي وسع حدود برنو حتى وصلت الى فزان شمالا والى ادماوا جنوبا والى دارفور شرقا واخضع بلدانا وقبائل متعددة . وهو الجيش الذي وقـــف ضد مطامع سنغاي في مد نفوذها على امارات الهوسا . والذى قاتل حاكم كيبـــى بعد أن أعلن استقلاله من سنغاى واستطاع أن يقلص نفوذه وينحيه من التوســـع شرقـــا [2] .

وهو الجيش الذى أوقف زحف الفلاته الجارف واستطاع أن يحرر بلاده مـــن سيطرتهم وهو الجيش الذى كان يزحف الى الجنوب بين القبائل الوثنية عاملا علـــى نشر الاسلام بين تلك القبائل .

كذلك كان هذا الجيش كان يملك اعداد كثيرة من القوارب النهرية الـــتى كان يستخدمها فى نقل الجنود والعتاد الحربية فى حالة الحرب . وكانت هـــذه القوارب عاملا هاما فى الحرب . فقد استخدمت فى أعمال الحراسة ومراقبـــة القوافل التجارية التى تنتقل عبر بحيرة تشاد أو عبر الانهـــار الداخلية واستخدمت فى أثار الامـــن فى جزر البحيـــرة وفى فض النزاع الذى كان ينشب بين سكان

(1) Ahmed ibn Fartuaa OP. Cit. P.P. 15 - 16.

(2) Barth,H. OP. Cit. P. 595.

الجزر الصغيرة أو الذين يعيشون على شواطئ بحيرة تشاد .

وكان للسلطان ادريس ألوما الفضل الاكبر في تطوير هذه القوارب ، إذ كان السكان قبل عهده يستخدمون قطعا من الخشب مجوفة أو غير مجوفة في عبور النهر (1) ولكن السلطان ادريس ألوما ، لما اراد أن يعبر النهر الى الاعداء فان ذلك كان يستغرق منه يومين أو ثلاثة أيام وأن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لكي يحمل معه أعدادا كبيرة من الجنود ومن هنا فقد أمر بصناعة قوارب كبيرة وذلك لكي يتم العبور في أسرع فترة ممكنة ولكي يتم شحن هذه القوارب بأعداد كثيرة وبالمعدات اللازمة للقتال (2) .

والذي لا شك فيه أنه قام باستحضار أقوام من خارج برنو للقيام ببناء هذه القوارب التي ربما شاهد مثلها في مصر أو عبر بها البحر وهو في طريقه لتأدية فريضة الحج .

وبهذه القوارب استطاع مهاجمة قوارب قبائل بودوما Buddūma سكان جزر البحيرة ، بل أنه أمر رجاله بإغراق قواربهم حتى يمنعوا رؤيتها وقطع الطرق الكثيرة عليهم ومداومة الهجوم عليهم (3) .

---

(1) كان يطلق على هذه القوارب جاجاوا Gagawa وذلك بلغة أهل برنو .

(2) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(3) Barth, H.: OP. Cit. P. 596.

((النظام القضـــائي))

لم يكن القضاء في برنو منفصلا عن أحكام الدين الاسلامي بل أن تطبيق أحكام القضاء كان اثره من آثار انتشار الاسلام والتعاليم الاسلامية في تلـــك البقاع من القارة الافريقية .

وقد تطور القضاء في برنو بعد أن نشأت المدن التجارية وكثرة المنازعـــات بين الافراد . وازداد دخول الشرع في الدين الاسلامي الحنيف . وبعـــد أن وجدت المساجد ونشر الدين والفقهاء القادمين من مصر وفزان اليهـــا الى تلك الديار الاسلامية . ففي بادئ ~~الأمر كان زعماء القرى هم الذيـــن يحكمون بين الناس وكانت سلطتهم أكبر من سلطات القضاة المسلمين~~ (1) .

وكان القاضي الكبير في العاصمة برني ويكون هناك قضاء أقل في المرتبة فـــي المدن الكبرى للبلاد وكانت المحكمة الملكية برئاسة السلطان والثانية محكمة القاضـــي والذي يعينه السلطان وهي التي يختص بالنظر في الجرائم العامة والجنح والخلافات بين المواطنين . ويشترط في القاضي أن يكون فقيها متحليا بالنزاهة والـــورع ولم يكن يتوافر شرط العلم والتعلم في بادئ الامر عند تعيين القاضي لذا كان القضاة من العرب (2) .

ولما كثر المسلمون والمثقفون الذين تعلموا في القاهرة وطرابلس وتونـــس وكان لهم قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد . ولم يكـــن أحد

---

(1) Lebuef, A.: OP. Cit. 43.

(2) نعيم قداح . نفس المرجع . ص ١١٢ – ١١٦ .

يحتل منصب القضاء أن لم يكن اعلاها ، مركزا من مناصب الدولة ، ويحترم بيت

القاضي محترما كالمسجد يلتجىء اليه أحيانا وبناء المعارضة خوفا من السلطان .

وبطشه ، وكان السلطان يجبرهم .

وكان القانون القضائي المطبق في برنو قانون عرفي مستمد من الشريعة

الاسلامية (١) وسير القضاء في الفصل في المنازعات على هذا القانون ، فنجد

أن عقابهم في القتل هو أن يعاقب القاتل بالقتل وفقا لنص الشريعة الاسلامية وهذا

لما ذكره القلقشندي عن العدل في برنو بقوله " أن العدل قائم في بلادهم

وهم يتمذهبون بمذهب الامام مالك (٢) .

ومن ذلك نرى أن القضاة كانوا يتحرون العدالة في اصدار الاحكام ، وكان

كل مواطن في برنو يأخذ مكانه أمام القضاء ، وكان الزعيم الديني يعرف باسم

القاضي وفي برنو كان يوجد امامين أحدهما هو الامام الاكبر والثاني هو الامام الاصغر

ومعه وأن هذين الشخصين كانا يحافظان على كل منهما دقيقا لواجبه في المنصب

القضائي (٣) .

وليس أدل على تطبيق الشريعة الاسلامية في برنو وسير القضاء والعدل وفقا

لما جاء في القرآن الكريم والسنة وأخذا بتفسير المذهب المالكي ، من ذلك أن

---

(١) Denham and clopperton, OP. Cit. P. 323.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٦٨ .

Trimingham, J.S.: A history of islam in west Africa P.2(3)

السلاطين من سلاطين برنو قام بقتل سارق لأن له سرقة ، وتخطى بذلك التعاليم الاسلامية ونص القرآن جهدا وأنه لم يكن متفقا في المسائل الدينية والتشريعية وجهل ما جاء في القرآن الكريم ، أو خضع لظروف حالت دون تنفيذ نص القرآن . فما كان من الام الملكة الا أن حرمت هذا السلطان "برنو" لأنه أخطأ في تنفيذ أوامر الله تعالى (١) ، وقالت له ، قال تعالى في كتابه العزيز السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وليس قتلهما .

وكانت الاحكام تصدر في فترة قصيرة وعندما تكون هذه الاحكام متعلقة بعامة الشعب يعلن القرار على الملأ ونوع العقوبة بين السجن أو الجلد أو الموت أو مصادرة أموال الجاني . أما الجرائم الجنائية فهي من اختصاص المحكمة السلطانية التي تعقد برئاسة القاضي ، لقد حكم أحد السلاطين في برنو بنفسه على السجين متوكيا في مؤخرة تخته وكان الحكم متماشيا مع دور في الجنائية وقد تصل الاحكام الى درجة قاسية (٢) .

وبالنسبة للحقوق الملكية فانه يبدو أن السلطان هو المالك الوحيد للأرض .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٢٩ .

(٢) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ١١٢ .

وكان رؤساء القبائل الذين توزع عليهم الارض من قبل السلطان يقومون بالحصول على محصولها ويقوم الفلاحون بالعمل بها نظير الاجر .

ولقد تغير الوضع بعد ذلك عندما انتقلت الاسرة المالكة بشعبها الى برنو فكان رئيس العائلة له الحق في التصرف في أراضيه بالبيع أو التنازل عنها وذلك عملا بنص القرآن في حق الملكية وأصبحت الارض تورث [1] .

وأما ملكية المواشي فقد كانت ملكية فردية وكانت الحيوانات تورث وفقا لنص القرآن والشريعة الاسلامية فاذا ورث شخصين حيوان واحد ففي هذه الحالة اذا كان الحيوان يركب فيستعملها كل منهما فترة متساوية . أما اذا كان ذكر فيتم بيعه ويقسم الثمن مناصفة . أما اذا كانت انثى فيحتفظ بها وتكون ملك الاثنين وفي معظم الاوقات كانت حيوانات القطيع الواحد لها عدة ملاك يحاولون حمايتهما من السرقة والامراض وكانت الحراسة هي عمل بعض الرعاة يحصلون على أجر من الغنم نظير تلك الحراسة [2] .

أما العقود المتداولة بين افراد الشعب فهي مسجلة على النحو الشرعي للاسلام وكان كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الامام مالك هو هديهم في تطبيق كل أمر من أمورهم [3]

(١) Lebuef, A.: OP. Cit. P. 43.

(٢) Lebuef, A.: ibid. P. 44.

(٣) Hodgkin, T.: OP. Cit. P. 27.

وكان البيع الوثائقي هو المتعارف عليه ويتم الاتفاق امام اثنين من الشهود .
وكانت المهلة تتراوح بين خمسة عشر يوما وشهر [1] .

وقد حدث تطور هام . في أمر القضاء في عهد السلطان ادريس الوما
وأيضا في نظام الشورى . أن نجد أنه عمل على نقل السلطة القضائيه في الامور
التي تخص الامه من سلطة زعماء القبائل الى سلطة القاضي وذلك وفقا لما جاء
في القرآن والسنة ووضع كل الامور المتعلقة بالامة من ناحية القضاء والشرع في
أيديهم [2] .

وعمل على أن يجعل العدل نبراسا لامة برنو وحض السكان على أن يضعوا
أمورهم في ذمة العلماء والقضاه لا ذمة الزعماء وأن يتصفوا بالعدل والتسامح والاخاء
وأرغم الشعب على أستعمال المكاييل والموازين المعترف عليها حتى لا يقوم
التجار بابتزاز أموال الاهالي أو ارهاقهم بانقاص الكيل والميزان [3] .

وجاء السلاطين من بعده يعملوا على أن تكون الزعامة الدينية دائما
في أيدى اشخاص يكونون في خدمتهم ويثقون في نزاهتهم [4] .

---

(١) Leboeuf, A.: OP. Cit. P. 44.
(٢) Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 20.
(٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا . ص ٧٨ .
(٤) Encyclopdia of Islam Art. Kanem P. 721.

وكان ابن السلطان ادريس الوما ، السلطان محمد بن ادريس قد ولى السلطنه بعد مقتل أبيه ، فعمل على تحكيم الكتاب والسنة فى كل أمور البلاد ، وتحرى الدقة فى كل الاحكام التى كانت تصدر ، وعمل على رعاية احوال المواطنين وقيام القضاء يتحرى الدقة والعدل فى أصدار الاحكام فحسنت سيرته حتى لا يكاد أحد فى فترة حكمه يذكر سوء جهرا وقد وصف من أجراء اعماله وعدالته بالقدوة والاحسان والورع والتفقه فى امور الدين الاسلامى (1) .

وقد أعطى لنا بالمر كثيرا من المواقف التى كان السلاطين يأخذون فيها رأى العلماء والقضاء فى بعض المسائل الفقهية التى تعترضهم عند تطبيق حكم فى احدى المسائل الشائكة فقد كان الفيصل فيها القرآن ، وان لم يكن هناك نصا صريحا فانهم يلجأون الى كتب التفسير والاحاديث (2) ، وكانت السلطات الحاكمة فى برنو تعمل من جانبها على أخذ القصاص وذلك لكى تمنع عادة الاخذ بالثأر بين القبائل التى تقيم فى البلاد وخاصة القبائل العربية ، وكانت بعض المشاكل تعرض على القضاء ، ولكن المشاكل البسيطة لم يكن يستدعى الامر عرضها على القضاء ، بل كانت تحل وفقا للتقاليد السائدة فى البلاد مع مراعاة ما

---

(1) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(2) Palmer, R.: The Borna Shera and sudan P. 33.

(3)

جاء في القرآن عند اصـــدار الاحكام [1] .

وبالنسبة للرقيق فانه طبقا للقضاء المطبق في البلاد فانه كان يحـــق للعبد أن يصبح حرا ، اذا دفع ثمنه لسيده ، وبعد ذلك فانه لم يعد عبدا أو يباع ولـــه الحق في التمتع بحريته وكان السادة يقومون باعتاق اعداد كبيرة من الرقيق ، وكانت هذه الامـــور منتشـــرة في البلاد ، وخاصة في الاقاليم التي يسكن فيها قوم مسلمون متمسكـــون بكل التعاليم الاسلامية مطبقـــون للشريعة الاسلامية تطبيقا صحيحـــا في أمورهم الدنيويـــة [2] .

أما بالنسبة للارث فانه عند موت الاب يقوم الابن الاكبر بادارة املاكـــه ، أما اذا كان صغيرا جدا فيقوم بذلك أحد اعمامه حتى يوم التقسيم ويتم ذلك فـــــي مجلس العائلة ويذهب العشر الى رئيس القبيلة (العائلة) والباقي يقسم بيـــــن الابناء ويأخذ الاولاد ضعف البنات وذلك تطبيقا لنص الشريعة الاسلامية ~~التي تنص على ذلك~~ .

أما بالنسبة للارامل فانها تبقى في منزل المتوفى لمدة عام ، وبعد هـــذه الفترة فانها اذا لم تتزوج مرة أخرى من أحد افراد العائلة فانها تعود الى منزل ابويها واذا كان الشخص المتوفى لم يترك ابناء فان اخته وأخواته يرثوه وعندمـــا

---

(١) Anderson, J.A.: Islamic law in Africa. P. 207.

(٢) Trimingham, J. S.: Islam in West Africa P. 134.

~~(3) Encyclopodia o f islam. Art. kanem, P. 721.~~

وعندما تتوفى الزوجة يرث الزوج الماشية وترث بناتها الجواهر والملابس [1] .

وكان يوجد فى العاصمة برنى عاصمة البلاد دارا للقضاء يقوم القاضى يعقد مجلسه فيها للنظر فى أمور الرعية وحل الخلافات بين افراد الشعب [٢] . ومما لا شك فيه أن هذه الدار كانت تحوى مجموعة من الوثائق والقوانين والقضايا التى كان يصدرها القضاء وأيضا نماذج لبعض الاحكام التى كانوا يصدرونها .

وفى كل فترات التاريخ فى برنو كان رجال القضاء كانوا يتمتعون بمكانة عاليه وكان يأخذ رأيهم فى كل الامور والمسائل التى تمس أمن ومصلحة البلاد وفى حالة اعلان الحرب على الاعداء وليستدل على ذلك من أن السلطان عمر بن ادريس الذى واجه الخطر الشديد لهجوم البلاله على كانم ، حيث رأى أنه لا قبل له بمقاومة هذا الزحف الجارف فانه عقد مجلسه وكان من بين الذين دعاهم لاخذ مشورتهم الامام الاكبر قاضى القضاة ، والذى اشار عليه بمغادرة هذا المكان والالتجاء الى مكان آخر لان شمس كانم قد غربت فى هذا المكان ولا بد من الرحيل [٣] .

---

(١) Lebuf, P.: OP. Cit. P. 44

(٢) Denham and clappertons OP. Cit. P. 368.

(٣) انظر ، ص ٧ .

كذلك فان السلطان على بن غازى بعد أن اصبحت العاصمة برنى لكى تكون مقرا لحكم الامبراطورية الاخذة فى التوسع ، فانه نصب الشيخ عمر ماى محمد لكى يكون اماما للبلاد وذلك لكى يقوم بالحكم والنظر فى كل الامور التى تخص الرعية وفقا للشريعة الاسلامية وقام الامام الاكبر قاضى القضاة بهذه المهمة على خير وجه ، فكان يصدر القوانين السليمة والصحيحة وقام السلطان على بنفسه بتنفيذ هذه القوانين التى كان يصدرها الشيخ عمر [1] .

وأيضا فان السلطان ادريس الوما اتخذ اماما وقاضيا للبلاد كان من جمهرة الائمة الذين اشتهروا فى تاريخ برنو ، ذلك هو الامام احمد بن فرطو ، والذى له كان له الفضل فى تدوين بعض النواحى السياسية والتاريخية فى برنو ، والذى يرجع نسب اصله الى محمد بن مانى أول من ادخل الديانة الاسلامية فى البلاد ، وكان السلطان ادريس يشركه فى الامور الهامة التى تخص مصالح برنو ، وكان يصحبه معه فى كل غزواته التى كان يقوم بها ضد اعداء برنو [2] .

وكان القضاء فى عهده شديدى التمسك بالكتاب والسنة ، شديدى الكراهية لاهل البدع والمحدثات ولقد تحروا الدقة والامانة فى احكامهم

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

١٤٢

القضائيـة وحكموا بالكتاب والسنة وساروا على نهج اسلامي خالص ، وكانت هـذه الطائفة من القضاء الذين انيطت بهم امور الامة من ذوي المعرفة والتحقق بـل أكثر من ذلك فان السلطان ادريس طلب منهم أن يقضوا في كل قضية بما لا يتنافى وحكم القرآن والسنة ، كما أنه كان يعتقد أن جميع القضايا توجد لها حلول مصورة قاطعة في الكتاب والسنة ونصائح الصالحين وأراء الحكماء ، كما أنه طلـب منهم الا تأخذهم لومة لائم من تنفيذ جميع الاحكام التي يصدروها مجلـس القضاء وحملهم مسئولية النظر في كل ماله علاقة بالامور القضائيـة [1] .

وسارت البلاد بعد ذلك في طريق الحق والعدل وتمسك القضاء بكل التعاليم الاسلامية اللهم الا في الحالات التي كانت تسود فيها البلاد حالة من الفوضـى واضطراب الامور فانه ربما كانت الاحكام القضائية لا تجد طريقها الى التنفيـذ وربما كانت تعطل بسبب تدخل اصحاب النفوذ والسلطان للحيلولة دون تنفيـذ هذه الاحكام وربما قل وزن القضاء في أعين السكان . و

وانه مهما يكن من أحوال البلاد وسوء الاحوال فانه في أواخر عهـد السفينة نجد وتهام وكلابرتون يذكران أن القضاء في برنو كان قضاء اسلامي فـي

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع : ص ص ٩٠ ـ ٩١ .

تشريعــه وتنفيــــذه [1] .

وليس أدل على ذلك ما جاء على لسانيهما والحقاه بكتابيهما . وذلك لانهمـا تقدما بشكوى الى دار القضاء فى برنو . وذلك للمطالبة بحق لهما . وانعقـــد مجلس القضاء للنظر فى الشكـــوى المقدمة منهما ضد احد سكان البلاد . وذكر أن شكواهما انهما دفعا اليهن من الدولارات الى شخص من برنو وهما فى طرابلـس على أن يرد اليهما المبلغ عند دخولهما الى برنو . ولكنه شآت الاقيلدار الالهيـة أن يموت الرجل وهو فى الطريق من طرابلس الى برنو . وبذلك فانهما يطلبـــان من مجلس القضاء أن يقوم شقيق المتوفى والذى آلت اليه كل ثروة أخيه برد هــــذا المبلغ الذى دفعاه الى أخيــه .

وتقدما الى المجلس بورقة مكتوبه باللغة الانجليزية وليست باللغة العربيـــة ولكنها تحمل توقيع الشخص المتوفى . فقام مجلس القضاء باحضار شقيق المتوفـى وجاء بأحد أصدقاء المتوفى كشاهد على ذلك العقد واستلام المتوفى وذلك لان الشاهد كان قد حضر تسلم المتوفى للمبلغ .

---

(١) Denham and clappertor: OP. Cit. P. 372.

وبعد أن درس مجلس القضاء كل هذه الجوانب التي تحيط بالشكوى فانه اصدر حكمه في تلك القضية بالرفض ، رغم أن الوثيقة تحمل توقيع المتوفى وهو باللغة العربية وذلك لانها لا تعتبر وثيقة اسلامية شرعية وغير مكتوبة باللغة العربية لغة القضاء في برنو ، ورفض مجلس القضاء الاخذ بشهادة الشاهد .

ولكنهما ذهبا الى دار العدالة مرة أخرى ، وعند ذلك فان شقيق المتوفى تعهد بأن يدفع لهما كل المبلغ الذي دفعاه الى اخيه .

وفي نهاية الوثيقة فقد أشادا بعدالة القضاء في برنو (1) .

ومن ذلك يتضح أن الشريعة الاسلامية والعدالة هي التي كان يسير عليها القضاء في برنو في أصدار احكامه ولذا فان البلاد سادها العدل والاخاء .

---

(1) Denham and Clapperton: OP. Cit. P. 370.

((الفصـــل الثالـــث))

((علاقـــات برنو الخارجيـــة))

كان لبلاد برنو علاقات مع الدول المجاورة وخاصة مع مصر وبلاد الشمال الافريقي والسودان الشرقي . والبلاد التي أطلق عليها حديثا غرب افريقيا والتي تجاور برنو من ناحية الغرب فارتبطت ولا سيما في عصور ازدهارها بروابط قوية مع تلـــك البـــلاد .

أولا : العلاقـــات السياسية

(أ) ـ العلاقات السياسية مع مصـــر

تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية وللافادة من الخبرات الثقافية والعلمية التي وصلت اليها مصر وطدت برنو علاقاتها بمصر ، اذ تعتبر برنو اقرب السلطنات السودانيـــة على الطرق التي تسلك الصحراء الغربية في طريقها الى واحات مصر [1] وكانـــت تلك الواحات عامرة في ذلك الوقت ومتصلة بأرض السودان وكانت تمثل نقطة ارتبـــاط بين مصر وبلاد كانم ـ برنو [2] وذلك بالرغم من أن الاصطخري يذكر أن بـــلاد برنو كانم ليس لها اتصـــال بشيء من الممالك والعمارات الا من وجه المغـــرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الامم وأن بينها وبين واحات مصر مساحـــات واسعة من الرمال [3] وبالرغم من ذلك يمكن القول أن الواحـــات كانت تمثـــل

---

(١) حسن أحمد محمد : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ، ص ٢٥٩ .

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٠١ .

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣٥ .

نقطة للراحة على الطريق بين مصر والقادمين من بلاد برنو ـ كانم . وذلك لان القوافل كانت تعبر الطرق الصحراوية من مصر الى كردفان ودارفور ثم الى برنو وبعد ذلك الى بلاد النيجر [1] .

وعلى ذلك يمكن القول أنه كانت هناك علاقات سياسية بين مصر والممالك التى قامت فى النطاق شبه الصحراوى فى القاره الافريقية والتى كانت من بينهما سلطنة برنو ـ كانم ـ وأن هذه العلاقات قد توطدت توطدا ملموسا وذلك لان مصر كانت تمثل ثقلا سياسيا ممتازا ومرموقا فى العالم الاسلامى بأسره شرقه ومغربه [2] .

ولذلك فقد أخذ يفد الى مصر فى عصر سلاطين المماليك القضاه والرسل والحكام والملوك من مختلف انحاء العالم الاسلامى يحملون الهدايا والاموال ويطلبون التقاليد من الخليفه العباسى الذى كان قد أستقر فى القاهرة بعد سقوط بغداد على أيدى المغول . هذا عدا الصوفيه والفقهاء والعلماء الذين قصدوا مصر من البلاد المغربية البعيده [3] . وليس هناك شك فى أن وفودا قد جاءت من برنو الى القاهرة ولاسيما أنه كان لبرنو قافلة كبيرة تذهب الى الاراضى المقدسة فى الحجاز كل عام .

---

(١) Johnston, H.: A History of colonisation of Africa P. 19.

(٢) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 18.

(٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك . ص ٦ .

ولقد كان الاسلام واستقرار الحياة اليومية فى برنو من أ سبا ب القوية التى وقفت البلاد الى تقوية علاقاتها الخارجية مع البلدان المجاورة وتمهيد احياء العلاقـــات الخارجية التى كانت تقيمها كانم قبل سقوطها مع بلدان العالم الاسلامى [1] .

وقد أشار هو دجكند ، الى تلك العلاقات السياسية القوية التى ربطـــت مصر ببلاد برنو كانم الى أنه كانت هناك مراسلات شبادلة بين سلاطين مصـــــر وكانم برنو [2] .

ولقد كان ارتباط تلك البلاد بمصر واتصالها بأرقى الحضارات الانسانية المعاصرة فى ذلك الوقت هو صاحب الاثر الاكبر فى تشكيل وتوجيه تاريخ هذه البلاد ، ذلـــك أن بلاد السودان ومنها برنو ، كانم لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجى فى أى فترة من فترات التاريخ ولم تحل وعورة الصحراء دون هذا الاتصال [3] .

وكانت هناك حوادث متناثرة تلقى بعض الضوء على نوع العلاقات التى كانـــت تربط مصر بهذه البلاد فى العصور الوسطى ولعل أبرز تلك النواحى وأكثرها وضوحا حج سلاطين تلك الدول ورعاياهم الى بلاد الحجاز ومرورهم على مصر حيث يستقرون بها زمنا ريثما يتهيأ موكب الحج والمحمل الى مكة المكرمة ، والطريق الذى درج حجاج تلك النواحى على سلوكه هو الدرب الصحراوى المعروف بطريق غـــات ،

---

(١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، ص ٤٢٤ .

(٢) Hodgkin, T. : Nigerian perspectives, P. 77.

(٣) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، ص ١٠٠ .

والذى يبدأ من مدينة ذات نفسها وينتهى عند سفح الاهرام . وقد اتخذ ملوك تلك البلاد الحج وسيلة فى تلك الجهات للغرضين أحدهما دينى والاخر سياسى [1] اذ أن سلاطين " برنو - كانم " كانوا يقصدو من الحج هو تأدية الفريضة وهذا هو الجانب الدينى أما الجانب السياسى فهو مقابلة الخليفة فى القاهرة والحصول على الخلع والتقاليد والاعتراف بهم سلاطين على بلادهم .

ولقد ساعدت هذه العلاقات السياسية التى ربطت بين مصر وبلاد برنو على انتشار الثقافة العربية والحضارة الاسلامية فى ربوع تلك الديار [2] ومن ذلك اقتباس بعض نظم الحكم واتخاذ اللغة العربية أداة للمراسلات الرسمية وتشجيع الحركة العلمية القائمة على التعاليم الاسلامية . وتطورالعلاقات السياسية التى كانت تربط مصر ببلاد برنو وصول حكام هذه البلاد على رأس رعاياهم وأرسالهم الهدايا الى السلطان المملوكى وحاشيته [3] وقد حفظت لنا المصادر نص رسالة تبودلت بين سلطان برنو وبين السلطان المصرى المملوكى برقوق تتعلق بشكوى عرب جزام [4] الذين اجتاحوا مع غيرهم من العرب المهاجرين من مصر جنوبا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على دارفور . واتخذ اولئك الاعراب .

---

(١) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص ٥٤

Caleman, J.: Nigeria, Back ground to nationalism. P. 22

(٢) مصطفى سعد : الاسلام وحركة الفلان الاصلاحية فى غرب افريقيا مجلة جامعة ام درمان . العدد الاول . ص ٢٢ .

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٥٩ .

هذه المنطقة قاعدة لشن غاراتهم على ما جاورها من الاقاليم حتى مملكة برنو فــي الغرب [1] والذين تعاونوا مع الجلالة على ملوك برنو وهجموا في قتل السلطان عمر بن ادريس واستولوا على كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد من عاصمة الكانم نجيمي واستباحوا استرقاق الاهالى رجالا ونساء شبابا وصغارا وحملوا الكثير من وجوههم في شكل رقيق الى مصر وما جاورها من الاقطار العربية [2] .

وقد وردت هذه الرسالة الى مصر في عام ٧٩٤ هـ ـ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ مع ابن عم السلطان البرنوي مع هدية قيمة بعث بها الى سلطان مصر وهــي عبارة عن رقيق وغيره [3] وهي في ورق مربع السطر بخط مغربي وليس بهــا هوامش في أعلاه ولا في جانبه وتتمة الكتاب في ظهره من ذيل الكتاب .

وقد كان ملوك السودان الغربي بما فيهم ملوك برنو في نظر ديــوان الانشاء بمصر في مرتبة اقل من ملوك المغرب واحتوت نماذج المراسلات بين مصــر وملوك برنو الدعاء لهؤلاء الملوك باستمرار حفظ حجاجهم . ولكن لم يكن ذلــك لتجربة المجاملة فحسب بل لان الدولة المملوكية كانت تفرض المكوس على حجــاج

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى . ص ٢٨٥

(٢) ابراهيم بن صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو [illegible]

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى : جـ ٨ : ص ٨ .

تلك البلاد ، وتجارتهم التي تدر على الخزانة المصرية دخلا طيبا ، كذلك تدل هذه النتائج على معرفة الدولة المملوكية بأحوال تلك الديار ، ذلك الدهاء لملك برنو بالنصر على أعدائه المجاورين من الهمج المعروفين بالدمادم وكانت بلاد السودان مهتمــة بالأحداث السياسية الكبرى التي تجرى في مصر المملوكية وخاصة الخطر التترى (١) .

ويتضح من الرسالة المتبادلة بين السلطان برقوق سلطان مصر وملك برنو أنها تحمل بين سطورها شيئا من الحذق والتوسل معا ، ودليل الحذق بادية أيضا فيما سلفت الإشارة إليه من تنبيه سلطان برنو على مخالفة المصطلح الدبلوماسي في مكاتبة السلطان المملوكي وبرر القلقشندي ذلك بأنه جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يهتدون إلى خصائصها (٢) .

وأما ما يضيف وجاهة هذا التعبير ، ما جاء في ختام الرسالة قال تعالى لنبيه داود عليه السلام ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والسلام على من اتبع

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ، ص ص ٥٤ـ ٥٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

الهدى ، فالايدى صحبها الدار هشف ، كما أن السلام بتلك العبارة من ملك البرنو المسلم ، الى السلطان المملوكي فيه إهانة لشخصه ، إذ المعروف أن هذه التحية لا توجه إلا لغير المسلمين .

وقد أظهر السلطان برقوق عدم اكتراثه بأمر هذا الكتاب فلم يرد عليه الا بعد ستة سنين وجاء الرد على ظهر الكتاب دليلا على أشغاله لشأن صاحب برنو (١) .

كذلك يمكن أن يستدل من بين سطور تلك الرسالة على المكانة السياسية والنفوذ الذي كان لمصر في تلك الديار وسلاطينها وذلك كما جاء بأن الملك مصر الجليل ، أم الدنيا .

كذلك كان حكام السودان الغربي والأوسط كانوا يهتمون بأن يحيطوا سلطانهم بسياج من الصفة الشرعية وتدعيم ملكهم ومن هنا فقد كان كثيرا من سلاطينهم يطلبون من الخليفة العباسي بالقاهرة تقليدا بتفويضه حكم بلاده ، وعادة كان الخليفة يمنح هذا التقليد وذلك لأن هذا التقليد كان يكسبهم تأييدا بين مسلمي بلادهم وكان هذا من العوامل التي ساعدت على ربط تلك البلاد سياسيا بالقاهرة .

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ، ص ٥٦

(٢) الهادي الجمل : تاريخ العلاقات المصرية الافريقية ، المحاضرات غير منشورة ، القيت بمعهد الدراسات الافريقية ، سنة ١٩٧٢ .

وقد حاولت اسرة البلالة التي استولت على الكانم في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي الحصول على التأييد الشرعي لحكمها من السلطنة المملوكية والخليفة العباسي ، الذي كان يقيم في مصر في ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تظفر بشيء من التأييد بالرغم من الهدايا والاموال التي أرسلتها الى مصر (١) .

وقد حج من سلاطين برنو الكثيرون ، وأن هؤلاء السلاطين قد استقروا بالقاهرة فترة طويلة وهم في طريقهم الى أرض الحجاز ، وذلك حتى يتجمع الحجاج ويخرج المحمل وكسوة الكعبة التي كان يرسلها حكام مصر الى مكة كل عام ، وأن هؤلاء السلاطين ، قد اختلطوا بحكام مصر وعلمائها وقضاتها وفقهائها ، وربما يكونوا قد حضروا دروس الدين التي كانت تدرس بالجامع الازهر وناقشوا امور الدين مع العلماء المصريين واشتروا الكتب الدينية من القاهرة ، وحملوها معهم عند عودتهم الى بلادهم ، واقتبسوا كثيرا من النظم الادارية والتعليمية والثقافية التي كان معمولا بها في مصر وحاولوا تطبيقها في بلادهم مع ملائمة ذلك للاحوال والظروف السائدة في تلك الديار (٢) .

---

(١) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ص ٥٤

(٢) شوقي الجمل : المرجع السابق ، معهد الدراسات الافريقية ، ١٩٧٢ م .

وقد توثقت العلاقات بين مصر وبرنو وزادت هذه العلاقات توثقا في نهاية السلطنة البرنية ، بالاضافة الى أن مصر ارتبطت بروابط قوية مع كثير من بلاد السودان الغربي والاوسط ، اذ أن ملوك السودان الغربي كانوا يخطبون لانفسهم تحت مظلة الخليفة العباسي في بغداد [1] .

ولكن كيف تكون لهذه البلاد صلات وروابط مع بغداد ولا تكون هناك صلات قوية مع القاهرة بعد سقوط الخلافة العباسية وانتقالها الى مصر . ذلك أن القاهرة أقرب اليهم وهم في طريقهم الى الحج ولا أقصر وجوه صلة بين بغداد والسودان الغربي اقوى من الصلة بين السودان ومصر . ذلك لان مصر تجاور برنو ، كانم من ناحية الواحات وأيضا طريق مصر ، فزان الذي كان طريقا مصريا وآمنا للاتصال وبمراحل معلومة [2] .

وذكر ديفان هوبير أن أحد سلاطين برنو قابل وهو في طريقه للحج الى مكة خليفة المسلمين العباسي بالقاهرة اذ ذاك وطلب منه الخلع والقابا ولما عاد من الحج أعاد تنظيم مملكته على أساس ما رآه من النظم الاسلامية في الممالك الاسلامية التي مر بها [3] .

---

(١) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٦ .

(٢) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص ٩٩

(٣) ديفان هوبير : الديانات في افريقيا السوداء ، ص ١٢٤ .

((العلاقات السياسية مع دول الشمال الافريقي))

تاخم جنوب المغرب "الشمال الافريقي" بلاد السودان مقابلا لها لطرابلس وفزان ، ويقع بينهما وادي الرمال ، وتوجد صحراء واسعة بين أرض المغرب وبلاد السودان وفي أطرافها سكان من البربر في قلب البر توجد مياه (1) عليها قوم منهم وهذه الصحراء التي بين المغرب وبلاد السودان قليلة المياه ، متعذرة المياه ، لا تسلك الا في الشتاء ومسالكها في حينه مهلكة السفر دائم الورود والصدر (2) .

ومن هنا فقد ارتبطت تلك الدولة وغيرها من دول السودان الغربي والاوسط بدول شمال افريقيا اكثر من ارتباطها بمصر ، ذلك لكثرة الدروب الصحراوية التي تصل هذه البلاد مع بلدان الشمال الافريقي (3) .

ولقد ساعدت هذه الطرق الصحراوية التي امتدت من الشمال الى الجنوب الى اطراف الصحراء الكبرى على تدعيم اسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين هذه البلاد وشمال القارة الافريقية ولا بد أن الصلة المباشرة بين الطرفين قد وجدت تعبيرا صادقا وحيا (4) .

---

(1) يقصد بالمياه هنا بحيرة تشاد والانهار التي تصب فيها .
(2) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .
(3) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصر الوسيط ، ص ٥٢ .
(4) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ١١٥ .

وتشير بعض أساطير جماعات الهوسا وبرنو وهي الأساطير التي تناقلها الأبناء عن الآباء والتي كانت تروى مشافهة على أنه قد حدثت علاقات مع الشمال ذلك هو وجود عناصر البلاء بين هؤلاء القوم ، فقد كان حكام برنو الذين كانت سلطتهم قديمة آخذة وضعها كدولة قوية منذ عصر السلطان على غازى مبتعدا بعيدا عن الزنوج فانهم يراعون دائما التوجه الى الشمال لاختيار زوجاتهم من طبقة النبلاء (١) .

وقد عمل سلاطين برنو على تدعيم العلاقات الخارجية لبلادهم مع الدول المحيطة بهم وتوثيق الصلات ولا سيما مع بلاد الشمال الافريقى وذلك عملا على بناء الروابط والصلات الطيبة بين البلدين والتى كان اقامهـا الاسلافهم ، حكام الكانم قبل رحيلهم الى برنو ، فقد قام السلطان على غازى (١٤٧١ ـ ١٥٠٤ م) بعد أن أسس العاصمة برنى باتباع سياسة الصداقة والمودة مع الدول المجاورة ، وقد ساعد ذلك على كسب صداقة ومآزره الدول الاخرى ومعاونتها ، وقام بتجديد علاقات برنو مع دول شمال افريقيا فى شتى المجالات (٢) .

وقام السلطان ادريس بن على (١٥٠٤ ـ ١٥٢٦ م) بارسال سفارة الى طرابلس فى عام ١٥١٢ م ، وذلك سيرا على سياسة والده فى ضرورة تدعيم

---

(١) Oliver, Page.: A short history of Africa. P. 63.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

روابط الود والصداقة مع دول شمال افريقيـــــا (1) .

وفي اثر الاحداث التي مرت بها برنو كما بينا . مدى فائدة الروابط
مع الشمال الافريقي في تدعيم الوضع الداخلي والخارجي للبلاد .. وجـــاء
بعده ابنه السلطان محمد بن ادريس (١٥٢٦ - ١٥٤٥ م) فقام بارسـال
سفارة مع هدية قيمة الى حاكم طرابلس وذلك في عام ١٥٣٤ م وذلك حرصـــا
على تدعيم الروابط الاخوية والصداقة التي كانت قائمة بين البلديـــــن
منذ عهود قديمة . وذلك ضمانا لحسن الجوار وبقاء الطريق التجاري متصلا
آمنا . ولا بد أن هذه العلاقة كانت تعود بالنفع على كلا الطرفين (2) .

وقام السلطان ادريس الوما (١٥٧١ - ١٦٠٣ م) بارسال سفارة
تحمل معها الهدايا القيمة الى طرابلس وذلك في عام ١٥٧٨ م . وذلــك
عملا بنصيحة والدته ولكي يضمن ان يصبح الطريق التجاري الذي يربـــط
طرابلس بـ فزان - كوار - برنو ، مفتوحا للقوافل على الدوام وأيضـــا
لكي يضمن سلامة وأمن القوافل التي تمر بهذا الطريق . وذلك لان السلطان
ادريـــس الوما كان في أمس الحاجة الى الشمال الافريقي لان جيشــــه

---

(1) Barth,H., Op. Cit., P. 590.

(2) Barth,H., Ibid., P. 592.

كان يستخدم البنادق والبارود وكانت هذه الاسلحة والذخائر ترد اليه من الشمال والشمال الشرقي للقارة الافريقية .

وأيضا فان القوافل كانت تأتي بأعداد كبيرة من الخيول العربية التي يتم بيعها في برنو وكان يستخدمها ويعتمد عليها جيش برنو . ولضمان أمن الطريق مع الشمال ودوام الاتصالات فانه قام بكسر شوكة الطوارق وأجبرهم على الخضوع له وأن يعيشوا في سلام وأن يدينوا له بالولاء (1) .

ولقد ارتبطت برنو بعلاقات في الود والصداقة مع دول المغرب الاقصى وأنه كانت بينهم علاقات وثيقة منذ ٧٠٠ هـ أى قبل رحيل الاسرة المالكة من كانم الى برنو . فقد راسلوا ملوك الحفصيين في تونس واستمر هذا الاتصال ودوام أهل برنو على انتظام الاتصال حتى كان عهد ادريس الوما والذى قام فى عام ٩٩١ هـ أى بعد توليه عرش البلاد بأحد عشر عاما . بارسال رسول منه الى الخليفة المنصور فى مدينة فاس بالمغرب وأرسل مع الرسول هدية نفيسة الى أمير المؤمنين فى المغرب وكان من أغراض الرسالة التى أرسلها الى الخليفة أنه يطلب المساعدة من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد . وعدد البنادق

---

(1) Barth, H., Op. Cit. P. 593.

ودافع التتار وذلك لجهاده الكفار ولنصره الاسلام وقام الخليفة المنصور بارسال هدية من الخيل الى السلطان ادريس مع أرسال بعثة له طالبا منه الدخول تحت طاعته والاعتراف بأنه أمير المؤمنين والدعاء له في الخطبة يوم الجمعة [1] .

وكانت هذه الرسالة في عام ١٥٨٠ م أى قبل أن يقوم سلطان المغرب بغزو سنغاى بعشر سنوات وأن أن سلطان المغرب أمر بغزو سنغاى في عام ١٥٩٠ م [2]

وأما السلاطين الذين تولوا أمور برنو بعد السلطان ادريس الوما على الاتصال ببلاد الشمال الافريقي ولو أن هذه العلاقات قديمة اذ نجد أن ابن خلدون يذكر أن سلطان الكانم - برنو قد قام بارسال سفارة الى تونس في عام ٦٥٠ هـ - ١٢٥٦ م ويذكر هذه السفارة على أنها من صاحب برنو [3] . وقد اشار السمهودي الى ذلك فقال أن صاحب برنو من ملوك السودان قد أهدى الخليفة المستنصر في تونس هدية قيمة وطريفة [4] وذلك لان الخليفة المستنصر كان قد وسع حديقة ملكه في تونس وضم طرايف الجوائز وبواكير هنا قد حرص

---

(١) السلاوى : الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ - ١٠٥

(٢) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٧٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٦ ، ص ٢٩٩ .

(٤) السمهودي : الخلاصة الذهبية في أمراء افريقية ، ص ٥٦ .

ملوك كانـــــم - برنو • على الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع سلاطين وخلفاء الشمال الافريقي [1] .

وقد ترتب على تبادل الهدايا والسفارات بين برنو وبلاد الشمـــال الافريقي أن توثقت الروابط ونشطت حركة التجارة وأصبح التجار يحضرون معهم البضائع من الشمال والتي يحتاج اليها أهل الجنوب بل وأخذت تقدم القوافـــل الى برنو • بعد أن اصبحت الطرق فى أمان وأصبح السفر ميســورا • ولم يحـــدث هناك حوادث لقطع الطرق كما كان يحدث فى الماضى من تعرض القوافل للسلب والنهب [2] .

وكانت الامراء والشبان الجميلة والاشياء الغالية التى يحتاج اليهـــا سلطان برنو وحاشيته تحمل لهم الحضـــرة الرئيسية • [3].

وقد أخذ نفوذ برنو السيـــاسى يزداد على كل الصحراء الكبرى وأصبـــح لها نفوذ فى دول الشمال الافريقى وذلك لان برنو كانت تحت حكم سلاطيـــن أقوياء أمثال ادريس الوما أستطاعوا أن يرفعوا مكانة بلادهم وأن يمدوا مـــن نفوذها حتى وصلت الى أقصى مراحل القوة فى القرن السادس عشر وأوائـــل القرن السابع عشر حتى وصل نفوذها الى فزان وطالب السلطان ادريس الوما

---

(١) نقولا زيادة : الرحالة العـــرب • ص ٣٩ •
(٢) Shinnie, M.: Ancient African Kingdoms, P. 70.
(٣) ابن سعيد المغربي : بسط الارض فى الطول والعرض • ص ٢٨ •

من السلطان العثماني يخصها الى بلاده [1] .

وصلت حدودها الى السودان الشرقي ووفادات العلمية الاسلامية التي انتشرت على برنو من مطلع البلاد الى الشمال الافريقي اذ لم تحل وجود الصحراء دون دوام الاتصال مع تلك الدول ووصلت الاثار الاسلامية العربية الى هذه المناطق السوداء جنوب الصحراء ووصلت اليها العلوم الاسلامية والنظم الاسلامية والاجتماعية حتى في مظاهر الذي ولم تكن لهذه الدول أي جانب من جوانب السيطرة . أو السيادة السياسية او أي نوع من أنواع الحماية على تلك البلاد فقد ترك الاسلام الوطنيين في السودان الاوسط لانفسهم وبلادهم [2] .

على أن الاتصال بين افريقيا جنوبي الصحراء وغربها وبين العالم الخارجي المطل على البحر المتوسط سواء في الشمال أو الشمال الشرقي من الناحية ظاهرة قديمة ومستمرة هذه الاونة الحديثة ودلت الاثار المكتشفة على أن غرب افريقيا ووسطها كانا مركز نشاط وحضارة وأن الاثر الشرقي كان بارزا في مدن تلك البلاد . ولكثرة الاثار الشرقية الاسلامية وانتشارها في العصر الاسلامي في تلك الديار خلال العالم الاوسط لخمسة قرون . يعتقد أن بلاد السودان ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الاسلامي [3]

---

(١) السعدي : الخلاصة النقية في امراء افريقية . ص ٥٦ .

(٢) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا (مجلة اداب القاهرة مجلد ٢٧ . ص ٥٤ ـ ٥٨ .

(٣) ابراهيم طرخان : البرتغاليون في غرب افريقيا (سلسلة اداب القاهرة . مجلد ٢٥ . ص ٣٢ ـ ٣٣ .

ومن هنا فان الروابط كانت وثيقة بين برنو وبين بقية العالم الاسلامي وخاصة دول الشمال الافريقي ، وقد لعب طريق المواصلات الشرقي طرابلس – فزان – كوار – بحيرة تشاد ثم الى برنو ، دورا بارزا في توطيد هذه العلاقات (1) .

وكانت ليبيا لكونها ومدا الى حلقة الاتصال بين المغرب وشعبه وحضارته وثقافته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبين السودان جنوب الصحراء . ولقد نال أهل البلاد الاصلية نصيبا من الثقافة الاسلامية سواء في ميادين السياسة أو الحرب وذلك للدور الذي لعبته هاتين القبيلتين (2) .

وأيضا فان مجيء الهجرات الواسعة من الشمال الافريقي عبر الصحراء واتصال العرب بالزنوج في السودان الاوسط قد أوجد دولا عظيمة وممالك ذات شأن وحضارة راقية مثل برنو وهذه الدول الاسلامية السودانية اتصلت بالدول الاسلامية المعاصرة لها في مصر والمغرب ولابد لمرؤسائهم استفادوا من هذه الاتصالات احسن استفادة اذ اقتبسوا منها بعض نظم الحكم (3) .

وكان قيام جيش مراكش عام ١٥٩٠ م بالاستيلاء على سنغاي وعبور هـذا الجيش للصحراء وتحطيمه اسكيا بن سكيا ، وتدمير العاصمة تمبكتو خسارة للحضارة

---

(1) Bovill, E.: Carvors the old sharo. P. 24.

(2) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(3) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة القبائل في غرب افريقيا ، ص ١٢١ – ١٢٢

في سنغاي ، وبذلك اثرت الحضارة الاسلامية وقد صورت مكانة تمبكتو وساءت
أحوال البلاد . وتركت هذه الغزوة التي جاءت من الشمال اثرها على
برنو (١) .

على أنه يمكن القول أن العلاقات السياسية بين برنو ودول الشمال
الافريقي كانت دائما مستمرة ومتصلة مهما بلغت الظروف السياسية والاحوال التي
كانت تسود جنوب الصحراء اذ أن قوافل الحجاج كانت تسلك الطريق
الصحراوي المؤدي الى الشمال في كل موسم حج وأن حكام برنو كانوا
يرسلون الهدايا مع قوافل الحجاج الى حكام الشمال . وأن موكب أهل
برنو القاصد الى بيت الله الحرام كان لا يخلو دائما من أحد السلاطين فان
لم يكن فلا بد أن يكون في الموكب أحد افراد الاسرة الحاكمة أو الامراء . أو
أحد افراد طبقة القوم الذين كانوا ذوو شأن ونفوذ قوي في بلادهم . ولا بد
أن أمير البلاد أو من ينوب عن السلطان كان يحمل معه الهدايا والرسائل
الى حكام طرابلس .

---

(1) Johnston, H.: A history of cobolisation Africa. P. 63.

((حـ / العلاقات السياسية مع غرب افريقيا))

كانت العلاقات التي تربط برنو ببلاد غرب افريقيا تتسم بنوع المودة والعلاقات الطيبة وأحيانا كانت العلاقات تخضع لنوع من الحروب المتواصلة والمشاحنات وتارة تتسم العلاقات بنوع من توقيع معاهدات الصلح بيـــن الاطراف وذلك أن بعض الاجزاء من السودان الغربي كانت خاضعة لنفوذ برنو وكانت ترتبط ببرنو اكثر من ارتباطها بأى جهة أخرى . والاحداث تذكر أن احد سلاطين مالى واسمه ساكورا " Sakura" والـــذى حكم فى أواخر القرن الثالث عشر وحول طريقة لزيارة الاراضى المقدسة فى الحجاز لتأدية فريضة الحج من وطنه مالى الى مكة . قد قتل على يـــد أهل دنقلة بالسودان الشرقى ولكن جسده حفظ ونقل الى بلاد برنـــو وقام سلطان برنو . بارسال من يعلم أهل مالى والبلاط السلطانى بذلـــك الحادث . وبعد أن علم أهل مالى بذلك ارسلوا سفارة الى سلطـــان برنو للشكر على ما قام به ولكى تسلمه جثمان الملك الذى قتل[1] .

وقام السلطان على غازى (١٤٧٢ ــ ١٥٠٤ م) بعد أن استغاث به سلطان أهير[2] بتجهيز جيشه لينقذه من مضايقات سلطان كيبـــى

---

(1) Meeh, C.K.: The Northern trikes of Nigeria vol. 1. P. 63.

(٢) أهير أو اير . احدى امارات الهوسا السبع التى قامت فى غرب سلطنة برنـــو .

- السلطان كاتشا - والذى كان قد حصل على أستقلال بلاده من سلطنة سقناى وأخذ يتوسع على حساب الامارات التى كانت تحيط به [1] .

وخرج السلطان على غازى بقواته سائرا الى نجد ، سلطان أهير لعبور أراضى كاتسينا ودورا ، وأنضم الى جيشه عدد كبير من أهل تلك البلاد ، الا أن السلطان كاتشا كان يرفض المجابهة ويختار الا تواجه قواته قوات برنو القوية وفضل الالتجاء الى حصنه المحكم وحاصرت قوات برنو عاصمته سوارى ولكن السلطان على لم يستطع الاستيلاء عليها [2] .

وأضطر السلطان على الى رفع الحصار والعودة الى بلاده ، ولكنه بعد أن لقى كاتشا ، ربما والسبب أن كاتشا سار بقواته بعد رفع الحصار وراء قوات برنو وذلك بعد أن وصله المدد من سلطان سقناى وأستطاع أن يلتحم مع قوات برنو وجرى بينهما قتال عنيف أستشهد فيه الكثير من قوات برنو ، ورجع السلطان على بما تبقى من قواته وعاد كاتشا أيضا الى بلاده [3] .

وكان السلطان على بن غازى مضطرا أن يدافع عن هذه البلاد التى أخضعها لنفوذه وأصبحت تابعة له عندما كان يحاول كاتشا معاودة الهجوم عليها [4] .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.

(٢) ابراهيم صالح : نفس المرجع ، ص ٨٢ .

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 590.

(٤) Meek, C.K.: OP. Cit. P. 80.

وقد وجدت روابط قوية مع برنو وأمارات الهوسا . ذلك أن أم السلطان قاضى بن ادريس (١٣٩٩ - ١٤٠٠ م) كانت من امارات الهوسا ويبدو أن والده قد تزوجها لظروف سياسية . وأيضا فان السلطان عثمان بن داود (١٤٣٢ م) حين طرد من عرش برنو . ذهب لاجئا الى امارات الهوســـا (كانو) وبقى هناك حتى مات أو قتل .

وكذلك فان السلطان محمد بن ادريس (١٥٢٦ - ١٥٤٥ م) دخل فى صراع عنيف مع السلطان تومو Tomo حفيد السلطان كانتا سلطـــان كبى والذى قاتله السلطان على غازى . ولكنه لم تكتب الغلبة لاحدهما علـى الاخــر[1] ولكن السلطان محمد بن ادريس . وسع حدود برنو غربا حتـــى كابار Kabara وهى ميناء مدينة تمبكتو .

وقام السلطان دوناما بن محمد (١٥٤٦ - ١٥٦٣ م) بعقد اتفاقيــة سلام مع الامارات التى تقع غرب شاطئ بحيرة برنو وخاصة امارة داجـــوت Daragot (٢) .

وقام السلطان قاضى بن عثمان (١٤٤٠ - ١٤٤٦ م) بارسال رسالة

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 587 - 590.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 592.

الى مرابطي واحة توات [١] .

وكتبت هذه الرسالة بتاريخ العاشر من شعبان ٨٤٣ هـ وجاء في هذه الرسالة من السلطان قاضي سلطان برنو . أيده الله ونصره . الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم اثنى الكاتب على السلطان من جديد حتى قال أما بعد فالى المرابطين الذين من الشيخ مختار وسيدى عمر الشيخ والى سائر اخوانهم . والى ديخه العلم حاليا بتوات السلام عليكم جميعا . وبعد . فقد عجبنا من امركم لهذا تركتم عادة كبرائكم لماذا انقطعتم من النزول الينا . وارسال البعثات الى بلادنا . منذ عهد كبيرنا السلطان جعفر . فانتم لم تعودوا الينا منذ ذلك الحين .. لماذا هذا انى أقسم بالله انه لن يصيبكم أى شيء من الاذى فيها لو جئتم لا من جيشى ولا من أحد غيرى . نسألكم أن تأتوا اذن كعادتكم وكل من جاء من توات حاملا معه رسالة منكم . لا يسألونه عن شيء من الرسوم . لان البلاد بلادكم كما كانت بلاد اسلافكم [٢] .

---

(١) تقع واحة توات الى الشمال الغربي من سلطنة برنو وكان سلاطين برنو يطلبون مساعدتهما هذه الفترة .

Hodgkin,T.: Nigerian perpsectives. P. 80. (1)

Hogkin,T.: OP. Cit. P.P. 80 - 81. (2)

وهذه الرسالة تدل على أن العلاقات بين برنو ومرابطي واحة توات قديمة وثابتة وأن أسسها قائمة على الاسس الاسلامية السليمة . وكانت برنو تدين في ذلك العهد لمرابطي توات بالكثير لقيامهم بنشر العلم والمعرفة في ربوع البلاد . وهذه الرسالة تدل على العلاقات الطيبة بين برنو وبينهم (1) .

ولقد كان السلطان علي غازي هو أول سلطان يطلب مساعدة سكان توات في عام ١٤٧٨ م وذلك لمساعدته ضد البلالة . وأيضا يطلب منهم أن يقوموا بزيارة بلاده (2) .

وأن اسلاف السلطان قاضي قد عقدوا معاهدات صداقة وحسن جوار مع هؤلاء القوم واحة توات فقد ارتبطت بعلاقات طيبة مع برنو لفترة طويلة (3) .

وأنه قبل نهاية القرن السادس عشر الميلادي كان امارة كاتسينا وبعض امارات الهوسا الاخرى . أصبحت تابعة لبرنو واستمرت على تلك الحال أكثر من مائتي سنة . وليس هذا فقط بل أن برنو في القرن الثامن عشر كانت تفرض سيطرتها على شمال شرق امارات الهوسا وكانت تحكم امارة كانو .

~~Hodgkin,T.: Op. Cit. P.P. 80 - 81. (1)~~

Hodgkin,T.: ibid. P. 81. (٢)

Palmer,R.: The Bornu sjata and sudan.P. 224. (٣)

cooley,W.: The Norgo land of the arabes. P. 128(3)

امارة الجوكين وكانت قد دخلت تحت سيادتها وأيضا كان امارة زاريا zaria كانت عادة مستقلة ، الا أنها أحيانا كانت تخضع لنفوذ وحمايــــة برنو وكان كثيرا من امراء الهوسا يخضعون لبرنو ويدفعون لها الجزية حتى قدوم لفتوحات الفلاتة في عام ١٨٠٨ (١) .

وكانت هذه الامارات قد خضعت على يد السلطان ادريس الوما وأصبحت تابعة لبرنو في كل ما يتصل بها من الامور الداخلية والخارجية ، ولكن ما يحقق الصلة والروابط بين برنو وامارات الهوسا ما تذكره بعض الاساطير ، أن أهــل هذه الامارات قد جاءوا من الشرق من برنو ، وأنهم عاشوا فيها فترة مـن الزمن ثم نزحوا بعد ذلك غربا (٢) .

يذكر صاحب كتاب انفاق الميسور " أن بلاد الهوسا يسميها السودانيون من ممالك البيري ، أهل برنو ، ويطلقوا أن عبد السلطان برنو ، هـــو الذي ولد السودانيين من أهل ذلك البلد ، وأن أهل هذه الامارات السبع من ولد باو ، الذي هو مملوك سلطان برنو (٣) .

وكانت أرض هذه الامارات مسرحا للقتال بين برنو ، وسنغاي ثــم بعد ذلك بين برنو وكبـــــي ، ولقد سعت كل من القوتين للسيطـــرة

---

(١) Bovill, E.: OP. Cit. P.P. 223 - 227.

(٢) Kupev, H.: urbonization and imngration in west Africa P. 40.

(٣) محمد بلو : انفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٢٨ ـ ٢٩

عليها وفرض نفوذها على ذلك الجزء من السودان الشرقي [1] ولكنها في أغلب الأوقات كانت تخضع لنفوذ برنــو .

ولعل ما يدل على وجود الروابط السياسية بين برنو وبلاد غرب افريقيا هو الموقف الذي وقفه السلطان ادريس الوما ، الذي كان سلطانا شهما ، . أنجد ابناء عمومته شعب سنغاي وهم في محنتهم اثناء دفاعهم عن بلادهم ضد الغزو المغربي ، فقام بارسال القوات العسكرية والمعدات والمؤن والمساعدات وذلك لكي يساعدهم في وقف الزحف المراكشي القادم من شمال غرب القارة . الافريقيـــة [2] .

وفي عهد السلطان محمد بن ادريس (١٦٤٥ ــ ١٦٨٤ م) والذي حاصره الطوارق من الشمال والجوكون من الجنوب الذي نجح في فـــك هذا الحصار الفاشــل ، وذلك بأن أوقع بين القبيلتين المحاصرتين للعاصمة برني . ولكنه من ناحية أخرى اعترف الجوكون كدولة لها كيانها السياســي المستقل وتبادل معها السفراء محافظة على العلاقات الودية والطيبة ، وخلافا لعدم قيام الجوكون بغزو بلاد برنو مرة أخرى ، وتجنبا لاسباب الاحتكاك [3] .

---

(١) عبدالرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٨٤ .
(٢) عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٣) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٣٢ .

ومما لا شك فيه أنه في أثناء حصار هذه القوات للعاصمة برنيس فان هناك قوات من امارات الهوسا حيث ساهمت في فك هذا الحصار كذلك فانه عندما تقدمت قوات الفلاته للاستيلاء على امارات الهوسا ، فان امرائها بادروا بالكتابة الى سلطان برنو لكي يساعدوهم على هؤلاء الاعداء لانهم كانوا يخضعون لسيطرة برنو ، ويدفعون الجزية للسلطان سنويا بل أكثر من ذلك أنهم كانوا يلجأون اليه كلما اشتدت بهم الملمات كهذه التي تعرضت لها بلادهم [1] .

---

(١) على ابوبكر : المرجع السابق ، ص ٥٣

((د / العلاقات السياسية مع السودان))

ليس أدل على وجود علاقات سياسية بين برنو والسودان من أن الطريق الذي كان مصدرا لكثير من الهجرات القديمة والحديثة التي تتجه الى الجنوب ثم تتسرب الى السودان .

وفي القرن السادس عشر تكونت مملكة سنار ، التي يرجح أن تكون هذه المملكة قد تأثرت الى حد كبير ببلاد برنو ، وأيضا بالتيارات السياسية والموجات البشرية القادمة من منطقة بحيرة تشاد الى المناطق النيلية . ولقد كانت سلطنة برنو من المراكز الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في دارفور وسنار [1] .

وكانت سلطنة برنو ذات صلة وثيقة بالمملكتين اللتين تأسستا في السودان (مملكة دارفور ومملكة الفونج) إذ نجد أن سلطنة دارفور قامت على أيدي الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من بحيرة تشاد جنوب الصحراء الليبية وربما قدموا من تونس واخترقوا برنو ، حتى وصلوا الى دارفور [2] .

وأن سلطنة برنو هي الوطن الاصلي للفونج وأن هناك روايات وطنية تروى

---

(١) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ٣٥ ــ ٣٨

(2) Arkell, A.T.: A history of the sudan, P.P. 206 - 208)

أن دارفور ووداى كانتا خاضعتين لسلاطين برنو ، ومن بين الادلة الــــتى ساقها اركل لهذه الصلة أن دارفور ، كانت تتبع المذهب المالكى فى الفقه وهذا معناه ان الاسلام جاء من الغرب ، أى من سلطنة برنو ، والتى كانت اقرب الممالك الاسلامية القديمة الى دارفور وأن السلطان ادريس الوما ، الذى دخل فى معارك مع باجرمى استطاع أن يخضع دارفور لسيطرة برنو (١) .

وفى روايات برنو الوطنية ان سلطنة سنار التى قضى عليها الاتراك عام ١٨٢١ م (٢) وأسسها شخص من سلالة سلاطين برنو ، كان قد هرب من برنـو أثناء حرب داخلية نشبت بين أمراء الاسرة المالكة قبل عام ١٥٠٠ م ، وأدت تلك الحرب الداخلية الى انقسام بين افراد الاسرة الحاكمة حول ولاية العرش ويروون ذلك بأن احد ملوكهم واسمه داى عثمان طرده من برنو عام ١٤٨٦ م وأنـــه ذهب الى كردفـــان (٣) .

وعلى ذلك يمكن القول ان سلطنة الفونج تكونت على أيدى داى عثمـــان أ(احمد دينقه ، أنه كان اول ملوك الفونج عمارة دونقس كما تقول الروايـــات السودانية ، فلكن عمارة هذا هــو احمد دينقه داى عثمان ، ولا سيما أنه عرفنا

---

(١) Arkell, A.T.: OP. Cit. P. 212.

(٢) المقصود بالاتراك هنا هو الفتح المصرى للسودان الذى تم فى عهد محمد علـــى .

(٣) palmer, A.J.: OP. Cit. P. 222

أن لفظ مارة يتردد كثيرا في أسماء ملوك برنو لذلك يمكن أن نفترض أن الفونجيين حين دخلوا على مملكة سوبا المسيحية وأسسوا ملكهم بقيادة حاكم من الأسرة الهاوية من برنو وأن هناك أفواجا من البرنويين قدموا مع هذا الحاكم . وتولوا أول الأمر على النيل الأبيض فكان يسكنه قوم من الشلك وأصبح لهم نفوذ بين الشلك ثم حاولوا تثبيت أقدامهم بين نصارى سوبا وأسسوا بعد ذلك مملكة سنار وأن لفظ الفونج يرتبط بلفظ فون Fune وهو أحد السلاطين الذين حكموا برنو (1) وأن المعنى اللفظي لكلمة فون عمل النظام الذي يطبقه الملوك في السودان (2) .

وأن هذه الفئة الوافدة من برنو على مملكة سوبا المسيحية إنما جاءت عن الطريق التجاري الكبير في الصحراء وأنها بها استطاعت أن تحصل على أسلحة من تونس واستطاع ملك برنو بهذه الأسلحة النارية والدخان الذي تحدثه في أيدي القليل من جنوده أن يبسط سلطانه حيثما يريد وحيثما يمكنه من إلى المناطق التي يسيطر عليها (3) . وأن تكون لهذا السلطان المفهمة

---

(1) Palmer, A.J.: OP. Cit. P. 223.

(٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(3) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 206 - 208.

وأن يحكم هذه الديار وينشر الاسلام بين ربوعها (1) وأن يقيم سلطانـــه بعيدا عن برنو في هذه الاراضي السودانية بعد أن طرده من وطن آبائـــه وأجداده برنو (2) .

وقد أثرت حضرت هذه السلطنة وعظمت مكانتها وسادت المنطقة وعقدت لها علاقات وصلات وثيقة مع البلاد التي تقع الى الغرب منها مثل وداي وكانـــم وبرنو وأمارات الهوسا في السودان الغربي (3) .

ومما يؤيد في تدعيم الروابط والصلات بين السودان وسلطنة وارفـــور ما تقول به الاساطير ، بأنه يوجد في شمال دارفور قصرا ومسجدا للملك شـــو shaw آخر سلاطين التنجور ولكن الواضح أن هذا البناء ، أقامـــه أحد سلاطين برنو في القرن السادس عشر الميلادي لكي يكون القصر مقـــرا له ، والمسجد لكي يتخذ مكانا للعبادة (4) .

وأيضا فانه يوجد على بعد ٢٠ ميل غرب مدينة دنقلة الحديثة كما أشـار الى ذلك دركل مدخل باب رئيسي صغير على هيئة الطراز الذي كان يستخدم في برنو وأن القصـــر الملكي في دارفـــور يعود لفترة هذا الاحتـــلال

---

(١) مكي شبيكة : مملكة الفونج ، ص٦٨ .

(٢) مكي شبيكة : السودان عبر القرون ص٦ .

(٣) Mandur El Mahadi: Ashort history of the sudan. P. 54.

(٤) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 191 - 192.

البرنو لبلاد الســودان [1] .

وهناك اشارات الى ان ارض [illegible] قد تعرضت للغزو من أحد امراء الغرب ربما جاء من برنو . وربما لم تكن هذه الا محاولــة لاخراج الدعلاء . وهذا يعنى أن قوة المسلمين التى جاءت الغرب خلــف جلبت الخوف والرعب لكل القبائل التى تعيش فى ارض الســودان . وأن أحد الحكام فى دار زغاوة بشمال دارفور يعلن انه ينحدر من سلالة السلطان محمد سلطان برنو وأن ذلك ليس مستبعدا . حيث أن برنو قد ظهرت قوتهــــا فى القرن السادس عشر الميلادى وسيطرت على مساحات واسعة من الارض وصلت نفوذها السياسى والعسكرى حتى دارفور [2] .

وعاشت بعض القبائل مثل بنى عدام وبنى حلبه وغيرهم فى برنو . ولقــد وجدت بعض هذه القبائل طريقها الى كردفان ودارفور . واطلق عليها اسم البقارة . وكان هؤلاء قد جاءوا من الغال والشمال الغربى ثم نزلــوا برنو ووادى . واستقروا بهما فترة من الزمن ثم تحركوا شرقا الى كردفان ودارفور . وأن بعض البقارة يؤكدون أن اجدادهم جاءوا من تونس الى الاقطار الواقعــة

---

(١) Arkell, A.J.: OP. Cit. P. 195

(٢) Arkell, A.J.: ibid . P. 201.

الى الغرب من دارفور ، وبعد أن اقاموا بها فترة من الزمن وطبعوهـا بالحضارة المسيحية بهذا الاقليم ثم اخذوا بها يجرون الى دارفور وكردفـان(١)

وأن عددا كبيرا في القبائل المسيحية جرت جنوبها من تونس والجزائـر ومراكش الى الواسط افريقيا في القرون التي أعقبت الغزوات الهلاليـة لشمال افريقيا ، ثم رحلوا الى برنو ، فالسودان ، وقد جاءوا معهم ببعض العادات الشائعة في السودان مثل الختان والدية (٢) .

وأن بعض المؤرخين في برنو يطلقون على القبائل هناك اسم هيع ، وقـد قصدوا هذه التسمية في الشرق وأن بني جهينة ، اجتازوا في القرن الرابـع عشر بلاد النوبة ، ثم أنهم انحدروا جنوبا من بلاد النوبة الى شمال كردفان ثـم منها مباشرة الى برنو وأن الكثرة العظمى من البقارة قد وصلوا الى أوطانهـم الحالية في السودان ووداي وبرنو في اقليم نهر النيل ، وأن ملاحظة لهجـة البقارة في برنو تدل على أنهم جاءوا من الشرق (٣) .

وقد ثبتت الأواصر الصداقة العلاقات الطيبة بين سلطنة حوض بحيـرة تشاد برنو وبين سكان السودان الشرقي ، وقد ازدادت هذه العلاقة توثقا بمرور الزمن (٤) .

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣١
(٣) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ـ٢٣٣
(٤) ابراهيم طرخان : المسلمون في غرب افريقيا (مجلة اداب القاهرة) عدد ٢٢ ص ٦٤

وقد أثبتت الدراسات الاركيولوجية التي قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور أن السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن بقية ممالك المنطقة فيما على الاقل حتى حوض نهر النيجر ، وأنه كانت هناك علاقات مع برنو خلال العصور الماضية وأن تلال دارفور والتي كانت بها مدينة اوري القديمة كانت مقر الرياسة لادارة كانم في دارفور (١) .

وكانت مدينة اوري هذه حلقة من سلسلة المدن التجارية التي أخذ حجمها يتضخم في ثراء الامبراطورية ومن دراسة تاريخها يتضح أن دارفور يمكن اعتبارها الحلقة التي ربطت بين النيل والنيجر ردحا طويلا ، وفي نهاية القرن الثامن عشر فان دارفور ووداي كانتا تدفعان الجزية لسلطان برنو ، وأن دارفور كانت تعتبر جزءا من ممالك برنو (٢) .

وأن الاسلام جاء من الغرب عن طريق برنو ، أكثر مما جاءت من الشرق ذلك أن بعضا من حجاج برنو ، كانوا يسلكون طريق دارفور في أثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج وأن هذا الطريق كان معروفا لحجاج السودان الغربي منذ أزمنة طويلة وقد يكون هذا الطريق أسهل من استخدام طريق طرابلس

(١) شريف محمد شريف : توطين العناصر الافريقية في السودان ، مجلة آداب القاهرة ، عدد ٢٤ ، ص ٢٠ .

(٢) شريف محمد شريف : المرجع السابق ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

ـ مصر . وأن الرحلة بين دارفور ـ وبرنو ترجع الى العصور الوسطى ومن المحتمل أكثر بعدا من ذلك (١) .

ولا بد أن يكون لموقع دارفور . وتعرض الاقليم لمختلف المؤثرات السلالية أثر واضح في التكوين البشري للاقليم . ذلك أن هذا الاقليم الذي يعتبر أساسا من أسس العلاقات السياسية مع برنو قد خضع لمؤثرات سياسية كان لها الأثر الأكبر في دارفور . ان لم يكن في كردفان (٢) .

بل أن هناك آراء تقول أن دارفور ترجع في الأصل الى العرب الذين قدموا من السودان الغربي ومن مراكش وتونس وطرابلس على القبائل التي تسكن الصحراء وفرضوا نفوذهم عليها وأن هذه الموجات . أتت عبر المسالك الصحراوية التي برنو ثم الى دارفور (٣) .

ولكن في أوائل القرن التاسع عشر كان بوركهارت يذكر أن العلاقات بين شرق السودان وغربه لم تكن من الصلة الوثيقة . وأن هناك قلة من أهالي برنو الذين يقصدون الأراضي المقدسة يسافرون عن طريق بحر الغزال الى دارفور رأسا . وأن الرحلة من دارفور الى برنو تستغرق خمسة وعشرين الى ثلاثين يوما وأن الدروب التي تسلكها لا يكاد يجد المسافر فيها أثر الماء ويبدو أن هـــذا

---

(١) Lewis,L.M. Islam in Trapical.P. AfricaP. 45.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي . ص٢٦٣ .

(٣) شوقي الجمل : تاريخ سودان وادي النيل . جـ ٢ . ص٢٥٢ .

هذا الطريق قد هجر لفترة طويلة بعد أن كان عامـــلا هاما من عوامـــل الربط بين دارفور وبرنـــو [١] .

ولقد كانت القبائل العربية كما سبق الاشارة الى ذلك – وتحركاتهـــا فى السودان الشرقى الى برنو أكبر دليل على وجود روابط سياسية بين البلدين وأن هذه التحركات جعلت دارفور أكثر صلة بالاقاليم الغربية منها بالاقاليم الشرقية وأن بعض القبائل كانت تنتقل من السودان الشرقى الى السودان الغربى ومـــن السودان الغربى (برنو) الى السودان الشرقى وأنها كانت تعتمد فى تنقلاتهـــا على الجمـــال [٢] .

وبهذا يمكن القول أن السودان الشرقى وخاصة دارفور ، وكردفان قـــد ارتبطت مع برنو بروابط سياسية قوية وأنه كانت هناك اتصالات دائمة بيـــن السلطتين العليا فى الطرفين التى كانت تفصلهما وداى وباجرمى ، حائلـــة دون وجود هذا الاتصال وقد أشار الى ذلك بوركهارت بأن العداء بيـــن برنو ووداى ، حال دون وجود سكان برنو فى السودان أو أى سكان من الاقاليـــم التى تقع غرب باجرمى [٣] .

---

(١) بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ص ٥٦ .

(٢) محيى الدين خليل : لغة البقارة فى غرب السودان (رسالة دكتوراه – اداب القاهرة) ، ص ٢٣ .

(٣) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

ثانيا : العلاقـــات الثقافيـــة

أ- العلاقات الثقافيـــة مع مصـــر

كانت مصر بسبب مكانة الازهر ، مقصد لطلاب العلم الدينية والثقافـــات الاسلامية من شتى أنحاء العالم كما كان الازهر مصدر الدعوة الاسلامية الى مختلف الشعـــوب ، وأن علماؤه ، قد أسهموا فى جميع المعارف والعلوم ، ومنذ مستهل القرن الخامس عشر الميلادى ، اتخذ فريق من العجم والصعايدة والمغاربة وأهل ريف مصر ، الازهر مسكنا لهم ، وقام كل فريق من هؤلاء الطلاب فى مكان خاص به أطلق عليه اسم رواق ، وأصبح الازهر منذ ذلك الوقت عامرا بمجالـــس الوعـــظ (1) .

وكثرة الاروقة داخل الازهر وكان من بين هذه الاروقة رواق برنو ، وهـــو داخل رواق الجبرت وطلبته عشرة طلاب وكان طلبة برنو ضمن الطلاب الذين يقيمون بالاروقة والذين يبلغ عددهم ٧٥ طالبا ، معظمهم من الشيوخ

وكان رواق البرنية يقع فى زاوية الرحمة السفلية خارج باب الاتراك بيـــن رواق الاتراك ورواق اليمنيه ، وأن الامير عبد الرحمن كتخدا جدده رواق البرنيين (2)

---

(١) وزارة الاوقاف وشئون الازهر : الازهر تاريخه وتطوره ، ص ٤٥ .

(٢) سليمان الزياتى : كنز الجوهر فى تاريخ الازهر ، ص ١٠٢

وكان طلاب الاقطار الخارجية ومنهم طلاب برنو ، يأتون الى الازهر وهم كبار السن ، فوق العشرين سنة ، وأكثرهم لا يحفظ القرآن وكثيرا منهم يكون قد طلب العلم فى بلاده قبل قدومه الى الازهر فى مصر [١] .

وبالاضافة الى الطلاب البرنوية الذين كانوا يدرسون فى الازهر ، نجد أنه قد استقرت فى مصر ، طوائف من بلاد التكرور لتشهد حلقات العلم بالجامع الازهر وتستمع من شيوخه المصريين امثال ابن الجوزى وأبن حسان وغيرهم ولذلك لجأ بعض الوافدين على مصر منهم الى الانقطاع للعبادة وللالتحاق بالطرق الصوفية واعتقل البعض الاخر بالتنجيم وضرب الرمل ، وبات فقراء التكرور فى مصر ، موضع العطف والرعاية من السلاطين [٢] .

وأن الطلاب الذين تعلموا فى الازهر ساهموا بنصيب كبير بعد عودتهم الى برنو فى شتى نواحى الحياة الثقافية والفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية بل والاقتصادية [٣] .

وقد تدعمت العلاقات الثقافية بين مصر وبرنو ، بل أكثر من ذلك أن هذه العلاقات بدأت تزدهر فى العصر المملوكى ، وذلك لان العصر أشتهر بأنه من أزهى عصور مصر الاسلامية وأصبحت مصر بحق زعيمة العالم الاسلامى

---

(١) سليمان الزيانى : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص٨٠

(٣) محمد عبد المنعم خفاجى : الازهر فى الف عام ، ص ٦

وكان لهذا اثره الكبير في الادب والعلم وقامت في مصر نهضة علمية كبيرة وانتشرت كتب العلماء المصريين في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ، ووصلت بعض هذه الكتب الى بلاد برنو [١] .

وتركت مصر اثرها واضحا في عادات برنو ، اذ نجد أن العادة التي جرت في برنو في وقت الفيضان حيث يفيض النهر الذي يخترق اقليم برنو ، أن يأمر الملك بجارية مزينة بافخر الثياب فيلقي بها في مجرى النهر وهذه العادة ان صحت روايتها تدل على بقاء تلك العادة المصرية القديمة في تلك المنطقة [٢] وقد أيدها لي كما جاء في انفاق الميسور تلك الرواية ثلاث من أهل برنو أنهم يفعلون للبحر كما كانت تفعل العرب للنيل في مصر ايام الجاهلية [٣] .

ويلي الثانية أيضا أن الحجاج السودانيين في ذهابهم لمصر لم يكن لمجرد المرور أو العبور للاراضي الحجازية ، بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر في حياتهم ، لانه كان لمصر وجهه حضاري مشرق ، ولذلك قصدها الحجاج مشوقين لمشاهدة ذلك المركز من جميع جوانبه الفكرية كانت مصر وسيطا حضاريا وتجاريا بين تلك البلاد الافريقية ، ومناطق أخرى من العالم ، ولا شك

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ،
(٢) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ١٠٤ .
(٣) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، ص ٢٩ .

في أن أهالي تلك البلاد قد استفادوا من تفاعل الحضارة العربية الاسلامية بالحضارات الاخرى وإلى جانب هؤلاء الحجاج فقد شهدت مصر وبلاد السودان النيلي والاوسط بالروابط الثقافية والفكرية [1] .

ولقد كان للتجار الكارمية دور هام في العلاقات الثقافية بين مصر وتلك البلاد . ذلك لانهم كانوا اداة طيبة لنشر جانب من الثقافة العربية . فضلا عن نشر اللغة العربية . وأنها وأيضا مما زاد الروابط الثقافية . وظهور الثقافة العربية في برنو . أنها كانت تجاور مصر من ناحية الواحات وكان اتصالها بمصر تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية واستفادت من الخبرات الثقافية والعلمية [2] .

وبالرغم من أن هدف أولئك التجار الكارمية كان نقل منتجات بلادهم بما يسد حاجتها الضرورية الا أنهم فضلا عن ذلك رسلا للحضارة والمدنية . فالعمل التجاري كان يتطلب الاحتكاك بأهل البلاد . ومن ثم تقبل الوان من الثقافة العربية اليهم من ناحية أخرى . ورجع أولئك التجار الى بلادهم بانطباعات طيبة عن الحضارة العربية ومزايا حضارتها وبهذه الطريقة ومع تفاعل

---

(١) سر الختم عثمان : علاقات مصر مع السودان في العصور الوسطى . ص ٢٠٨

(٢) سر الختم عثمان : المرجع السابق . ص ١١ .

الثقافة أمرا ميسورا وهكذا ساعدت التجارة في تدعيم أسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين بلاد برنو وبلاد شمال شرق القارة . ولا بد أن نذكر أن الصلة المباشرة بين الطرفين وجد عنصرا حيا وصادقا . حيث أن رجال برنو اتصلوا برجال الدولة في مصر وأيضا العلماء . ويدل ذلك على أن مصر . احتلت المركز العلمي المعظم بعد أعداء المغول على الوطن الاسلامي واستيلاء المسيحيين على الاندلسيين حتى انه أصبحت مصر كعبة العلم والعلماء (1) .

ولقد تكررت زيارة سلاطين برنو الى مصر ومرورهم بها أثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج . وبذلك فان صلة مصر ببلاد برنو قد توطدت وظهر أثر الثقافة المصرية الاسلامية في بلاد برنو في شراء كتب المالكية وتشجيع ارسال البعثات الطلابيـة الى مصر . وكان المتعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم فكان منهم الائمة والقضاة والمعلمون في المدارس والمساجد ولم تقتصر تلك النهضة التي يصنعها هؤلاء العلماء على الجانب

---

(1) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك . ص ١٤١ .

النظرية بل تعدتها الى الجوانب العلمية ببده وأن الطلاب استفادوا كثيرا من الحياة العلمية والتعليمية في مصر خلال القرن السابع عشر الميلادي الى درجة أصبحت فيه بعض المدن السودانية في حياتها العلمية صورة مصغرة للمجتمع المصري . ونستطيع أن نلمس هذا الاثر في النظام التعليمي حيث يشير السعدي الى قيام حلقات الدرس التي يجلس فيها الطلاب حول معلميهم كالتي العلم المعروفة . وكان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة الممتازة وقت انشاء الجامع الازهر (١) .

وكذلك وصلت مؤلفات العلماء المصريين الى هذه البلاد ومنها مؤلفات السيوطي وغيره من العلماء المصريين وقد شاعت هذه المؤلفات في تلك البلاد وكان الوافدون من تلك البلاد الى الجامع الازهر يلتحقون في قلة المالكية وأنشأوا في مصر مدرسة لتعليم مذهب مالك بالفسطاط (٢) .

وكانت مدرسة بني رشيق هذه ضمن مدارس القاهرة . وهي مدرسة للمالكية ولها في بلاد التكرور سمعة عظيمة . وقد بناها بنو رشيق . وبها لبها أي أمانة الامن جمعهم في كل سنة . وأوقافها ضعيفة . ودرسها الشيخ الامام علم الدين بن رشيق المالكي حين وفاته تدريسها وأعلمه . ثم استقر

---

(١) عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٦ .

(٢) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٥٨ .

فيها بعد ولده قاضي القضاة ، زين العابدين . وكان التكارير اذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز ، قبل بلادها ينزلون عند القاضي ، علم الدين بن رشيق ، في داره عند حمام الريس ، قد نصروا اليه مالا عمر به المدرسة ودرس بها [1] .

كذلك فانه من خلال الرسائل التي نشرها بالمر والمحررات التي حواها كتابه يتبين مدى العلاقة الثقافية التي ربطت مصر ببلاد برنو . ومن رحيل بعض العلماء من برنو الى الجامع الازهر وحججهم الى مكة ومرورهم ببغداد ، ثم عودتهم الى بلادهم واشتغالهم بالعلم وتعليم الحديث والتفسير وشرح الايات القرآنية الكريمة ، والافتاء في المسائل الدينية التي تهم الرعية [2] .

كذلك كان بعض علماء من مصر قد رحلوا الى برنو وقاموا بالتدريس والافتاء ومنهم جلال الدين السيوطي ، اذ نجد انه يذكر في ترجمته عن نفسه " أني زرت بلاد اليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور [3] " .

ومن ذلك فانه يمكن القول أن مصر لم تكن بمعزل عن بقية القارة الافريقية وما يجري فيها ، انما كانت تؤثر في البلاد الافريقية وتتأثر بها وخاصة تلك البلاد التي كانت تجاورها جغرافيا ، وظهر ذلك واضحا

---

(١) ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار ، ص ٦٦ .

(٢) palmer;R.: The Bornu shara and sudan.P. 33.

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ، ص ١٦٠

فى برنو ، وهو أشد رسوخا بين الجماعات الاسلامية التى تعيش فى برنو .

وقام احد التجار الذين كانوا يسكنون القاهرة وهو برهان الدين المطلسى ، ببناء مدرسة الى جانب مصره لتستقبل طلبة العلم فى ذلك الوقت وساهم بدور فعال وهام فى تعميق الاثر الثقافى فى مصر فى ربط بلاد برنو بالثقافة العربية الاسلامية فى مصر [١] .

وكان من أثر الثقافة العربية ، أن انتشر الاسلام انتشارا واسعا فى بلاد برنو وتأثرت الحركة الاسلامية فى جنوب البلاد ، وأدت بعض القبائل الوثنية الى اعتناق الدين الاسلامى ، بدافع من مجاورتها للعرب ، وبسبب تمسك العرب بدينهم الاسلامى تمسكا شديدا وتأثرهم بالثقافة العربية المتجددة ، القادمة مع الحجاج والتجار من مصر [٢] .

---

(١) صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، ص ٩١ .

(٢) ابراهيم صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم ـ برنو ص ٢٠٢ .

العلاقات الثقافية ـ دول الشمال الافريقي

اتصل أهل برنو ببلاد المغرب اتصالا وثيقا ، واستفادوا من المراكز الثقافية الاسلامية في تلك البلاد ولقد كانت هذه الاتصالات ثقافية وتجارية ودينية ومن جراء هذه الاتصالات لان الثقافة العربية التي سادت في تلك البلاد قد غلب عليها طابع الثقافة المالكية الرئيسية ، وبات كلها تقريبا تدور حول المذهب المالكي والعلوم المساعدة الاخرى ، التي تخدم هذا الفقه وتساعد على فهم هذه الثقافة المالكية التي ازدهرت في القيروان .

وعلى هذا فانه قل أن يوجد مذهبا في تلك البلاد الا مذهب الامام مالك ولا فقه الا فقه الامام مالك فقد كان من جراء هذه العلاقات الثقافية التي ربطت بلاد برنو بالمغرب ، أن كان الفقهاء مالكيون في حياتهم وعاداتهم وأحكامهم وآرائهم وقد يدرسهم ، والشعوب مالكية تتأثر بهؤلاء الفقهاء ، وقد كادت مدارس الثقافة الاسلامية أن تكون مذهبية بحته فكان هذه المدارس في فاس أو القيروان أو طرابلس (١) .

وكذلك حتى طريقة الكتابة نفسها تأثرت بالطابع المغربي فالقلم العربي المستخدم في الكتابة هو القلم المغربي ، وحتى نفس المناهج والكتب المتداولة

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .

كانت الكتب المالكية المغربية تدرس في مدارس برنو أو في أي مكان تسرب إليه الإسلام أو نفوذ مالك . كانت الثقافة في برنو ثقافة مغربية في أرض سودانية . ومما صدق الروابط أن جامع الزيتونة في تونس صار له صيت ذائع في الأقطار الإفريقية (1) .

وليس هناك شك في أن طلابا من برنو قد رحلوا إلى بلاد المغرب لتلقي العلم في مساجد فاس والقيروان أو طرابلس والزيتونة . وذلك لأن بلاد المغرب كانت منبعا أصيلا للثقافة المغربية . فقد نزحت بعض القبائل المغربية إلى تلك البلاد . وأنه ربما قد رحل معها عددا من العلماء المغاربة كانوا نواة لأفواج أخرى من المغاربة . لحقوا بهم في أزمان مختلفة وأيضا فإن هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقيا إلى بلاد السودان الغربي والأوسط ، أثروا في طليعة سودانيين . لأن لمذهبهم . مذهب المالكية الغالبة وأن كثيرا من هؤلاء المتعلمين الذين انتشروا في بلاد برنو . قد تعلموا في مساجد القيروان . وفاس . ويقال أن أكثر من ألف داع من دعاة الإسلام يغادرون طرابلس كل سنة للعمل في نشر الإسلام في بلاد السودان ولا شك أن عددا من هؤلاء الدعاة . قد وصل إلى برنو

---

(1) السعودي . الخلاصة النقية في أمراء افريقية . ص ٦٤ .

وأن بعض الطلاب كان يشق طريقه سيرا على الاقدام الى هذه المراكز الاسلامية في الشمال الافريقي . فاذا انتهوا من دروسهم في الدين والشريعة الاسلامية ، صار كثيرا منهم دعاة بين اهالي بلادهم الوثنيين ، بل يقوم هؤلاء في المدن التي يستقروا بها بانشاء المدارس التي يتلقى العلم بها ، أطفال الوثنيين والمسلمين على السواء (١) .

وقد ظهر في بلاد المغرب عدد من علماء برنو ، نبغوا في نظم الشعر العربي وفي رواية الاخبار وفي التفقه في الدين الاسلامي . بل أكثر من ذلك كانوا حجة في المسائل الدينية ، ولا يقلون شأنا عن زملائهم علماء المغرب الذين ارسوا عليهم وتعلموا منهم اصول هذه العلوم (٢) .

ومما يدل على وجود روابط ثقافية بين بلاد المغرب وبلاد برنو أننا نجد أن لقب سلطان برنو والذي كان يلقب بالماي ، وهو يعني السلطان قد تكون له علاقة بالمستنصر باي الذي كان يطلق على سلطان تونس (٣) .

وكان طلاب برنو الذين يدرسون في بلاد المغرب ، يحضرون معهم عند عودتهم الى بلادهم كثيرا من الكتب الدينية وأن بعض هذه الكتب نسخوها في بلاد المغرب (٤) .

---

(١) أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٩٨ .
(٢) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١٠٧
(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٩
(٤) Hogher,S.J.: The Muhammaden onivtes of Nigeria.P.197

ومما دعم العلاقات الثقافية ، وجود العلاقات التجارية ، وطرق التواصل السهلة بين بحيرة تشاد وطرابلس عن طريق فزان ، فأنها كانت عاملا هاما في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، وأيضا فإنه لما انتقلت القيادة السياسية للبلاد من كانم الى برنو ، أصبحت برنو مركزا لسلطنة اسلامية عظيمة ، وذلك بسبب انتشار القبائل العربية ، مثل قبيلة الشوا وغيرها من القبائل العربية التي تلك المناطق ، ذلك أن هذه القبائل لم تكن تكتفي بادخال الاسلام الى تلك الديار بل طبع البلاد بطابع عربي وذلك بنشر اللغة العربية [1] .

وفي عهد السلطان ادريس الوما ، كان السلطان المنصور سلطان المغرب الاقصى ، أرسل له صورة من البيعة والخطبة باسم أمير المؤمنين سلطان المغرب ، والدخول في طاعته وبما يكون قد أرسل بعض العلماء المغاربة مع رسل السلطان ادريس لتعليم الناس أمور الدين الاسلامي الصحيح والبعد عن الخرافات [2] .

على أن تأثر ثقافة برنو بثقافة المغرب لا تعني أن جزء الثقافة الـــل وافدة حقا من ثقافة المغرب ، فالعلماء والفقهاء من أهل برنو ، والذين تعرضت لهم كتب التراجم ، لا يقلون في مستواهم وتحصيلهم عن أخوانهم

---

(١) ليفتان هوبير : الديانات في افريقيا السوداء ، ص ٢٣١ .

(٢) السلاوي : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٥-١٠٦

الثقافية ، فقد علموا نشر التعليم ودرسوا في نفس المدارس ، وبرزوا في ميدان الثقافة ، ويلاحظ أن المراكز الثقافية التي قامت في برنو ، كانت صغيرة إلا أنها كانت على اتصال وثيق ببلاد مصر والجزائر وغدامس وطرابلس ، كان علماء المغرب دائمي الرحلة إلى بلاد برنو وأن هذا الاتصال كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام وفي تطور الثقافة الإسلامية في برنو [1] .

ويلاحظ أن التأثير المغربي لم ينقطع أبدا طوال العهد بالإسلام ، وكانت المجتمعات الإسلامية في شمال السودان تقوم بدورها في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في المناطق الواقعة إلى الجنوب ، وكان هذا الاتصال والتأثير واضحا وقويا ذلك أن إقليم فزان وطرابلس لم يكن ببعيد عن بلاد برنو ، أكثر من صحراء يسيرون بها ، وعن هذا الطريق اتصل المغرب بالسهل الخصيب الواقع جنوب الصحراء اتصالا وثيقا ذلك أن المسلمين قد أحكموا طرق الواحات وحفظوا القوافل وأمنوا الطرق فبدأ المغرب الإسلامي يؤثر بثقافته وحضارته وسياسته [2]

وكانت برنو حريصة على الاتصال بالمغرب الإسلامي وليس ذلك فقط بل حريصة على الاتصال بالعالم الإسلامي كله .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠١ .

(٢) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

وهكذا نجد علماء وفقهاء يرفعون أصواتهم كفقهاء المشرق في رعاية المجتمع في الدفاع عن حقوق الناس ، والتمرد على الظلم والمجاهرة بنقد الحكام وكان هذا حال الفقهاء يرفعونها كلما تكتنف الازمات البلاد (١).

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

ج / العلاقات الثقافية مع غرب افريقيا

للحديث عن العلاقات الثقافية بين بلاد برنو ، وبلاد غرب افريقيا ، لابد من أن نبين الدور الذي لعبته مدينتي تمبكتو وجنى في نشر الثقافة العربية في برنو ، ذلك لان مراكز برنو الثقافية قد نمت وازدهرت في ظل الامن والطمأنينة ، ومن خلال عمل سلاطين البلاد على تشجيع الحركة العلمية في البلاد ، ودعم الروابط بين برنو والمراكز الاسلامية المختلفة في غرب افريقيا وارسال الطلاب والعلماء للتزود بالعلوم الاسلامية [1] ، وذلك لان تمبكتو وجنى اصبحت مكانتهما الثقافية لا تقل عن مكانة القيروان في افريقية أو فاس في المغرب الاقصى أو قرطبة في الاندلس والقاهرة في مصر .

ذلك أن تاريخ الثقافة العربية الاسلامية في هذا العالم الافريقي ، قد ارتبط بتاريخ مدينة تمبكتو ، فقد كانت هذه المدينة بحق مركز الثقافة وقلب الحركة الفكرية النابض ، أجتمع فيها العلماء من كل لون وجنس ، فنجد المغاربة والاندلسيين والمصريين والحجازيين وفد اليها الناس من كافة غرب افريقيا ، في السنغال والنيجر ، وامارات الهوسا وبرنو وكانم والسودان وكل هذه الطوائف كانت تذهب الى هذه المدينة لتقيم فيها بحثا

---

(١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص٢٢٢ .

ثم ترحل أو تقيم إقامة دائمة [1] . وكانت الكتب تحمل إليها من مختلف جهات العالم الإسلامي ، ثم تنسخ وتباع في المدينة الأمر الذي كان يزيد الحركة الفكرية تدفقا وبذلك فإن تمبكتو لم تكن مدينة منعزلة الطابع . أما لاتصالها اتصلت بالهيئات الإسلامية المعاصرة ورحل إليها الطلاب البرنوية طلبا للعلم وما فيه من وفرة الكتب والبعثات الإسلامية والأفكار الدينية . فنجد أن الكتب التي كانت تدور حول فقه مالك والتي كانت تدرس بها كانت تدرس أيضا في مدارس برنو . وفي أي مكان تسرب إليه الإسلام . أو فقه مالك ومن هنا فإن العلاقات الثقافية التي أقامتها برنو مع غرب أفريقيا قد توطدت وزادت . وذلك في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في العصور الوسطى [2] .

وبعد سقوط الأندلس فإن العلماء رحلوا إلى غرب أفريقيا ، وأقام عدد منهم في تمبكتو ومنها أن بعضا منهم رحل شرقا إلى برنو . وقاموا بالتدريس والوعظ على أنه مهما يكن فإن مدارس برنو لم تصل مطلقا إلى عظمة تمبكتو وكان ذلك هو الدافع في أن يرحل طلاب البرنو إليها . بعد أن يكونوا قد حفظوا أجزاء من القرآن الكريم في مدارسهم [3] .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٧٣ .

(٢) صلاح صبري : أفريقيا وراء الصحراء . ص ١٦٣ .

(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٧٢ .

وكانت أوضاع المراكز الثقافية تتأثر بالأحوال السياسية كما تأثرت تمبكتو . فإنه عندما تكون الدولة قوية فإن هذه المراكز الإسلامية تزدهر وتمارس نشاطها الطبيعي في نشر الأفكار والثقافة الإسلامية . أما إذا كانت الدولة في حالة من الضعف فإن هذه المراكز تنكمش ولا تستطيع أن تؤدي رسالتها علـــــى خير أداء .

وفي ذلك فإنه بعد تدمير تمبكتو على أيدي المراكشيين عام ١٥٩٠ ميلادية أخذ حملة الثقافة العلمية التي كانت تشع من تلك المدينة في النزول . ويصل جنوباً ضوء الثقافة الإسلامية . وقد ترك ذلك أثره على الحياة الثقافية والعلميـــة في برنـــو (1) .

وكان من أثر الغزو المراكشي لسنغاي أن رحل بعض رجال العلـــــم إلى برنو بعد أن حطوا عصيهم كثيرهم . وذلك لكي يستقروا بها . وأيضـــــا فإنه عندما هزم الأتراك شمال أفريقيا ومصر . فقد كانت هذه ضربة قويـــــة للحضارة الإسلامية العربية في برنو ومن ثم فإن الحضارة العربية الإسلاميـــة في بلاد السودان بدأ يضمحـــل .

وقد كانت برنو ومالي وغانا من أهم مراكز الحضارة السودانية ولكنهـــم

---

(1) Hoghengs S.J.: The Mahammeden emirtses of Nigeria P. 39.

(2) Ward, E.W.: A history of Africa P.P. 74 - 79.

مستقلين عن حضـــارة المغرب في الشمال وحضارة الزنوج الافارقة في الجنـوب . ولقد أثرت برنو تأثيرا قويا في حضارة السودان الاوسط وأصبحت بمثابة ارتباطا ثقافيا قويــا (١) .

وتركت برنو آثارا حضارية اسلامية قوية في امارات الهوسا . ذلك أن كثيرا من العلماء الذين عاشوا في برنو . قد رحلوا الى امارات الهوسا . وأحضـــر هؤلاء العلماء معهم الكتب الدينية والمهارات والكتابة العربية . والخط البرنوي الى امارة كانو وغيرها من امارات الهوســا التي خضعت لنفوذ برنو السيا ســـــي وبالاخص الامارات الشرقية منها والتي تأثرت حضاريا وثقافيا ببرنـــو (٢) .

ولكن هذا التأثير الاسلامي القوي لبرنو في أمارات الهوسا الشرقيـــــة قد أزداد قوة في القرن السادس عشر الميلادي وذلك أثر خضوع هذه الامارات لسلطة برنو السياســـــة . ومن هنا فان برنو استطاعت أن تدعم تأثيرهـــا الثقافي بعد أن دعمت نفوذها السياسي (٣) .

وجاء أيضا العلماء الى برنو من مالي وسنغاي والاقاليم الشرقية وجـــاء اليها ايضا من بلاد الفلاته وأشار الى ذلك صاحب كتاب أنفاق الميسور فقـــا ل لقد حضر عدد من العلماء الى برنو في عهد السلطـــان عمر بن حســـام ومنهم

---

(١) shin nie ,M.: Ancient African Kingcams.P. 70.

(٢) Halt, : The calbridge history of slam vol. 2. P. 357.

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلاته الاصلاحية في غرب افريقيا ص٧٥.

الشيخ الولي بن الجرمي ، والكيدي الحسن والحسين وغيرهم جمع كبير من أبنائهم وقد حدث هذا في عهده ، ظهر التلاقي الثقافي حول هذا العالم وتلامذته (1)

كذلك فقد كان للتجارة التي كانت قائمة بين بلاد غرب القارة الافريقية وبين برنو آثارها في تشجيع الحركة العلمية في البلاد ، إذ نجد أن العلماء والطلاب ، لا يقدر لهم الذهاب الى تلك البلاد الا بصحبة القوافل التجارية وأيضا فان الساهرة والاتصالات والكتب الاسلامية والمساجد تركت أثرا كبيرا في تبادل المعرفة بين غرب افريقيا وبرنو (2) .

وأن كثيرا من الحجاج كانوا يأتون من الاقاليم الغربية حتى يمكثوا أو يمرون ببلاد برنو وهم في طريقهم لتأدية فريضة الحج (3) .

ولا شك في أنهم كانوا ينتظرون بعض الوقت في تلك الديار حتى يتم تجهيز قافلة الحج التي كانت تخرج كل عام من برنو قاصدة الاراضي المقدسة في الحجاز ولا شك أيضا في أنهم قد تزودوا بالثقافة الاسلامية الموجودة في ذلك الوقت في برنو .

---

(1) محمد بلو : انفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٧

(2) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا : مجلة اداب القاهرة ، عدد ٢٧ ، ص ٥٧ .

(3) بوفيهارت : نفس المرجع ، ص ٣٢٢ .

وليستدل على دور برنو الثقافي وصلاتها الوطيدة مع بلاد غرب افريقيـــا من أننا نجد أن الحاج عمر ، والذى لعب دورا هاما وبارزا فى تاريـــخ السودان الغربي ، وفى منطقة السنغال بالذات ، أنه أثناء ذهابه لتأدية فريضة الحج الى مكة وأيضـــا أثناء عودته الى بلاده ، والتى استغرقـــت بضع سنوات ، فانه قضى فترة طويلة من الوقت فى برنو وتزود بالتعاليـــم الدينية ، ودرس الكتب الموجودة فى برنو واطلع عليها وتلقى علـــــى أيدى علماء برنو بعض التعاليم الاسلامية الصحيحة ، وربما يكون قد أخـــذ معه بعض الكتب التى يتم نسخها فى برنو (1) .

---

(1) Trimingham, J.S.: A history of islam in west Africa. p. 181.

((د / العلاقات الثقافية مع السودان))

اذا كانت برنو قد بسطت نفوذها السياسي على بلاد السودان ، وخاصة الجزء الغربي منه في بعض فترات التاريخ وخاصة في القرن السادس عشر الميلادي فمما لا شك فيه أن هذا النفوذ السياسي قد ترك تأثيرا ثقافيا قويا على بلاد السودان ولا بد أنه قامت صلات ثقافية قوية بين البلدين .

وقد تمثل ذلك في التأثير اللغوي ، اذ نجد كلمة الفاشر ، وهي أحدى مدن غرب السودان الهامة وهي كاسم لمدينة مشتق من لغات اقليم البرنو ، وأيضا فان التأثيرات العربية التي أنتشرت من ليبيا الى الجنوب ، ثم الى الشرق ، قد تركت تأثيرا قويا في بلاد السودان . كذلك فان استخدام كلمة ميرام وهو لقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان في دارفور ومعناه الاميرة قد أخذ عن سلطنة برنو [1] .

واستخدام لفظ الفاشر في السودان كعاصمة ، نجد أهل برنو كانوا يستخدمون هذه الكلمة بمعنى الساحة الواسعة امام قصر السلطان ، وأن تقسيم سلاطين الفور ممالكهم الى أربعة أقسام هي الشمال والجنوب والشرق والغرب قد أخذ من اقليم بحيرة تشاد ، حيث قسمت برنو بلادها الى أربعة أقسام وكذلك فان العملة السائدة حول بحيرة تشاد هي قطعة القماش

---

(١) التونسي : تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص١١٦

وهى التى كان يتعامل بها الاهالى فى برنو ، وأيضا تماثل بها الاهالـــى فى دارفور (1) .

ومما ساعد على تقوية الروابط الثقافية بين بلاد السودان وبرنو أن كثيرا من حجاج برنو ، كانوا يذهبون الى الاراضي المقدسة فى الحجاز عن طريـــــق سودان وادى النيل (2) .

ذلك أن هذا الطريق كان معروفا منذ أزمنة قديمة وقد يكون استخدامـه أسهـــل من استخدام طريق طرابلس مصر (3) .

وكانت برنو من أهم المراكز الاسلامية فى أفريقيا والتى كان لها الفضـــل الاكبر فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى دارفور ، وسنار ، فقد حركت بعض قبائل سبقاتها بحماسها الدينى للدعوة الاسلامية وبجهودهم اثرت حركـــة المرابطين فى قبائل السودان الوثنية (4) .

وقد كانت هناك علاقات مباشرة خلال العصور الوسطى بين منطقة شمال ليبيا وسودان وادى النيل ، وقد بينت الاكتشافات الاثرية ذلك ، وانتشـــر الدين والمعتقدات والافكار والثقافات بما جاء من شمال ليبيا الى اقليـــم سودان وادى النيل (5) .

---

(1) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .

(2) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارة السودان الشرقى والاوسط ، ص ٢٢٢ .

(3) Lewis, islam in trapical Africa. P. 20.

(4) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٢٠

(5) aliver, R.: The down of African History. P. 61.

وأن الصلة بين برنو ودارفور من ناحية ومملكة الفونج من ناحية أخرى تفسره وتؤكده هذه الحقائق . إذ نجد أن لقب السلطان في برنو هو الماي وهو نفسه لقب السلطان . الذي يستخدم في السودان وأن لفظ الفونج مرتبط بالمستخدمين وهو أحد سلاطين برنو . الذين حكموا البلاد . ومن المعروف أن العرب في إقليم برنو أطلقوا على القبائل غير العربية اسم الفونج . وأن الفونج في مدلول سكان وادي النيل كانت تعني هذه الجماعات التي بسط عليها الفونج سلطانهم [1] .

وأن كثيرا من علماء الفونج يرجع أصلهم الى المغرب والأندلس . ولكن هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقية الى السودان . قد استقروا بعض الوقت في برنو . ثم رحلوا الى السودان الشرقي . والظاهر أن الفونج قد حملوا معهم من غرب افريقيا المذهب المالكي وكانوا من أوائل الذين نشروه في منطقة الجزيرة وكذلك فان طلاب من دارفور قد اختلطوا بزملاء لهم من برنو وباي وغيرهم ممن يدرسون في الجامع الأزهر . ولا شك أن هذا الاختلاط قد تحرك أثرا قويا في كليهما . وأنه من بلاد البرنو قد تخطت حركة الجهاد السلمي لنشر الاسلام في الشرق وأن نفوذ برنو الثقافي قد وصل حتى حدود بلاد الهند ومن ناحية فان الاسلام والثقافة الاسلامية

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٥٠ – ٥١ .

لا بد أنها تسربت الى منطقة دارفور من برنو بفضل هذه الهجرات [1] .

وكان السودان طريقا هاما للتجارة بين البحر الاحمر ، وغرب افريقيا وهكذا انتشر الاسلام والثقافة العربية فى السودان ، ولا غرو فلان التجار العرب خير دعاة للاسلام فى هذه البلاد ، وما عمق الثقافة الاسلامية والثقافة العربية ، قدوم وفود اسلامية من شمال القارة ، وبلاد العرب والسودان النيلى وكل هذه الوفود كان لها تأثير قوى على أرض السودان [2] .

على أن هناك آراء تذكر أن التيار الاسلامى والثقافة الاسلامية ، قد اندفعت من السودان الشرقى الى الغرب نحو كردفان ودارفور ومنها الى البلاد التى تجاورها غرب [3] .

وإن كان هذا الرأى لا يخفى أن التيار القوى للاسلام جاء من الغرب ، ذلك أن عرب جذام قد ساهموا بقسط فى نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلد بسبب لانهم مضوا فيها واجتاحوا مملكة الزغاوة وسيطروا على دارفور واتخذوا من هذه المنطقة قاعدة لغاراتهم ، على ما جاورهم من الاقاليم ووصلوا حتى برنو ، وأيضا

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

(٢) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣١ .

كان هناك طلابا من السودان قد وفدوا للدراسة في مدينة تمبكتو ولا شك أن هؤلاء الطلاب وهم في طريقهم الى تلك المدينة قد مروا ببرنو ، وأستقروا بها فترة من الزمن ونالوا قسطا من الثقافة الموجودة في برنو في ذلك الوقت (١) .

ومن أجل الروابط التي ربطت بين دارفور وبرنو ، أن دارفور كانت على أيدي الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من الغرب بحيرة تشاد وجنوب الصحراء الليبية وقد أخترقوا برنو وداي ووصلوا الى دارفور ولا شك أن هؤلاء القوم قد أحضروا معهم بعض المؤثرات الثقافية التي تركت طابعها على الحياة الثقافية في دارفور (٢) .

وكان الشيخ السوداني حمد بن ام مريوم ، والذي شدت اليه الرحال في علم التوحيد والتصوف ، والذي يبلغ عدد طلبته الف طالب وفدوا ، من دار الفونج الى دار برنو ، وبذلك كان طلابا من برنو قد رحلوا الى السودان طلبا للعلم على أحد علمائها وفقهائها ، ويقول الاساطير أنه كان يوجد في شمال دارفور مسجدا أتخذ مكانا للعبادة والتدريس (٣) .

---

(١) حسن احمد محمود ، نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣) Arkell, A.J.: A history of sudan P. 191.

وأن هذا المسجد لا شك قد ساهم بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في دارفور ، وأن انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية قد زاد وتوسع في السودان الغربي في عهد السلطان « محمد بن ادريس » الذي كان رجلا متدينا وعمل على توثيق الروابط الثقافية بين برنو وبلاد السودان [1].

وأن قبائل جهينة التي هاجرت إلى جنوب الصعيد ثم إلى شمال كردفان وانتشرت إلى دارفور ، ثم منها مباشرة إلى برنو ، قد تركت أثرها الثقافي والحضاري في المناطق التي مرت بها ولو لفترة قصيرة [2] .

واستمر تأثير الحضارة الإسلامية والثقافة العربية والديانة الإسلامية في كردفان ودارفور وبلاد برنو ، وإمارات الهوسا وشواطئ النيجر وفولتا العليا وانتشرت اللغة العربية ونطق بها سكان تلك الأقطار مثل العرب لأنها لغة الدين والقرآن وتأثروا إلى درجة كبيرة بالحضارة العربية [3] .

وتدل القرائن على أن بعضا من عرب بني هلال ، قد مروا في طريقهم من المغرب إلى السودان بأرض برنو ، وأن هؤلاء قد أقاموا بها فترة أجيال ثم أخذوا يهاجرون إلى كردفان ودارفور ، ومن كل هذا نستطيع أن نستخلص أن السودان الشرقي قد ارتبط بروابط ثقافية قوية مع بلاد برنو [4] .

(1) Arkell, A.J.: OP. Cit. P. 213.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٣٦ .

(3) Johnoston, H.: A history of conslisation of Africa P. 70.

(٤) محي الدين خليل الريح : اللغة الكانورية في غرب السودان ص ٩ .

ثالثا : العلاقات الاقتصادية

((أ ـ العلاقات الاقتصادية مع مصر))

اذا كانت الشئون الاقتصادية فى خدمة العلاقات الانسانية ، فان التجارة وهى تؤدى مهمتها الجليلة فى تبادل السلع وتداولها تعتبر اداة من ادوات العمران الرئيسية وهذا هو ما يطبق على الدول الاسلامية المحيطة بهما وذلك لان العلاقات الاقتصادية بين مصر ومالى وبرنو قد لعبت دورا هاما فى زيادة الروابط بل فى توثيقها ، فالتجارة فى العصور الوسطى ، والتجارة الكارمية قد ساهمتا فى بناء ذلك العصر بما نقلتا من الافكار والعادات فضلا عن السلع والمنتجات بين الشرق والغرب (١) .

ولقد اتيح لمصر أن تلعب دورا هاما فى الاقتصاد العالمى فى العصر السلوكى وأن يكون التجار الكارمية واحدة من الدعامات الكبرى فى بنائها الاقتصادى لكونه وسيطها فى الشرق والغرب وازدهرت الكارمية فى مصر حتى أصبحوا أعظم طبقة تتحكم فى أهم تجارة عالمية فى ذلك الحين وهى تجارة التوابل وسلع الشرق وأما عن اسم الكارمية هؤلاء فاننا لم نصل بعد الى تفسير جازم لتسميتهم بهذا الاسم وقد تعددت محاولات تفسير هذا الاسم وان كان هذا الاسم مأخوذا

---

(١) صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، العدد الثانى ، ص ٥ .

عند الكانم ، وأن هذا الاسم قد اشتهر بين من اشتغلوا بتجارة البهـار (1) .

وقد أصبح لهم في مصر ، وسائر بلاد العالم الاسلامي نواحي نشاطهـا وأساليب تجارية منظمة وأن نشاط الكانم في افريقيا قد اتخذ مركز انطلاق آخـر غير بلادهم الاصليـة ذلك المركز هو مصـر (2) .

وأبلغ دليل على العلاقات الوثيقة بين مصر وبلاد برنو تلك الطائفة مـن التجار الكارمية الذين هاجروا الى مصر وأقاموا بها واحتكروا بعض مراكز فـي تجارتها الخارجية واشتغلت هذه الطائفة بتصريف المحاصيل السودانية وتجـارة الرقيق ومارسوا التجارة البهار من اليمن والهند مرورا بالصيـن (3) .

وأن طريق التجار لاستجلاب الفلفل قديما هو بلاد الكانم ، الا أن الكارمية هم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندي والبحر الاحمـر ومصر ، وأن مصر كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان لا سيما بعد نهضـة تجاريـة (4) .

كذلك فان كثيرا من التجار المصريين والمغاربة ، كانوا يرحلون كل عام الـى برنو ، وذلك لكي يلحقوا بحملات استبدال للخيول بالرقيق وأيضا الاقمشـة

---

(1) عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقـوط الدولة العباسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٦٢ .

(2) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقي ص ١٠٢

(3) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ص ٢٦٠ .

(4) ابراهيم طرخان : امبراطورية كانم الاسلامية ، ص ١ ــ ١٠

القاهرة والأسلحة وأيضا للاتجار في الذهب (١) .

وأن حركة التجارة كانت نشطة بين مصر وبلاد برنو ، وأن القوافل التي كانت تمر سنويا في حركة التبادل التجاري تقدر بحوالي عشرة آلاف جمل كانت تسلك طريق تاكدا Takedda في طريقها الى القاهرة وكانت أهم هذه التجارة النحاس الذي يأخذ منه الصنغيين والبمبر والبرنو ومالي وإمارات الهوسا (٢) .

وقد أصبح هؤلاء التجار الكارمية أهم طبقة تجارية في الامبراطوريـــــة المصرية ، وذلك بما أسبغوا به من أجل البقاء على نفسها وثروتها (٣) .

وكانت محاصيل أفريقيا الوسطى وبلاد السودان الغربي مادة من مواد التجارة التي احتكرت عليها حكومة الدولة المملوكية ومنحتها للتجار الأجانب وغيرهم بأعلى الأثمان . وكان الملح أهم صادرات تلك الجهات الى مصر . ومهمـــا يكن من أمر فيظهر أن تلك الطائفة من التجار لم تقتصر على محاصيل بلاد هنـــا فحسب بل مارسوا أيضا تجارة البهار ولعل ممثليهم الأول في بلاد السودان الغربي ، الذي يهم على تحمل الجو في البلاد الأخرى وأن اسم الكارمية لم يقتصـــر على تجار أفريقيا الوسطى بل شمل كل تاجر من الكارم وغيرها فحســـن

Larroy, Y.: Histore du l'empire du Bornu. P. 147. (١)

Borill: Car ans of the old sha... 75. (٢)

(٣) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١٠ – ١١

يشتغلون بتجارة افريقيـــــا الوسطى وغيرها (١) .

وشهدت مصر نشاطا تجاريا كبيرا لهؤلاء التجار ، وزادت التجارة مع بلدان السودان الغربي وأفريقيا الوسطى ، وكان هؤلاء التجار يجلبون الى المماليك محاصيل بلادهم ومحاصيل البلاد الاخرى ، وهى التى كان الاوربيون يبذلون كل جهد للحصول عليها (٢) .

ولقد أثر هؤلاء التجار تأثيرا قويا فى حياة مصر حتى أن بعض سلاطين المماليك عندما كانوا يضطرون لخوض الحروب والتجهيز لها كانوا يقترضـــون منهم الاموال وأيضا كلما أضطرتهم الظروف الى ذلك (٣) وقد ساعد اتصالهم بالسلاطين ، ودفع الضرائب والتبرعات لهم ولة أن توطدت أقدامهم فى ميدان التجارة المصريـــة (٤) .

وقد وجد لهم فى القاهرة فندق أطلق عليه فندق الكارم ، وهذا الفندق هو وقف الامير عمر بن أخى صلاح الدين الايوبى ، وقد بنى هذا الفندق العظيم فى الفسطاط على نيل مصر حيث ترسو مراكبهم المحملة بالسلع (٥) .

---

(١) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص ٧ ـ ٨ .

(٢) نعيم زكى سليمان : طرق التجارة الدولية ومحاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ص ١١٨ .

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، ١٣٢ .

(٤) صبحى لبيب : نفس المرجع ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٥) ابن دقماق : الانتصار بوسطة عقد الامصار ص ٣٤ .

وأوقف هذا الفندق على سكن الكارم ومنذ ذلك استقر نشاط هذه الطائفة لأول مرة داخل الاراضي المصرية وبعد ذلك صار طبيعيا أن ينتظم نشاطهم في مصر وأن تمد لهم الفنادق لاستقبالهم من قوص والاسكندرية وغيرها من مدن مصر التجارية الكبرى [1] .

واتخذت هذه الطائفة مدينة قوص مركزا لهم فأصبحت سوقا تجاريا هاما لمنتجات افريقيا الوسطى والمغرب واليمن وكونوا لهم نقابة قوية هيمنت على التجارة واحتكرتها وأقاموا على نقابتهم رئيسا معترفا به من قبل الحكومة ونمت ثروة بعضهم نموا عظيما بحيث أصبحوا يقومون في عالم التجارة بما تقوم به البنوك الحديثة اليوم [2] .

وقام هؤلاء التجار بدور عظيم في مصر وتركيا بجانب سد الاحتياجات المحلية تجاريا مع امارات السودان وارتبطوا بتجارة عظيمة وواسعة مع الاسواق الاجنبية [3] .

ولقد زاد نفوذهم المالي في مصر ، وأن السلطان منسى موسى سلطان مالي عند زيارته لمصر وهو في طريقه الى الحج استدان من احد هؤلاء التجار ، وأثناء عودة السلطان من الحج الى بلاده ، أرسل هذا التاجر مع السلطان وكيله ليرد الدين وفوائده [4] .

---

(١) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١٢
(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٠ .
(٣) عوني الجمل : علاقات مصر بالبلاد الافريقية ، محاضرات معهد الدراسات الافريقية ، ١٩٦٢ م .
(٤) الشاطر بصيلي : تاريخ حضارات السودان الشرقي والاوسط ص ٤٢٢ .

وجاءت القوافل من اقاليم القارة الافريقية الى مصر وكانت تحمل هذه القوافل
على النطرون والياقوت والجلود وسن الفيل والذهب والرقيق وريش النعام وبعض
المنتجات النباتية (١) .

واستوردت برنو المنسوجات القطنية والحريرية والاسلحة النارية من مصر (٢)
وكانت البرنو — كانم — سوقا لتبادل السلع . وانتقل اليها التجار حيث اقاموا
في مختلف الاقاليم بها وكان سلاطين البرنو والاقطار المجاورة من السودان
الغربي والاوسط يقترضون عند هؤلاء التجار نقدا ويردونه بالقاهرة من طريقهم الى
الحج . وكثر تردد التجار المصريين الى بلاد برنو والتكرور وكانوا يذهبون في قوافل
كبيرة وذلك لانهم كانوا قد عرفوا طرق المعاملة مع أهالي تلك البلاد والمسالك
التي تسلكها القوافل حتى الوصول الى برنو (٣) .

وقد عملت مصر من جانبها على رعاية شئون هؤلاء التجار في البحر
الاحمر وبلاده واستخدمت السلطة على نشر العدل حتى تحفظ لكل تاجر حياته
ومصالحه وكان لهم في بلاد البرنو اسواق كبيرة قاموا فيها بنشاط تجاري والـ...
واسع النطاق (٤) .

---

(١) Bovill,: OP. Cit. P. 257.

(٢) urroy,Y.: Histore du l'empire du Bornu. P.149.

(٣) حامد عمارة : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

(٤) صبحي لبيب ، نفس المرجع ص ١٢ .

ويشير القلقشندى الى أن تجارة الذهب أصبحت رائجة بين مصر وبلاد السودان ، وذلك لان بلاد التكرور كانت أهم منطقة يستورد منها الذهب الذى يجلبونه الى الديار المصرية (١)

وكان التجار المصريون يذهبون الى هذه البلاد لجلب الذهب وأنهم كانوا يمرون فى ذهابهم ببلاد برنو ، وأن نطاق التجارة المصرية قد اتسع بالنسبة لهذه البلاد فأصبح كبار التجار المصريين يمتلكون ممتلكاتهم ووكالاتهم وذلك حتى يجنوا ويحققوا أرباحا طائلة (٢) وقامت التجارة بتوثيق الصلة بين مصر وبلاد برنو فى خلال العصور الوسطى (٣) .

وأدى هؤلاء التجار الكارمية دورا هاما فى الترف من ديار الاسلام بما قدموه من مساعدات للسلطات الحاكمة ، وبلغ هؤلاء القدرة المادية على البناء والتعمير ، فبنوا المساجد والمدارس والخوانق وغيرها تماما كما تعمر الحكومة نفسها ، وبلغ من ثرائهم أنهم كانوا ينثرون الذهب والفضة على مواكب السلاطين وكانوا يخدمون الاسلام بنشاطهم التجارى ، وبذلوا جهدا فى نشر الاسلام والعلوم الاسلامية وثقافتها (٤) .

ومن هنا يمكن القول أن مصر قد ارتبطت بروابط اقتصادية مع برنو ،

وساهم فى تلك الروابط التجار المصريون الذين رحلوا الى تلك الديار والتجار الكارمية الذين استقروا بالقاهرة ، وقوص والاسكندرية .

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٥ .
(٢) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧
(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى ص ١٠٩
(٤) صبحى لبيب : نفس المرجع ، ص ٢٢ – ٢٩ .

حـ/ (العلاقات الاقتصادية مع دول الشمال الافريقي)

لقد تجاوز نشاط البرنو حدود بلادهم الى البلدان المجاورة والبعيدة فامتدت دائرة هذا النشاط التجاري ، نحو الشمال الى بلاد المغرب وبلغ نفوذهم التجاري شأن كبير ، وزاد النشاط التجاري بين برنو وبلاد الشمال الافريقي بسبب الطرق الصحراوية التي تربط فيما بينهما .

وساعد التجار الكانميون على أزدهار تجارة البحر المتوسط الى حد كبير وذلك بسبب أرتباطهم الروحي والتجاري ببلاد ساحل البحر المتوسط ، وما كانوا يقدمون من منتجات بلادهم [1] .

ولقد كان الدخول الى داخل القارة الافريقية حيث بلاد برنو وباقي بلاد السودان الاوسط والغربي بأيدي التجار المسلمين الذين كانوا يذهبون بتجارة الشمال ويعودون بتجارة البرنو وكان هؤلاء التجار يعبرون الممرات الصحراوية الى الداخل وكان الطريق الشرقي الذي يبدأ من طرابلس - فزان - كوار - تشاد ثم برنو ، يلعب دوراً هاماً في نقل التجارة والتجار [2] .

ويشير أبن خلدون الى أن بلاد البرنو من أهم بلاد السودان والتي كان يسافر اليها تجار المغرب وذلك لكي يقوموا بشراء الرقيق الذي يجلبونه معهم الى بلاد المغرب [3] .

---

(١) عبدالمجيد عابدين : قبائل السودان الاوسط والسودان الغربي ص ٢ ، ١ - ٥ ، ١

I.M.Lewis: Lewis;L.: Islam in trapical Africa P. 21.(٢)

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ١ ، ص ٤٣ .

ولقد كانت البلاد الاسلامية ولا سيما بلاد المغرب وكل الشمال الافريقي السوق الرائجة لبلاد السودان ، ويعني هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بالشمال ، وقد تحكم المسلمون في المسالك الصحراوية وحموها ، واحتكروا عملياً الاتصال ببلاد السودان لاسباب دينية وتجارية واستقر عدد من تجار المسلمين في تلك البلاد ونشطت حركة التجارة بين بلاد السودان وشمال افريقيه ، عبر الطرق الصحراوية (١) .

وكان التجار المغاربه يقومون باستيراد العبيد والاواني الخشبية والاغنام والعاج والجلد من الصمغ وجلود الاسود من برنو وكانت حركة التجاره بين برنو وطرابلس دائما مستمرة وكان تجار الشمال يصلون الى فزان ثم منها يذهبون الى برنو ويحملون معهم الهدايا للسلطان (٢) .

وبعد أن يدفع هؤلاء الهدايا الى السلطان ، كان يترك لهم حريـة التنقل عبر الطرق الصحراوية بين طرابلس وفزان ومرزق وكات وبرنو وكانو ، وذلك لان هؤلاء ، كانوا يملكون ثروات ضخمة وعظيمة من جراء قيامهم بأعمال التجارة وقد قضى رابح الزبير عند استيلائه على برنو على معظم التجار الطرابلسيين ، الذين كانوا يقومون بالتجاره مع برنو ، والذين كانت تأتي قوافلهم كل خريف الى برنو (٣) .

---

(١) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، ص٤٢ .

Lgon,G.: Anerrative of travels in Northern Africa

P.P. 128. (٢)

Vischer,H.: Across the shara from tripoli to Bornu.P. 148.

وقد سيطرت بعض قبائل البربر على الطرق الصحراوية الموصلة الى برنو في فترة ضعف الدولة ، وعملت على اشاعة الاضطراب والفوضى في الحياة الاقتصادية وقد أدى هذا الى أن هجر التجار الطريق الاول ، والذى كان يعرف بطريق فزان كانم - برنو ، وذلك بسبب خوف التجار على أنفسهم وممتلكاتهم [1] .

لكن في فترات قوة الدولة فان قوافل التجار كانت تدخل بلاد برنو ، بأعداد كبيرة من الجمال التى تحمل القناطير من انحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والنبل والزجاج والاصواف والاحجار الكريمة والالات الحديدية المختلفة [2] .

والاختلاط الذى تم بين سكان جنوب الصحراء لنقلها التجارة التى كانت تعبر الصحراء وقد كان لمجىء التجار من الشمال أثر كبير على الحياة الاقتصادية في برنو ، وذلك أن هذه البلاد بفضل هؤلاء التجار قطعت شوطا كبيرا للامام في استخدام العملة والموازين والمقاييس [3] .

كذلك كان من أثر العلاقات التجارية بين بربر الشمال وزنوج الجنوب السودان والاحتكاك بينهما أن تسرب الاسلام الى هذه البلاد ، بعد أن حمله التجار وأيضا فان شعب البرنو لم يكن أبدا هدفا لغزوات أهل الصحراء أو المغاربة فالفرد

---

(١) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٨٧ .

(٢) نقولا زيادة : الرحالة العرب ، ص ٩٣ .

(٣) عبدالله زكى : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٦٢ .

بالسيارة على طرق القوافل المارة بكوار على طرق الصحراء الكبرى وبين البحر المتوسط وبحيرة تشاد وكذلك وادي النيل وعلى ذلك ، فقد استطاع اهلها ان يضموا او يخضعوا جزء كبير من الصحراء ، وكان لهم الاشراف المطلق على مسالك التجارة الى الشمال في كوار ولقد لقي السلطان ادريس الوما صعوبات كبيرة في السيطرة على طرق الصحراء حتى تم له احتلال واحة كوار في طريق فزان وكانت فيه مناجم الملح والنطرون (١) .

ولقد تمتعت منطقة برنو نسبيا اقتصاديا هائلا وذلك بسبب موقعها التجاري بين افريقيا الغربية والشرقية واتصالها بأوروبا عن طريق طرابلس وبلاد الشمال الافريقي التي يفد اليها التجار بالاقمشة والمصنوعات الاوروبية ويعودون بالعاج والجلود وريش النعام والرقيق (٢) .

ولقد ذكر الدمشقي عن أهل برنو ، أنهم يأكلون الذرة ويعمر على أحدهم العمر الطويل ولا يرى على يديه خبزا الا ما يحمله التجار الواردون عليهم من بلاد المغرب (٣) .

ولاهلها تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين ايديهم مع اهل المغرب الذين يفدون اليهم (٤) .

---

(١) عبد الرحمن زكي : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

(٢) نعيم قداح : افريقية الغربية في ظل الاسلام ص ٨٦ .

(٣) الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٣٩ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ص ٢٢ .

وكانت أهم القوافل التي تأتي من برنو هي قوافل العبيد التي كانت تصل الى الاقطار الشمال الافريقي . أن أي شخص يزور جنوب طرابلس يتعجب من الرقيق الموجودين في القرى الجنوبية وذلك يبين كيف كانت أعداد العبيد تأتي من برنو (١) .

ولى أدل على أستقرار الامور التجارية بين برنو والشمال الافريقي ودوام الاتصال واستمرار الطرق الصحراوية في تأدية رسالتها في الحركة التجارية ما ذكره دنهام وكلابرتون . من أن الطريق بين برنو وبين الشمال الافريقي يسوده الامان واستقرار الاحوال كما هو الحال في انجلترا وذلك رغم الضرائب التي كان يفرضها السلطان برنو الا أنهم ظلوا على اتساع التجارة وحمايتها وذلك لكي يعم الرخاء شعب برنو ولكن كان التجار العرب الطرابلسيون هم الوحيدون الذين تركت لهم حرية الاتجار والتقدم الى برنو وذلك لان كثيرا منهم كانوا معروفين لرجال السلطان وأنهم كانوا يحضرون معهم المنتجات الاوربية التي كانوا يحضرونها من طرابلس (٢) .

---

(١) Johnoston,H.: OP. Ci . P. 160.

(٢) Denham and cloppertor.: OP. 329.

هـ/ العلاقات الاقتصادية مع غرب افريقيـــــا

ارتبطت برنو بعلاقات اقتصادية قوية مع البلدان المجاورة لها وكانت البلاد التي تقع الى الغرب منها ترتبط معها بروابط اقتصادية قوية . ويرجع هذه الروابط الاقتصادية الى أن برنو كانت تفرض نفوذها السياسي على امارات الهوسا . وتدخل في صراع عسكري مسلح مع سلطنة سنغاي وامارة كبي . وأن هذا الاحتكاك السياسي . كان يؤدي الى احتكاك اقتصادي في تبادل السلع بين برنو وجيرانها وذلك بأن يأتـــي التجار من امارات الهوسا والامارات التي تقع الى الغرب منها والى اسواق برنو لكـــي يقوموا بشراء المواشي والمصنوعات التي تصنع في برنو وأيضا المنتجات التي تأتي اليهـــا من الشمال وذلك لكي يقايضوها بسلع المتوفرة في بلاد الهوسا مع السلع الزائدة عـــن حاجة سكان برنو [1] .

وكان النحاس يحمل من كانو . حتى غرب برنو الى بيرني العاصمة وذلك لكـــي يستفيد منه سكان برنو في مقابل ذلك يقوم أهل برنو بتبادل الخيل والجواري الحســـان والثياب [2] .

وأن أهل برنو أقاموا علاقات اقتصادية وتجارية مختلفة مع بلاد [illegible]

---

(1) Alexandar,B,: From Niger to Nile, vol. 2. P. 268.

(٢) ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨ .

تمبكتو وجنى وجاو وغيرها من مدن غرب افريقيا وعملوا على تشجيع الحركة التجارية مع تلك البلاد وعلى زيادة نموها وازدهارها (1) .

وعمل سلاطين برنو على تشجيع قدوم التجار الى بلادهم والعمل على منح التسهيلات اللازمة لذلك والقيام بتأمين طرق المواصلات حتى تستطيع القوافـــل الحضور في أمان الى برنو ومن ذلك الرسالة التي أرسلها السلطان قاضي سلطان برنو الى عرب واحة فزان يطلب منهم الحضور الى بلاده ، دون أن يحملهم ضرائبا أو مكوسا أو جزية ، وأن أي تاجر يستطيع أن يحضر الى برنو ولا خوف عليـه وأنه سوف يجد الامان والطمأنينـــة (2) .

ولقد كانت الطرق الرئيسية بين برنو وبلاد غرب افريقيا تمر بقوافل التجـــارة المتبادلة بين برنو ومن جاورها غربا الى حوض السنغال ومن طريق واحات الصحراء الكبرى الى نهر النيجر (3) وفي هذه التجارة كانت تعود بالنفع المتبادل على كـــل الاطراف .

ومن الثابت جغرافيا أنه لم تكن هناك حواجز طبيعية تقف حائلا بين انتقال القوافل بين برنو وبلاد غرب القارة ، ذلك أن صلة غرب افريقيا بالعالم الخارجـــي كانت تتم عن طريق القوافل الشمالية والتي كانت بدورها تمر ببلاد البرنـــو

---

(1) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيه ص ٢٦١ .

(2) Hodghin,T.: Nigerian perspectives.P.P. 80 - 81.

(3) محمود ابو العلا : دراسات في جغرافية العالم الاسلامي ، ص ٢٣ .

وقائع . ومهما يكن من أمر هذه الحدود فان سلطنة برنو قد لعبت دورا كبيرا في تجارة السودان الغربي وذلك لبسطها النفوذ السياسي والحضاري والاقتصادي على بعض الاقاليم (١) .

ولقد لعبت التجارة بين برنو وبلاد غربها القارة دورا هاما في نشر الاسلام في بلاد الهوسا ونتيجة لهذه الصلات التجارية بين الامارات والبرنو . فقد اعتنق بعض حكامها الدين الاسلامي وذلك أن الاسلام قد انتشر في القارة لاسيما عن طريق التجارة والتجار الوافدين اليها من برنو ولقد كان من نتيجة الاتجار مع مدن الهوسا . أن اصبح لهذه المدن تجارة واسعة وكان بها الاسواق العامرة بشتى انواع السلع المختلفة (٢).

وأن اهل برنو كان يكثر عندهم الذهب والذي كان يجعلهم أصحاب ثروة مما كان يزيد من نشاطهم التجارية ويشجع على الاتجار معهم ولقد كانت الاقاليم التي تقع الى الغرب منهم تجاري تعاطيا تجاريا ملحوظا معهم (٣) .

ولقد ذكر بارث أن سوق برني عاصمة برنو كانت تفد اليه القبائل من البلاد المجاورة وذلك لكي يقوموا بتبادل المنتوجات والبضائع معهم ولقد

---

(١) سر العظيم عثمان : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٢) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa .P. 18.

(٣) Bovill, E.: The golden trade of moors.P. 130.

أكسب ذلك برنو شهرة عظيمة (١) . ولقد نتج من جراء هذه الاتصالات الاقتصادية بين برنو وكانو ان شهدت تلك المدينة نموا تجاريا هائلا منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، على الرغم من أنها كانت تدفع الجزية لبرنو . إلا أن التجارة وطرقها كانت مفتوحة ومتصلة بين الطرفين . وأيضا فان كاتسينا بعد أن استقلت عن سلطان ارتبطت بروابط تجارية قوية مع برنو ، على الرغم من انها كانت لا تزال تدفع الجزية لها (٢) .

وعمل سلاطين البلاد على حماية الطرق التجارية في السودان الاوسط والغربي وقد ساعد ذلك على تدعيم التجارة واستمرارها ولكنه بمرور الوقت فان الطوارق دعموا نفوذهم على هذه الطرق من الساحل حتى وسط النيجر والتي بحيرة تشاد . وأنه في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي فانه لم تكن توجد قوة تحول دون تحكمهم في الطرق الصحراوية وقد أدى ذلك الى تدهور اقتصاد برنو وكساد الحركة التجارية بينها وبين بلاد غرب القارة الافريقية (٣) .

وقد يقدر القوافل التي كانت تأتي الى كانو من الشرق من برنو وشمال القارة الافريقية في بداية القرن التاسع عشر بحوالي ٢٠ الف رجل (٤) .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 52.

(٢) Craw er,M.: The story of Nigeria P. 45.

(٣) Trimingham,J.S.: A history of islam in west Africa P. 151.

(٤) صلاح صبري : افريقيا وراء الصحراء ، ص١٦٢ .

د / العلاقات الاقتصادية مع السـودان

ليس من السهل القول أنه كانت هناك علاقات اقتصادية قوية بين برنو وبلاد السودان مثل تلك العلاقات التي كانت بين برنو ومصر وبلاد الشمال الافريقي الا أنه هناك احتمال بأن التجار الكانميين قد اتخذوا من وادي النيل الجنوبي ومنطقة البحيرات مجالا لنشاطهم التجاري ، ذلك لانه من المعروف أن طرق القوافل منذ أزمنة طويلة قد امتدت بين ساحل البحر الاحمر وبين بلاد السودان الاوسط (برنو) ولا يعتقد أن الممالك المسيحية التي قامت في وادي النيل الجنوبي كانت تقف عائقا في سبيل نشاط الكانم أو الكانميين التجاري بحيث تحول دون وصول التجار من الاواسط القارية الى البحر الاحمر ، فقد كانت سنار وجنوبها معبرا تجاريا منذ عهد قديم ، ولا يستبعد أن يكون ، وادي النيل الجنوبي ، خلوا من الاثار الكانمية أو الكانمية ، اذ عرفنا أن هذا الوادي كان يقع في ملتقى نشاط التجار الذين جدوا في توسيع دائرة تجارتهم بامكاناتهم الهائلة على سواحل البحر الاحمر وبلاد الحبشة (١) .

واستخدام التجار الكانميين ارض السودان الشمالي معبرا لتجارتهم فانهم حلوا الحبشة تحت ستار التجارة ، ووجدوا من الامراء والحكام ترحيبا بسبب نشاطهم الاقتصادي الضخم واشتغالهم بتجارة الرقيق بمساعدة ملوك الحبشة انفسهم (٢) .

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١١٠ـ١١١

(٢) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في شرق القارة ، ص ٥٠ .

وكان لهؤلاء التجار القادمين من السودان الغربي صلة بأمراء الحبشة المسلمين الذين كانت ممالكهم تطوق الكتلة الاثيوبية الجبلية المسيحية من الشرق والجنوب حتى تصل جنوبها الى اقليم البحيرات . وهذا يحمل الدليل على الصلة بين برنو وهذه السلطنات الاسلامية الحبشية . ولما كانت برنو قد مارست نفوذا سياسيا في مناطق دارفور وكردفان فمن الواضح أن هذين الاقليمين قد كانت بينهما وبين البلاد صاحبة السيطرة حركة تجارية نشطة وذلك من الاثار التي عثر عليها في هاتين المنطقتين والتي يتضح منها أنهما كانتا تخضعان للامبراطورية البرنوية . حيث كانت امبراطورية برنو . تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي وثقافي على جيرانها (١) .

وقام التجار القادمين من غرب بلاد السودان الشرقي بدور عظيم في نشر الاسلام بين سكانه اذ نجد أن السودان بحكم موقعه الجغرافي . قد تعرض لتيارات اسلامية وافدة من الشمال الشرقي الى دارفور وكردفان وأن التجار كان لهم أكبر الاثار في نشر الاسلام (٢) .

ولكنه في الفترات المتأخرة من تاريخ برنو نجد أن برنو قد أغلقت أبوابها في وجه التجار النيليين منهم وهنا حاول التجار أن يتوغلوا في وسط القبائل التي تسكن شرق برنو ولكنهم فشلوا ولا يهتم النيليون بالاتجار مع أهل دارفور وبرنو وكذلك لم يعثر على أي اثر لتجارة منتظمة للقوافل تقوم بين شرق السودان والاقاليم الواقعة وراء ماجرى . وأما القلة التي تسافر من برنو الى دارفور من

(١) Arkell, J.S.: A history of the sudan P. 213.

(٢) حسن أحمد محمود : نشر الاسلام ، ص ٣٢٩ .

عن طريق بحر الغزال فلم يكـــن بعيدا عن التجـــارة (١) .

ومع ذلك فان القبائل القليلة التي كانت تستطيع أن تتوغل غربا الى برنـــو فانها كانت تقوم بالتجارة مع القبائل التي تصل اليها . ومهما كانت الظـــروف السياسية تحول دون تدفق التجارة واستمرارها . فانها لم تكن تنقطع نهائيـــا اذ نجد أن ترمنجهام يذكر أن التجار التونسيين قد توغلوا غربا في الاقاليـــم التي تقع قرب الحبشة حتى وصلـــوا الى نيجيريا . بينما البربر وأهالي السودان الا الغربي . انتشروا في الاتجاه الشرقي وأصبحت برنو وودای حلقة بدارفور وكردفان وذلك يرجع لجهود التجار القادمين من الغـــرب (٢) .

ومهما يكن من الظروف السياسية التي كانت تقف حجر عثرة في سبيـــــل الروابط الاقتصادية بين برنو والسودان الشرقي فان الروابط قد توطدت بين السودان وبرنو وأن كثيرا من تجـــــار برنو كانت لهم مراكز تجارية هامة وطيـــدة فـــي مصر والسودان وبخاصة البحر الاحمـــر (٣) .

وأنهم ساهموا بنصيب كبير في أنشــــاء المدن الساحلية على شواطىء

---

(١)

(٢) Trimingham, S.J.: Islam in the sudan. P. 99.

(٣) عبد الرحمن زكي . الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا ص ١٧ .

البحر الاحمر مثل سواكن ، وزيلع ، وبربره ومقديشيو وكلوه وأصبحت هذه المدن الساحلية مراكز تجارية هامة تقوم بحمل متاجر افريقية الى اسواق اسيا وحمل متاجر اسيا الى افريقيا ومن ثم اصبحت هذه المراكز التجارية ، مراكز هامة لنشر الاسلام ، اذ قام اثرياء كانوا يعيشون في هذه المدن التجارية بفتح المدارس وتشجيع الطلاب على الدرس والتحصيل والتبحر في العلوم الاسلامية ، وهذا خير دليل على وجود روابط اقتصادية قوية وصلات بين بلاد برنو وبلاد السودان (١) .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

« الفصل الرابع »

الاسلام والثقافة العربية

أ - انتشار الاسلام وأثره

من المعتقد أن الاسلام دخل بلاد الكانم الامبراطورية القديمة في ركاب الاسرة الحاكمة وأن ادخال هذا الدين الى هذه البلاد هو الذي مكن للاسرة الحاكمة من السيطرة على البلاد ، والانتساب الى العرب وحكمهم البلاد (1) .

وأن الاسلام جاء اليها أولا من الشرق من مصر وكان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي أو قبل ذلك بقليل وانتشر بعد ذلك وتوطدت دعائمه في البلاد ، وأصبح أهل الكانم والبرنو مسلمين وتذكر الروايات المحلية أن أول من بث الاسلام فيها هو الهادي عثمان ، الذي ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان (2) .

وبعد ذلك ضعفت مملكة السلطنة وزادت علاقتها باسلامها وبعد نفوذها على من جاورها وزادت هيبتها وأن الذين نشروا الاسلام في تلك الديار هم الافريقيون وخصوصا الهجين الذين تجري في عروقهم الدماء العربية ، ومعظم الممالك الاسلامية في السودان ، كواداي وبرنو وكانم ودارفور ، قد أسست على أيدي بعض

---

(1) حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ص 256 .

(2) سر الختم عثمان ، العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص 54 ، ص 55 .

المتحدثين باللغة العربية السواحيلية والذين جاءوا اليها للدعوة للاسلام والتجارة واصبح الاسلام افريقي في افريقيا (١) .

وإن كان الاسلام قد جاء اليها أولا من مصر الا أن دول الشمال الافريقي قد شاركت بدعاة وعمال في نشر الاسلام ، اذ نجد أن الاسلام بعد أن استقر وثبتت مبادئه في شمال افريقيا ، فان وسط وغرب القارة الافريقية عرفت الثقافة العربية الاسلامية التي تعتمد على التوحيد ، لكن على الرغم من أن الاسلام قد بدأ بغزو البلاد ، الا أن تقدمه كان بطيئا أولا ، ولكنه زادت سرعة انتشاره بين الافريقيين بعد ذلك بقيام الامبراطوريات الاسلامية مثل كانم وبرنو في تلك المنطقة من السودان الافريقي والتي كان لها الفضل الاكبر في نشر الحضارة الاسلامية في تلك الارجاء (٢) .

وكان الاسلام ينتشر بالتسرب البطيء السلمي من قوم الى قوم فاذا ما اعتنقته الطبقة الارستقراطية وهي هدف الدعاة الاول تبعتها بقية القبيلة وقد يحدث أن تتلقى الدعوة الاسلامية من الطرف ، كأن يعتنقها الرئيس الديني في عشيرة وثنية ليقوي مكانتها الاجتماعي ، ويستجيب افرادها لدعوة الاسلامية ويؤيد

---

(١) Trimingham, J.S.: islam in the sudan P.P. 91 - 100

(٢) Trimingham, J.S.: The christion church and islam in west Africa P. 9.

بدأ الاسلام فى كانم باعتناق احد ملوكها الاسلام . ولعبت الصلات التجارية وطرق القوافل الممتدة من بحيرة تشاد الى طرابلس عن طريق فزان . كانت عاملا هاما فى انتشار الاسلام واستقراره فى تلك الجهات (١) .

ولقد لعبت التجارة دورا كبيرا فى نشر الاسلام بمنطقة السودان الاوسط التى تضم برنو وكانم ونتيجة لهذا الدور فان الاسلام تغلغل فى نفوس الرعية . وكان له اثر كبير فى توجيه القبائل تحت سيادة سلطنة البرنو (٢) ، وكذلك ساعد فى جمع شمل الشعوب فى امة واحدة وخضوعها لتعاليم الاسلام وعقيدته (٣) .

ومن هنا فان القبائل التى كانت تتناحر قبل الاسلام أصبحت بالاسلام قوة واحدة تخضع لزعامة واحدة .

وكان السلطان اومى اول سلاطين البرنو الذين اعتنقوا الاسلام (١٠٨٥ ـ ١٠٩٧ م) وهو الذى أسس الدولة الاسلامية فى البلاد وان الشيخ محمد بن مانى هو الذى أدخل الاسلام فى بلاد كانم والبرنو كما جاء فى محرمية السلطان أومى (٤) .

وهذه الوثيقة التى نشرها السلطان أومى على رعيته وأعلنها فى بلاده والتى

---

(١) د. سامى حسين : الديانات فى افريقيا السوداء ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

~~TTimingham,R.: The Bornu shoun and sudan. P. 14.~~

(٣) Trimingham,J.S.: islam in west Africa P.P. 16 - 17

(٤) Palmer,R.: The Bournu shoun and sudan .P. 14.

يذكر فيها أن برنو هي أول بلاد السودان التي دخلها الاسلام وأن انتشار الاسلام بسرعة في هذه البلاد يرجع الى اعتناق هذا السلطان لتلك العقيدة وعمله على نشرها بين رعيته (١) .

وجاء بعد ذلك سلاطين حكموا البرنو وعملوا على نشر الاسلام بين الرعية وذلك بعد أن ألزموهم بعبادة الله والقيام بالصلاة والصوم وتطبيق التعاليم الاسلامية بكل حذافيرها والعمل بما جاء في الكتاب والسنة (٢) .

وعمل هؤلاء السلاطين على توطيد العقيدة الاسلامية بين شعوبهم ومن هنا كان الاسلام أخذ في التوسع والانتشار وليستدل على انتشار الاسلام وتعمقه في نفوس الرعية والطبقة الحاكمة والعلماء ، بما جاء في رسالة السلطان عمر بن عثمان الى السلطان برقوق سلطان مصر والتي يشكو فيها عرب جذام وذلك قوله أن هؤلاء الاعراب قد افسدوا ارضنا كلها في بلد برنو كافة ، وسبوا احرارنا وأقاربنا من المسلمين ويطالب برد هؤلاء الى حريتهم واسلامهم ويصف هؤلاء الاعراب بأنهم الجاهلون بالله وسنة رسوله والى ما جاء في هذه الرسالة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، يدل دلالة كبيرة على عمق العقيدة الاسلامية في نفوس الحكام والرعية وبذلك بحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله (٣) .

---

(1) Trimingham, J;S.: A history of islam in west Africa P. 115.

(٢) Trimingham, J.S.: The ingluence of islma open Africa .P. 34.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

الاسلام في برنو بعد رحيل الاسرة الحاكمة اليها

في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، كان شعب الكانوري والســـو يعوقون نمو حركة انتشار الاسلام واجتذاب سكان برنو الوثنيين ، وكذلك لان بلاد برنو تصلح ارضها للزراعة ، أكثر مما تصلح ارض بلاد الكانم ، ولكن شعـــب السو ، الذي كان يسكن برنو رفض الاستسلام والدخول في الاسلام وعلـــى هذا فقد وقعت في خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، عدة حروب بين قبائـــل السو وملوك بني سيف ، ومن ثم فان القبائل المسلمة ، أخذت ترحل الى اقلـــيم البرنو ، والذي كانت تسكنه أيضا قبائل الكوارارافا ، بجانب شعب الســـو ، بدأ هذا الشعب بعد أن رأى زحف القبائل المسلمة من الشمال بعد هزيمتها على يد شعب البلالة ، بدء يتجه شرقا الى أرض برنو ، وعملت الشعوب الاسلامـــية على دخول القرى والمدن التي كان يسكنها شعب السو ، والكوارارافا والاستيـــلاء عليها وهدمهم وضمهم في تلك الارض (١) .

على أنه يمكن أن يلاحظ أنه بالنظر الى انتشار الاسلام في البلاد ، فان انتشاره كان بسيطا في الجزء الشمالي من السودان في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء .

---

(١) ابراهيم بن صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانـــم برنو ، ص ٢٥ - ٢٧ .

وشمال منطقة الغابات الاستوائية وفي هذا الاقليم كان أغلب السكان قد اصبحوا مسلمين على الرغم من ان الجزء الجنوبي من برنو والذي كانت تسكنه تلك الجماعات الوثنية ، قد تأثر قليلا بالاسلام وأن كان الاسلام قد بدأ يخطو خطوات فيما بعد الى الجنوب (1) .

ولم يكن انتشار الاسلام يسير بسرعة في عهد السلاطين الذين حكموا جميعا وذلك بسبب انشغالهم بالقتال ضد البلالة ، وبقايا شعب الصو ، وقد عاق ذلك حركة الدخول في الاسلام على نطاق واسع الى أن جاء السلطان علي غازي ، والذي عمل على تعميق المفاهيم الاسلامية الكفيلة برفع مستوى البلاد الى حياة افضل ونصب الشيخ عمر مسارمبا واعظا للامة البرنية ، وكان السلطان يحضر بنفسه دائما مجلس وعظه وكان يستمع اليه في خشوع وهدوء وهو يعظ الناس (2) .

وكان هو الشيخ من سلالة الفلاته وقد ترك برنو خمسة عشر عاما ، ثم سافر الى الشرق الاسلامي وذهب الى الازهر بالقاهرة ، ومكث هناك ليتعلم ويتفقه على رجال الدين ثم بعد ذلك ذهب الى مكة وأدى فرائض الحج ومناسكه ، وبقي في المدينة

---

(1) Trimingham, J.S.: The christian church and islam P.10.

(2) ابراهيم بن صالح : [illegible] ، ص ٨١ .

الغزوة لمدة شهرين ثم من المدينة ذهب الى بغداد واستقر بها ستة شهور متزودا بالمعارف الدينية والعلمية ثم أخيرا عاد الى بلاده برنو واستقر فى عاصمتها برنى وقام بنشر العلوم الاسلامية (١) .

ومما قام به السلطان على غازى ، بناء العاصمة الجديدة برنى ، لأنه بنى له قصرا فخما لكى يمارس فيه شئون الحكم ، وفى هذا القصر مسجدا فخما وعين له الشيخ عمر بن عثمان اماما له ، وكان هذا المسجد خاصا بالاسرة الحاكمة يقوم بالصلاة به السلطان وجميع رجال البلاط السلطانى ، والنبلاء وسيدات القصر الملكى ، وكان عدد المصلين به سبعة وستين شخصا منهم سبعة سيدات وستون رجـلا (٢) .

كذلك فانه قام ببناء اربعة مساجد كبرى ليؤدى الصلاة بها ، باقى افراد الشعب وعين لكل مسجد اماما ليقوم بتأدية الصلاة يوم الجمعة ويؤم المصلين الذين يقدرون بالفى عشر شخصا يؤدون الصلاة كل يوم جمعه ، واطلق على المسجد اسم عرف به فكان المسجد الاول يعرف بمسجد جاباجا ، والامام الذى كان يقوم بالصلاة به الشيخ محمد مجوس ، وسمى المسجد الثانى " كالويسو " والامام الذى يصلى بالناس به هو الشيخ " سنوماى " ، والمسجد الثالث سمى مسجد

---

(١) Palmer, R.: The Bournu shara and sudan. P. 53.

(٢) Palmer, R. ibid. P. 34.

" اوامو " والامام الذى كان يؤدى الصلاة بالقوم هو الشيخ كاواجواما " والمسجد الرابع سمى مسجد " كاوامو " واسم امامه الشيخ احمد بولتو (١).

وعمل السلطان على كارى على نشر الاسلام بين وثنى القبائل الوثنية وكان يخير وثنى القبائل التى يغزوها بين اعتناق الاسلام أو القتل وعادة كان هؤلاء يفضلون الدخول فى الدين الاسلامى ثم تجمعهم بعد ذلك قبائلهم .

وكان للعقيدة الاسلامية اثر كبير فى هذه البلاد وذلك لوجود صلات وطيدة مع مصر وطرابلس والمغرب وكانت هذه البلاد ساعدت على انتشار الاسلام والثقافة والحضارة الاسلامية العربية . وكان من جراء اعتناق شعب الكانورى للاسلام وصوغه عقيدة لهم والعمل على نشره بين القبائل الوثنية أن اعطاهم اعتناق الاسلام قوة سياسية فى السلطنة (٢) .

وبناء على تلك القوة فانهم عملوا على نشر الاسلام على نطاق واسع بين أهل البلاد والبلاد المجاورة وذلك أعطاهم انطلاقة جديدة نحو العلاقات الدولية . وقد تطور الاسلام فى تلك الارجاء فان كانم برنو قد بدأ يدخل عهد العز والرخاء(٣)

---

(١) Palmer,R.: The Bormu shara and sudan .P. 54.

(٢) colmen;J.: Nigeria .P.P 22 - 26.

(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٥٧ .

وليس هناك شك في أن التآلف الروحي الذي ولدته وحدة الشعائر الاسلامية بين جميع الشعوب التي بدأت تعتنق الاسلام ، كان له اثر بعيد في حياة الشعب الكانوري . فالمسلمون في جميع البلاد يلتقون حول شعائر واحدة كالاعتقاد باركان الاسلام الخمسة (١) .

ويلاحظ أن قبائل الكانيمبو والكانوري التي انتشرت في تلك المنطقة يسمون السكان المحليين بصفاتها المؤثرة في تلك المنطقة على الرغم من أنهم لم يكونوا رجال بعثات أو دعاة دعوة للاسلام (٢) .

ومع ذلك فان ليو الافريقي كتب في بداية القرن السادس عشر الميلادي اثناء رحلته في القارة الافريقية وزيارته لبرنو ، يقول أن سكان برنو لا والوثنيين ، ولكن هذا يختلف في القول عن أن الاسلام قد جاء الى هذه المناطق منذ أربعة قرون وقد يبدو قول ليو أن عامة الشعب لم تعتنق الدين الاسلامي وأن انتشار الاسلام في هذه المنطقة لم يكن انتشارا واسعا (٣) .

ولكن اشارة ليو اشارة واضحة بذلك بقوله أن اكثر قبائل برنو لم تزل على الوثنية وأنهم لم يعتنقوا الدين الاسلامي وأنها تحيا حياة بدائية وأنه ليس لهم عقيدة ولا دين فهم ليسوا مسلمين أو نصارى أو يهود ، وأنهم يحيون

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقي ص١٠١

(٢) Lewis, ?.: islam in trapical Africa P. 132.

(٣) Hodgkin, T.: Nigerian perpectives. P. 27.

حياة البهائم ولا يعرفون فكـرة الزواج [1] . على أن ما ذكره ليو هنا لا ينطبق على الجزء الشمالي من البلاد ، والذي كان قد تقدم فيه الاسلام ورسخت اركانه أصبح عليه غالبية السكان وربما يكون ترحال ليو في الجزء الجنوبي قـــرب شعـــب البوكين .

وليس أدل على عمق الشعور الاسلامي وإيمان الشعب والحكام والسلاطين ، لكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة والعمل بها ، تلك المحرمات التي كـــان السلاطين يقومون بإصدارها وذلك بإعطاء بعض الامتيازات والمنح للمشايـــخ والائمة المسلمين ورجال الدين الذين يؤدون خدمات جليلة للسلطان والسلطنة وكان هؤلاء السلاطين ينشرون هذه المحرمات على الشعب [2] .

والسلطنة هناك آراء تقول أنه رغم انتشار الاسلام بين شعب الكانوري فانـه لم يتغلغل في النفـــوس ، فليس في لغة الكانوري كلمة تعبر عن التوحيد ، ولا يعرف جمهور الناس عن الثقافـــة الاسلامية سوى مظاهر العبادات ، وبعض الافكار المبهمة عن الجنة والنار ، وعلى ذلك فان اســـلام البرنويين اســـلام محرف بل اسلام لا حماس فيـــه [3] .

ولكن استطيع القول أن الاسلام تعمق في نفوس شعـــب برنو ولكن هـــذا

---

(١) You Africanes: The history and discription of Africa. vol. 2. P.P. 832 - 833.

(٢) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan P.P. 21 - 46.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

الرأى قد يكون على جانب من الصحة بأن الشعوب الاسلامية التى لا تتحدث اللغة العربية ، لغة الضاد والقرآن لغة لها قد لا يكون تمسكها بالدين الاسلامى والعقيدة الاسلامية ، مثل الناطقين باللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وإن كان هذا القول لا ينفى انتشار الاسلام انتشارا واسعا فى انحاء البلاد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، بل انه تجاوز حدود برنو ووصل الى بلاد الهوسا غربا والى دارفور شرقا وذلك نتيجة لتأثير برنو(١) .

ثم ان ذلك خلال القرن السادس عشر الميلادى وأوائل القرن السابع عشر ، ذلك أثناء فترة حكم السلطان ادريس الوما ، والذى كان سلطانا متدينا حاول أن يطبق العقيدة الاسلامية وأن ينشرها فى كل أرجاء الامبراطورية الواسعة ، وانه بذل جهودا عظيمة لكى يدعم الاسلام ويرسخه فى نفوس رعيته وأن يكون كل فرد فى هذه الامبراطورية مسلما صحيحا وأن يخلص الدين الاسلامى من البدع والخرافات التى لحقت به ، وطبق ما جاء فى الشريعة الاسلامية بالدعوة الى الدخول فى الاسلام بين الاعداء ، وكانت حروبه للجهاد فى سبيل الاسلام وفى سبيل توسيع رقعة العقيدة الاسلامية (٢) .

---

(١) Crawder,M.: The story of Nigeria P. 42.

(٢) Ahmed ibn Fartua: Mai Idris Alooma of BornuP. 20.

وعمل على دخول كثيرا من البلاد المجاورة في الاسلام وجاء كثيرا من حكـام
هذه البلاد الى برنو عاصمة بنجرو ، يقدمون فروض الطاعة ويطلبون دخولهم فـي
الاسلام وانعقاد عهد لهم ولشعوبهم (1) .

على أنه مما ساعد على انتشار الاسلام وتمكنه في نفوس شعوب البرنـــو ،
أنه بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على ايدى التتار ، اضطر كثيـــرا
من العلماء والفقهاء ، ورجال الدين الى النزوح من بلادهم الى القارة الافريقية
ومما لا شك فيه أن بعضا من هؤلاء العلماء قد وصلوا الى برنو بعد أن نزحـــوا
من الشمال الافريقي وأن بعضا منهم قد طاب له المقام في أرضها ، فقام بدعـــو
الناس الى فهم الدين الاسلامي على أسس سليمة وعمل على تخليص الفهم من الافكار
التي لا تتفق مع طبيعة الدين الاسلامـــي (2) .

ومن ذلك يمكن القول أن تلك الديار قد صبغت بالصبغة الاسلامية البحتـــة
وأن كل القبائل مثل الكانوري والكانمبو قد صارت عقيدتها الاسلامية أعمق مما كانت
عليه عند دخول الاسلام تلك الديار وأن الاوربين كانوا يعتقدون أن بلاد برنـــو
وباقي دول السودان الاسلامية جزء من العالم الاسلامي ، وذلك لان سكانها أصبحوا
مسلمين متحمسين لديانتهم ، عاملين على التمسك بكل ما جاء بها من تعاليـــم
وأصبح يشار الى سلطنة برنو في كتابات الرحالة الفاتحين على أن برنو سلطنـــة
اسلامية (3)

---

(1) Trimingham,J.S.: Ahistory of islam in west Africa. P. 125.
(2) Hogben,S.J.: The Mahammadan emites of Nigeria.P.57
(3) The Columbia encyclopedia. Art? P. 249.

ب ـ اللغة العربية وأثرها في حركة التعريب في البلاد

يمتاز انتشار الاسلام في تاريخ برنو بطابع واضح فقد تم فيه الامتزاج الكامل بين التقاليد الاسلامية الوافدة ، وبين التقاليد الزنجية المحلية السائدة في البلاد ، وظهرت بعد ذلك تقاليد اسلامية افريقية ، أسلامية الشكل والطابع ، افريقية الروح ، ولم يقدم الامر أن يتخلى الشعب من التقاليد العامة في الحياة الاسلامية المعاصرة لهم ومن هنا فانه يمكن القول عن الثقافة العربية أنه كان ، طابعها عربيا صرفا لم تداخله آية تأثيرات أخرى ، وذلك لسبب واضح هو أن هذه الشعوب الزنجية الاسلامية في برنو ، والتي أعتنقت الاسلام وتمسكت بثقافته الاسلامية العربية لم تكن لها تقاليد ثقافية عريقة ، وكانت الثقافة التي انتشرت في البلاد بطبيعتها ثقافة التقاليد المالكية الدينية ، على أنه يلاحظ بالضبط تحديد مدى انتشار الثقافة العربية الاسلامية بين عامة الناس ، ذلك أنهم كانوا لا يستخدمون اللغة العربية في حياتهم الخاصة كلغة لهم ، انما كانوا يستخدمون لغاتهم الاصلية ثم يستخدمون اللغة العربية في تعبيرهم الثقافي وفي صلواتهم وأحاديثهم الدينية (١) .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ١٦٦ ، ١٦٩ .

على أنه يلاحظ أن الاسلام قد تطور في مذاهبه ، ليلائم أحوال تلك الشعوب ، وأن هذا التطور ، قد صاحبه تطور أيضا في الثقافة الاسلامية العربية ولغتها (١) .

ولقد تسربت بعض القبائل العربية الى تلك المناطق مثل قبائل الشو وغيرها من القبائل العربية التي استقرت في اقليم البرنو ، ولم تكتف هذه القبائل بادخال الاسلام الى تلك المناطق ، بل أنها طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية لغة القرآن في تلك الاقطار ، ومن ذلك فانه يمكن القول أن الجزء الشمالي من اقليم البرنو لا ينطبق عليه القول بأنه جزء من بلاد الزنوج لان به كثيرا من القبائل التي تنطق لغة الضاد وتستخدمها في كل أمورها (٢) .

وأن ظهور الاسلام واللغة العربية بنجاح كبير في ذلك الاقليم يعني لنا الدور العظيم الذي قام به هذا الدين ولغته الغراء في تلك البلاد وتطورها ، فقد أصبحت عن طريق الاسلام والعلوم الاسلامية العربية عظيمة الحضارة والتقدم . . وسرعان ما شكل الاسلام عادات السكان وطور حياتهم حتى صار مستواها الفكري والثقافي يقارن بنظائره في الدول الاسلامية المعاصرة لبرنو في ذلك الوقت ، سواء في الشرق الاسلامي أو شمال القارة الافريقية .

ولقد كان الاسلام والعلوم العربية الاسلامية هي التي أدت الى تسلم

---

(1) Trimingham, J.S.: The christian cherch and islam in west Africa P. 32.

(٢) تريمنجهام ، جيه : نفس المرجع ، ص ١٤٠ .

هذه السلطنة الكبرى . وسارت نهضة الاسلام مع انتشار اللغة العربية في شرق انحاء السودان الاوسط والغربي . وأصبح المذهب الغالب في تلك البلاد هو مذهب الامام مالك . على أن سيادة هذا المذهب لا تنفي وجود بعض الشافعية في البلاد مما يؤيد . أثر الشيخ المصري للثقافة العربية الاسلامية التي سادت تلك البلاد [1] .

والواضح أن الدعوة الاسلامية في تلك البلاد كما في غيرها من البلاد الاسلامية قد ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية التي تفسر القرآن والاحاديث النبوية ومسائل المذهب المالكي ولقد سادت الاسلام واللغة العربية جنبا الى جنب مع الجهاد في نشر الاسلام وتوسيع رقعة البلاد الاسلامية في أفريقيا ولقد أحتفظ الافريقي في برنو وغيرها من البلاد الاسلامية الافريقية . باللغة العربية . أحترامًا يقترب من التقديس باعتبارها لغة القرآن الكريم فبها يؤدي الصلاة . كما يتلو بها القرآن الكريم . وبواسطتها يلم بعلوم الدين الاسلامي [2] .

على أن اعتناق تلك الشعوب للدين الاسلامي وتمسكها بالروح الاسلامية العربية قد ترك اثرها على حضارتها وثقافتها . بل أن الاسلام ولغته ظهرا

---

(١) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا . ص ٥٧-٥٨ .

(٢) ابراهيم طرخان : المرجع السابق . ص ٦١-٦٣ .

بصورة واضحة وجلية في حياة تلك الشعـــوب (١) .

وجاء هذا التأثير على انتشـــار اللغة العربية والتمسك بها والمحافظة عليها وعلى تعلمها وذلك فضلا عن الجانب الديني المرتبط بها . ونجد أن كثيرا من الشعوب الافريقية في السودان الاوسط والسودان الغربي ، قد ادعى الاصول العربية والانتســاب الى الاســر العربية ذات التاريخ العريق في تاريخ الامة العربية الاسلامية ، وأن هذا الادعاء لم يظهر أو لم يعرف الا بعد انتشـــــار اللغة العربية والاسلام في تلك البلاد ، وهذا دليل على حرص هذه الشعـــوب على التمسك بكل ما هو عربي وديني ، كما يدل على الترحيب والرضى والقبـــول الذي ظفر به الاسلام ولغته ، فقد ادعى ملوك تلك السلطنـــة أنهم ينحدرون من أصل عربي يمـــني وأن اسلافهم من نسل سيف بن ذي يزن (٢) .

بل أكثر من ذلك أن كلمة الكانوري مشتقة اصلا من العربية والتي معناهـــــا أصحاب النور أو جملة المشاعل ، اشارة الى الدور العظيم الذي لعبته هـــذه القبائل في نشر الاسلام والثقافة العربيـــة الاسلامية ، وكما ذكرت اساطيرهـــم فان هذه السلطنة الاسلامية العظيمة قد قامت على أيدي العرب الوافديــــن من الشـــرق (٣) .

---

(١) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 96.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

وكان للحركة التجارية دور كبير في نشر اللغة العربية وثقافتها وقد وجدنا في دارفور عدد كبير من الشواهد التي تدل على عمق اللغة العربية والعروبة في تلك الديار ، رغم محاولات الاستعمار في محو الطابع العربي من تلك البلاد ولا يستطيع أحد أن ينكر دور العرب في أقاليم دارفور فقد تأثرت بهم شعوب تلك البلاد الى حد كبير وشاعت مظاهر الثقافة العربية بين هذه الشعوب المحلية ، ولم يقف دور العرب عند الاقامة في هذه البلاد فحسب ، بل كان لهم دور بارز في تعمير البلاد وتطويرها ، وأن العرب انشأوا مجموعة من المدن الهامة في دارفور ولا سيما في الغرب والشرق والشمال ، فقد إستقرت أعداد كبيرة منهم ، وكان لاختلاط العرب مع سكان البلاد اثر كبير في نشر اللغة العربية ، بل أن الاجزاء الشمالية قد تعربت على مستوى الجنس واللغة وانتشرت اللغة العربية على نطاق كبير ، وإن كانت اللهجات المحلية منتشرة في بعض الانحاء في البلاد ، الا أننا نجد أن اللغة العربية والنظم العربية اصبحت هي السائدة في البلاد (1) .

وكان تأثير العرب فيها قد شمل بعض القبائل في دارفور وأن كان تأثير اللغة العربية قليلا على بعض القبائل مثل الفور والطوارق ، ولكن كثرة

---

(1) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ، ص٩٨.

العرب في سلطنة بنرنو حاولت أن تصبغ الأهالي بالصبغة العربية الكاملة ، حيث دخلت بعض القبائل العربية من سودان وادي النيل الى برنو والذين يقدر عددهم بحوالي مائة الف نسمة ويوجد من بينهم أولاد سليمان والشوا ، والبقارة وكل هؤلاء يتكلمون اللغة العربية (١) .

ويبدو أن الهجرات العربية الرأسية التي أثرت في برنو وثقافتها العربية الاسلامية قد جاءت من مصر وشمال افريقيا عبر السهول والبرارى الواقعة بين النوبة وأقاليم بحيرة تشاد وأنهم تركوا اثرهم الثقافي والحضاري في المناطق التي استقروا بها (٢) .

ويوجد في برنو أيضا بعض العرب الراكشيين وأنهم يتكلمون اللغة العربية ويعتمدون عليها وسيلتهم في كل أمور حياتهم وكذلك القوم الذين يختلطون بالعرب فانهم يتكلمون اللغة العربية أيضا ولقد تأثروا بالعرب الذين يعاشرونهم ويتصلون بهم وكان لهم لغة قوية في برنو (٣) .

وعلى الجانب الآخر فان اللغة العربية قد أمدت لغة الكانوري بمفردات من الالفاظ الدينية والسياسية والاقتصادية وكان لهذه الهجرات العربية أثر كبير في

---

(١) Trimingham, J.S.: Islem in west Africa P. 112.

(٢) مصطفى محمد ، سلطنة دارفور ، المجلة التاريخية عدد ١١ ص١١٧

(٣) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية في افريقيا ، ص ٦٩ .

انتشـــار اللغة العربية في تلك البلاد واستقرارها بها ، وهذه الهجرات العربية قديمة وسابقة على دخول الاسلام ولكنها زادت بانتشار الاسلام ، وأحفاد هـــذه السلمون للاسلام مثلا مجموعة القبائل العربية المعروفة باسم الشوا ، السابق ذكرهـا فان هذه التسميـة التي أطلقها عليهم البرنويون ، قد وصلوا من وادي النيل ومـــن الشمال واشتهروا في جنوب برنو بالقرويـــة [1] .

وقد فسر بعض الباحثين ، بأن أصل هذه التسميـة عربي وأيا كانت الاصـول فيه ، مجموعـــة عربية كما أن القبائل العربية ، قد احتفظت باسمها الاصلي مثـــل جذام ، هذا وساهمت العرب والشوا وغيرهم من دعاة المسلمين العرب مع القبائـــل الافريقية ، ساعدت على انتشار اللغة العربية بجانب الاسلام ، ويحرص المتكلمـون باللغة العربية في برنو مثلا على الاحتفاظ بها حتى لا تطغى عليها اللغـــات المحلية ولا سيما لغة الكانوري ، كما أن اللهجة العربية السائدة في برنو يغلـب عليها اللهجـــات الحجازيـة [2] .

والمسلمون في تلك البلاد متشبعون بالحضارة الاسلامية العربية ، وذلـــك لان العرب كانوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم وهكذا تطبع البلاد بالطابـــع العربي الاسلامي ويتم تداخل القبائل العربية مع القبائل المحلية في السودان الاسلامي

---

(١) ابراهيم بن صالح ، نفس المرجـــع ، ص ٢٢١ .

(٢) ابراهيم طرخـان ، نفس المرجـــع ، ص ٧ .

في قلب افريقيا فقد دخلت في الاسلام وطبعت بالروح العربية طوعا لا قسرا وقامت حضارات اسلامية وتبعت اللهجات الوطنية الاصلية بجانب لغة الضاد لغة القرآن الكريم كدليل على أن الحضارة العربية تقوم على محافظة الناس بالحسنى وقد وجدت الشعوب الافريقية في الاسلام والحضارة الاسلامية العربية ضالتها ، فقد عثر في برنو على عدد كبير من المقابر عليها شواهد باللغة العربية (١) .

وعلى هذا فان التعريب في سلطنة برنو ، قد اتخذ مظاهر متعددة اهمها اللغة والنسب والتاريخ . ولكى تتحقق الاسرة الحاكمة هذه المظاهر ، ، شجعوا كثيرا من العلماء والفقهاء الذين اخذوا بنصيب من العلم في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ومنحوهم مكانة مرموقة وأحاطوا انفسهم بعدد من كتاب اللغة العربية وعلمائها وجعلوا اللغة العربية اداة للكتابة الرسمية الموجه الى الاقطار الاسلامية مثال ذلك رسالة صاحب برنو الموجهة الى سلطان مصر (٢).

وأيضا في سبيل هذا التعريب فانهم حولوا النسب الحميرى القديم وذلك بأن عدل اهل برنو هذا النسب الحميرى الى نسب حميرى متصل بالقرشية

---

(١) نجلاء سهيل النصرى : الافريقيون والعرب ، ص ٦ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

(أهل قريش) والاسلام في سبيل هذا التعصيب عدلت اسماء ملوكهم التي كانت تحمل دلالات وثنية الى أسماء عربية اسلامية مشتقة أصلا من بسلاد الشرق الاسلامي [1] .

وأيضا مما قوى اللغة العربية وسهل انتشارها على نطاق واسع ، اتصال هذه الدولة الاسلامية بالدول الاسلامية المعاصرة " مصر وشمال افريقيا " ، واقتباسها بعض النظم منها واتخاذها اللغة العربية وسيلة في كل امورها الحكومية وتشجيع الحركة العلمية وترحيبها بالعلماء والفقهاء وبناء المساجد ، وتأسيس المدارس ، والترحيب بالعلماء من العالم الاسلامي ، فأدى ذلك الى ازدهار الدراسات الاسلامية العربية في المراكز التي قامت في برنو ، كما رحل الطلاب الى المراكز الاسلامية الثقافية في العالم الاسلامي ، في مصر وبلاد المغرب والحجاز والعراق وغيرها من البلاد الاسلامية الاخرى [2] .

فالى جانب اللغة العربية التي انتشرت انتشارا واسعا في البلاد ، فان أهل برنو يتكلمون عدة لغات محلية بلغة الكانوري ، أوسع هذه اللغات انتشارا ولكن لا توجد مؤلفات بهذه اللغة ، وان كانت تسعى الى أن تحل محل اللغة العربية التي هي اللغة الرسمية وان كانت بعض القبائل الافريقية في تلك البلاد

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل السودان الاوسط السودان الغربي ص ٠ ١٠١

(٢) مصطفى محمد : الاسلام وحركة الثقافة في غرب افريقيا ، ص ١٢٢ ٠

تتمسك بلغتها المحلية وتسعى بكل الوسائل في المحافظة عليها [1] .

ولقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في سلطنة الكانم والبرنو لعدة قرون ولقد عمل الاستعمار الفرنسي والاستعمار الانجليزي عندما دخل هذه البلاد على أحلال لغته محل اللغة العربية . وبذلك أنزل اللغة العربية الى الدرجة الثانية . وهذا اكبر دليل على انتشار اللغة العربية وتمكنها في نفوس الاهالي وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم [2] .

ورغم محاولات الاستعمار ، فان اللغة العربية ظلت في انتشارها وزيادة المتحدثين بها . وذلك بسبب ما أتفق عليه أغلبية المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن الكريم الى أي لغة اخرى . فكان كل من يريد أن يتعلمه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية ويعد وان الاحجام عن ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية كان من أهم الاسباب التي حافظت على اللسان العربي وصانته . ونستطيع أن نبين عمق وأثر اللغة العربية في تلك البلاد . في وجود كثيرا من الكتب في تلك المملكة في هذه البلاد وعنايتها باللغة العربية . وتشجيع ارسال البعثات الطلابية

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(2) علي أبوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٢٠٣ .

وكان المتعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم وكانوا يعيشون حياة اسلامية حيث تقوم على أدوات الحياة الاسلامية العربية التي شاهدوها في مصر وباقي بلاد الشرق الاسلامي [1] .

وليس أدل على انتشار اللغة العربية مما قاله توماس (ارنولد) من أن اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم قد بلغت درجة عظيمة من التوسع والانتشار حتى غدت لغة التخاطب في قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يعود فيقول وهذا تقدم كبير في الحضارة الافريقية [2] .

ولكن رغم انتشار اللغة العربية في برنو وباقي دول السودان الاوسط فانها لم تمنع القبائل الوطنية الافريقية لغتها أو تقضي عليها بل ظلت هذه اللغات بجانب اللغة العربية التي هي لغة الدين والثقافة والمدنية والحكومة والتجارة .

وقد تركت هذه اللغة العربية وأثرها في اللغات المحلية ، لدرجة كبيرة وظهر هذا الاثر واضحا في لغة الكانوري [3] .

كما أن اثر التعريب في المدن الاسلامية في برنو واضح جدا بل أكثر وضوحا منه في المدن الاسلامية الاخرى في بلاد السودان الاوسط والغربي

---

(١) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ١٩٧ .

(٢) ارنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ص ٩٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

ويوجد في لغة الكانوري كثيرا من الكلمات ذات الأصول العربية ومستخدمة في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحروب والسياسة ونظم الحكم والقضاء ثم في لغة المكاتبات الرسمية بين الدولة وبين العالم الاسلامي الخارجي . ولقد وجدت في الدواوين المصرية زمن سلاطين المماليك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد وكانت المكاتبات التي ملوك وسلاطين البرنو باللغة العربية تدل على مدى تقدم الاسلوب العربي وفن الكتابة العربية والمراسلات في برنو [1] . وهذه النماذج التي احتفظ بها ديوان الانشاء في مصر [2] . تدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية قد فرضت سلطانها في بلاد برنو وسادت على كل اللغات المحلية السائدة في البلاد وأنها أصبحت منطوقة ومفهومة ، لأغلب طبقات الشعب في برنو وليس للحكام والسادة . وذلك لان كثيرا من القوانين والمراسيم التي كانت تصدرها الحكومة الاسلامية في برنو لرعاياها كانت تصدر باللغة العربية . مثل دعوة بعض القبائل بالانخراط في الجيش ، أو لإصدار . المراسيم السلطانية لتعيين القضاة والائمة والعلماء ، ورجال الادارة في مناصبهم . وأيضا المنشورات التي كان يحرص على اصدارها كل سلاطين برنو باللغة العربية وتذاع على الشعب لكي يعرف ما جاء بها ويعمل على احترامها وتنفيذها وأكبر دليل على ذلك الصحيفة التي أصدرها السلطان ادريس الوما عام ١٠٠٠ هـ —

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٢٣-٢٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٨ ص ٢ .

- ١٥٩١ م ، والتي يبين فيها أصل بعض الملوك من بني حبيب والذين يمتد نسبهم من علي بن أبي طالب (١) .

وأيضا فانه في المراسلات الداخلية التي كانت تتم بين السلطان وحكام الأقاليم والتي كانت تصدر باللغة العربية والتي يتضح فيها مدى قوة الاسلوب العربي وبلاغته (٢).

كذلك وقف الباحثون على بعض المعلومات المهمة عن الحضارة الاسلامية الافريقية في تلك البقاع وكان تأثير العرب واضحا جليا ومن ذلك الاتصال الدائم مع السودان وليبيا ومصر وباقي دول الشمال الافريقي ، وكانت عاصمة البلاد مركزا لجالية عربية كبيرة من التجار والعلماء (٣) .

ومن هنا يمكن القول أن الحياة الاسلامية والحضارة الاسلامية التي يحياها العرب الاوائل تركت اكبر الاثر في نفوس الافريقيين وأن الفضل في انتشار الاسلام واللغة العربية في البدو أي والقرى الصغيرة في برنو يعود الى هؤلاء العرب الغازيين (٤) .

---

(١) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan. P. 30.

(٢) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٥ .

(٣) نعيم قداح : افريقية العربية في ظل الاسلام ص ٧٢ .

(٤) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ١٦ .

ب ـ أثر المعاهد العلمية و[illegible]

في الحيـــاة الثقافيـــة في برنـــو

عندما انتقلت أسرة المالكة الى برنو ، تاركة وراءها ـ الكانم ـ أرض آبائها وأجدادها فانها كانت وشعبها قد تشبعت بروح الاسلام وحضارته وثقافته الاسلامية وأن اسلامها كان قد مر عليه اكثر من ثلاثة قرون ، فانها حملت معها المعتقدات ، الاسلامية السمحة الى أرض برنو ، ونشرتها بين القوم الوثنيين الذين كانوا يسكنون تلك الاراضى . ومن ذلك فانها عملت على اقامة كثيرا من المراكز العلمية الاسلامية لكى تمارس دورها الهام في الحياة الثقافية في البلاد . ولكى تنتشر الثقافـــة العربية الاسلامية بين القوم . وبذلك فقد انتشرت هذه المراكز والكتاتيـــب التى كان يؤمها كثيرا من التلاميذ لدراسة القرآن الكريم وتعلمه ولغتـــه العربية أيضا . ومن بين تلك المراكز الاسلامية التى انتشرت في برنو ، مركـــز اسلامى قوى كان يقوم بدور هام في نشر العلوم الاسلامية في شرق برنو ، ذلك هو مركز دمبولوا Dumbulwa وكان هذا المركز محط انظـــار القادمين من غرب القارة لتأدية فريضة الحج في الاراضى الحجازية ، حيث كانوا يتزودون بالتعاليم الاسلاميـــة التى كان يقوم بشرحها لهم عدد مـــن

---

(1) Trimingham, J.S.: islam in the suden P. 160.

الائمة والمصــــابن (١) ، بالاضافة الى أنه وجـــد فى برنو ـ كانم ـ نظـام ممتاز للتعليم ، يعتمد على نشـــر الثقافة العربية الاسلاميـــة فى أرجـــاء البلاد ، وذلك لمحاولة خلـــق نوع اسلامية قوية بين شعـــوب الســـودان الاوســط (٢) .

ولقد عمل سلاطين برنو على تزويد تلك المراكز العلمية فى بلادهم بالكتـــب الدينية وخاصة كتب الفقه المالكى وكثيرا من المصاحف ، وأيضا دعوة العلمـــاء من بلادهم للتدريس فى هذه المراكز ، وفعلا استقدموا علماء كثيرين من القاهـرة وفاس ، والقيروان وطرابلس وأيضا من بلاد الحجاز ، وغيرها من البـــلاد الاسلاميــــة (٣) .

ولقد كان بعض العلماء يأتى الى بلاد برنو بمفردهم الشخصية وذلك بصحبة قوافل الحجــــاج أو صحبة القوافل التجارية ، وذلك ليقوموا بالتدريس فى المعاهد العلمية التى كان يشجعهـــا السلاطين ومن ذلك نجد أن السلطان علـــى غازى ، الذى كان أول من أرسى قوة وعظمة برنو ، يقوم بتنصيب الشيـــخ عمر بن عثمان مفتيـــا وإماما للعاصمة برنى ، وبين له مكانا يقوم فيه بالوعــظ

---

(١)

(٢) [illegible] Trimingham, J.S.: Islam in the Sudan, P. 160.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 33.

ولارشاد لكافة المسلمين في العاصمة أو القادمين اليها ، وكان السلطان علي قاري بنفسه حريصا على حضور تلك المجالس ، وذلك لكي يعترف بالتعاليم الاسلامية العلمية (١) .

ولقد استفاد متبرلو كثيرا بعلاقتها العلمية بمصر وذلك لاهتمامها بالثقافة العربية الاسلامية الزاهرة بها القاهرة وتأثرهم بها ، وهم لكي يساهموا في بناء مدرسة في القاهرة عرفت باسم مدرسة بن رشيق ، وأصبحت هذه المدرسة من المدارس العربية المشهورة في العصور الوسطى ، وعمل سلاطين البلاد على تشجيع العلماء ، وأجزال العطاء لهم الامر الذي شجع بعض العلماء لنصحهم ، وكان لهؤلاء العلماء اثر كبير في الحياة العلمية والاجتماعية في البلاد ، فقد كان يتم عليهم واجبها التوجيه الديني في البلاد ، وبالفعل فقد قام بعضهم بتسجيل التراث الادبي والفكري لعلماء البلاد ، مثل أحمد بن فرطوا ، والشيخ عمر بن عثمان مبارك ، ولولا هذا الجهد لضاع تاريخ البلاد المجيد (٢) .

وكانت المراكز العلمية المنتشرة في البلاد في المدن الكبرى والقرى

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٢) عبد الغفار عثمان : نفس المرجع ، ص ١٢٥ - ٢٧ .

الصغيرة ، والبوادى بحركة يظهر واسعة للاسلام من الشوائب والبدع ، وقام بهذا الجهد الطلاب الذين درسوا وتعلموا فى الازهر الشريف وأتقنوا اللغة العربية التى أستخدموها فى التخاطب مع القوم ورغم الجهود التى بذلها الاستعمار للقضاء على الثقافة العربية الاسلامية فى تلك الجهات من القارة الافريقية ، وتحويل أنظار الافريقيين عن القاهرة ولكن دعاوى فرنسا كانت الفشل ، فشلا ذريعا ، اذ أن المسلمين من الافريقيين يصدون الى انشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية فى المناطق النائية من البلاد ، وذلك علاوة على نشر اللغة الثقافية العربية من خلال معاهدهم التى كانوا يقومون فيها بالتدريس للاطفال من المسلمين والوثنيين (1) .

ويبدو أن المراكز العلمية قد أنتشرت انتشارا واسعا فى برنو ، ولهذا فقد شد العلماء رحالهم الى برنو ووفد ، اليها علماء من القاهرة وتونس وفاس ومالى وسنغاى ، ومن ذلك ما ذكر أن كثيرا من العلماء قد وفدوا الى برنو فى عهد السلطان محمد بن ادريس الذين كان من بينهم الشيخ الفلاكسى الجرمسى ، والذى ظل طوال عمره يدعو الى الله ويشرح للناس تعاليم

---

(1) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٠ .

الاسلامية ويرشدهم الى الخير ، والعمل بالكتاب والسنة ، ولم يمض
على اقامته في برنو الا زمن قصير حتى دخل في طاعته واتباعه عدد
كبير من اهل برنو ، الامر الذي أثار سخط السلطان عمر بن ادريس
(١٦٢٥ – ١٦٤٠ م) والذي أحضره الى مجلسه وسأله عن غايته
فأخبره بأنه يقوم بارشاد الناس الى الطريق السليم والسلوك بهم نهج
السنة المحمدية [1] .

ولكن السلطان رأى ازدياد نفوذ هذا الشيخ وكثرة اتباعه ، فأمر
بقتله وأيضا قتل بعض اتباعه ولكن بعض الاتباع استطاع الفرار وأشار الى ذلك
محمد بن بلو ، وذلك أن الشيخ الجبرس مع الشيخ ولديه ، وقعت عليهما
المحنة ولكن الشيخ ولديه استطاع الفرار من برنو ، وقتل الشيخ الجبرى [2] .

وقام كثير من العلماء بدور فعال ونشط في مجال التعليم على أساس
التعليم الديني الاسلامي وحفظ القرآن وتفسيره ، ودراسة اللغة العربية
والعلوم الاسلامية وقد حرص أهل البلاد جميعهم على حفظ القرآن والتزامهم
الشديد في ذلك [3] .

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٢ .

(٢) محمد بلو : نفس المرجع ، ص ٧

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٩ .

وكان كثيرا من السلاطين متفهمين في العلوم الاسلامية ، فضلا عن الجانب السياسي ، ومن ذلك أن السلطان حسين بن دولما (١٧٢٣ – ١٧٣٦ م) كان أحد العلماء الصالحين ، والذي لم يمنعه اشتغاله بالسياسة عن مواصلة حياته العلمية ، وأظهر صورا بارزة لحب العلم والعلماء ، فقد قرب اليه العلماء ، ورجال الدين ، وداوم معهم على قراءة الكتب الدينية وطالعها وايجاد الحلول للمشاكل الفقهية التي تعترضهم [1] .

وأيضا فان السلطان أحمد بن على (١٧٩٣ – ١٨١٠ م) كان من السلاطين الصالحين المتعبدين ، وكان محبا للعلماء ومقربا اياهم كما كان يحب جميع المسلمين ، وقلبه خوف من الله تعالى في كثير من الامور [2] .

وقد ساهم العلماء البرونيون من خلال المراكز الاسلامية في اصدار كثير من التصانيف التي غطت فنون المعرفة المختلفة من تاريخ وآداب الى علوم لغوية وفقهية وحديث ، وهذه تعد بالالاف ، وقد عثر على كثير من المخطوطات التي نجت من التدمير في عهد السلطان عمر بن محمد الامين الثاني

---

(١) Palmer, R. : Op.cit . P . 252.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٧ .

وإن كانت كثيرا من المخطوطات قد تعرضت للتدمير على أيدي الهلالة عندما دخلوا نجيمي عاصمة البلاد القومية في كانم ، وقد عثر بارث خلال رحلته (١٨٤٩ ـ ١٨٥٥) على مخطوطة بها أسماء سلاطين برنو القدماء ومنها ديوان مايات برنو وبعض المراسيم التي كان يصدرها السلاطين (١) .

وليس هناك شك في أن كثيرا من المخطوطات العربية في برنو ، كان يقوم العلماء بتدريسها في المراكز الثقافية للطلاب ، وعلى هذا فانه يمكن القول أن برنو كانت من أكبر مراكز العلم والثقافة العربية في السودان الاوسط والغربي ، وقد أنجبت برنو عددا من علماء تفخر بهم المملكة ومعظمهم تلقوا تعليمهم في الازهر الشريف ، والذين كان لهم الفضل في تأسيس المعاهد الرئيسية في البلاد ومنهم الشيخ سليمان الباجوري والشيخ الجرى ، والشيخ محمد الوالى ، والشيخ محمد الطاهر بن ابراهيم والشيخ محمد البكرى ، وغيرهم من العلماء .

وقد أستمر هؤلاء وتلاميذهم من بعدهم في اداء رسالة نشر

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

الثقافة الاسلامية واندرس الاسلامي ، حتى جاء رابح الزبير ، فقضـــــى على جميع المعاهد الدينية بقتل طلابها وتشتيت معلميها فأصبحت برنو مثـــــل تمبكتو بعد احتلال الجيش المراكشي لها في أواخر القرن السادس عشر (١) .

ولكن العمل الذي قام به رابح ، أفقدنا كثيرا من المعاهد الدينيـــــة التي كانت تقوم بدور هام في نشر الاسلام والثقافـــــة العربيـــة ، فقد أصبح الحصول على تاريخ أي معهد مستحيل الا ما استثنيناه قليلا من المعاهـــــد ، مثـــــل معهد الشيخ الكانمي الذي أسســـــه بنفسه وكان مؤسسه قد درس فـــــي كل من المدينة النبوية والازهر الشريف وأسسه قبل رجوعه الى وطنه وقبل أن يقـــوم بأي دور سياسي في البلاد وكان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميـــلادي (١٧٩٦ م) . وكان الكانمي عالما فقيها ، مما أكسبه عددا كبيرا من الطلبة ، وكان نفوذه في سلطنة البرنو ، لا يقل عن نفوذ عثمان دن فوديو في غرب القاره وأكبر دليـــــل على ذلك هو قدرته على تجهيز جيش استطاع به أن يهـــــزم الفلاته ، بعد أن عجز سلاطين البرنو عن ذلك وقد أعطى الشيخ الكانمي كـــل

---

(١) علي أبوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ١١٧ .

اهتمامه لمعهده ، وتاركا أمور الدولة للبابا للسلاطين .

وكان هذا المعهد يضم العديد من الطلاب الدارسين ، وأيضـــــا عددا من الاتباع للشيخ وكان يساعد الشيخ بعض العلماء والاتباع في التدريس في هــــذا المعهـــد (١) .

على أنه في أواخر عهد الاسرة السيفية لقد أصبح هناك عدد قليل جدا من أفراد الاسرة الحاكمة يهتمون بالثقافة العربية الاسلامية ، ويعملون على تشجيع العلماء وتكريمهم اليهم وأيضا تشجيع الطلاب وبذل العطاء لهم والمحافظـــــة على المعاهد العلمية أو على الاقل محاولة مساعدتها على تأدية رسالتها (٢) .

وقد وجد غير هذا المعهد ، معاهد أخرى كثيرة مارست دورا هاما في نشـــر الثقافة الاسلامية العربية والحضـــارة الاسلامية بين القوم ، ومنهـــا المعهـــد الذي أسســـه الشيخ عبدالسلام بن حبيب ، والذي درس فيـــه النحو والفقه ، والتفسير ، وهي العلوم التي كان بها يحمل ونشر الثقافـــة العربية في أرغيرنو وأيضا الاديب الحاج ابيكر ، وهو من سلالـــة السلاطين

---

(١) علي ابيكر : نفس المرجع ، ص ١١٨ .

(٢) علي ابيكر : المرجع السابق ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

المؤلفــون ويعتبرونه بعد من أكبر المعاهد العلمية في برنو ووجدت غير هـــذا المعاهـــد كثيرا من المعاهد التي كانت تنتشر في القرى الصغيرة وفي البوادي وفي أي مكان كان يوجد فيه مسلمون كان العلماء والفقهاء يعملون من خـــلال تدريسهم ومواعظهم على نشر الثقافة العربية في البـــلاد (١) .

وكان لمصر دورها في نشر العقيدة الاسلامية وكان للتعليم الاسلامي اثر في تدعيم هذه المراكز الاسلامية . ذلك أن مجموعة من العلماء والفقهاء قـــد حملوا مشاعل العلم والمعرفة الى تلك البقاع من القارة الافريقية . بعد أن تلقوا تعليمهم في مدارس مصر المختلفة وفي أزهرها الشريف ومن هنا فقد صاحـــب النهضة الاسلامية في برنو . تطور ثقافي يتمثل في انتشار الثقافة العربيـــة الاسلاميـــة (٢) .

وساعد على انتشـــار هذه الثقافة العربية الاسلامية في برنـــو . تلك الكتب التي تفســـر المذهب المالكي . والتي صحبها العلماء معهم الـــى برنو . وقد ساعدت هذه الكتب والافكار الاسلامية العربية برنو رغم الظروف .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع . ص ١٦٠ .

(٢) عمر انخم عثمان : نفس المرجع . ص ٧٩ .

والمحن التي مرت بها في ادوار تاريخها على أن تظل باقية كمركز اشعاع للحضارة الاسلامية والثقافة العربية في وسط السودان [1] .

قام العلماء العرب القادمون من دول الشمال الافريقي بدور هام وفعال في الحركة العلمية والثقافية في برنو . فقد تثقف العلماء من برنو والبلدان الافريقية . واتصلوا بأهلها ونشروا العلم بينهم ثم عادوا الى اوطانهم بعد أن كانوا قد اقاموا في تلك البلاد واشتهروا بالعلم والتف حولهم تلاميذ كثيرون ولم يعد يألفون العنصرية . فقد التفوا جميعا أبناء دين واحد . ولغة واحدة على تراث فكري مشترك . وقد كان لهؤلاء العلماء أثر عظيم في تنمية الروح العلمية وتدعيمها على مر الاجيال كما كان لهذا التعاطف أثر في سرعة الاستجابة لهذه الافكار والاهتداء بها . وقد قام هؤلاء العلماء بدور كبير في انتشار مراكز العلم والتعليم في افريقيا العربية الاسلامية [2] .

وكان لهذه المراكز العلمية شأن كبير في برنو . إذ كانت عاملا من عوامل التحضر كما أنها رفعت مستوى أهل برنو الفكري وما جاورهم من شعوب السودان على أنه جاء فترة اضمحلت فيها الثقافة في برنو . وقلت المراكز العلمية فلم يعد بها الا عدة مكاتب خاصة لتعلم فيها الصبيان وهي قاصرة على المدن .

---

(1) Hodgkin, T.: OP. cit. P. 35.

(٢) عبد المجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربي في افريقيا ، ص ٢٢-٢٤

الكبرى ، ويصح أنه كانت في العاصمة ما يشبه الجامعة التي كان يؤمها ألفا أو ثلاثة آلاف من الطلاب ، يجلسون على الصالات وعلى عتبات الأشراف الذين يتعلم أبناؤهم فيها ولكن التعليم كان قاصرا على الكتابة العربية وحفظ القرآن الكريم أو سور قليلة منه . ويذكر أن الأساتذة لم يكونوا أعلم من تلاميذهم وأنه ليس هناك تقدم في الحياة التعليمية وقد حدث ذلك التدهور في التعليم في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عندما تعرضت البلاد للتدهور والانهيار(1)

ويذكر دنهام وكلابرتون أثناء زيارتهما لبرنو أنهما سمعا الأطفال الصغار في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر مباشرة وهم يتلون الآيات القرآنية بصوت جمعي عال . ويتدارسون هذه الآيات القرآنية فيما بينهم وهي التي كان يطلب منهم الشيخ تلاوتها في الصباح عند الذهاب إلى الكتاب . وكانوا يلتفون حول النار المشتعلة وهم يمارسون هذه القراءة عادة كل يوم حول النار المشتعلة (2) .

ولا شك أن هذه العادة كانت متوارثة منذ فترة طويلة ، وأن هؤلاء الصبيان قد ورثوا هذه الطريقة في حفظ القرآن الكريم من أسلافهم

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(2) Den ham and clepperton : OP. cit. P. 98.

ويلاحظ أن كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم لم تكن في العاصمة برنو فقط أو في المدن الكبرى في برنو ، بل أنه من المرجح أن هذه الكتاتيب قد انتشرت في كل مكان دخله الاسلام [1] .

وقد ساعد على تطوير الحياة الثقافية في البلاد ، أن الاطفال كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلبا للعلم في هذه المراكز الثقافية التي انتشرت في برنو وأنهم كانوا يقطعون مئات الاميال على الاقدام طلبا للعلم وللالتحاق بالمدارس والمعاهد التي كانت تدرس القرآن الكريم واللغة العربية وعلومها المختلفة ، وذلك لكي يكتسبوا المزيد من الثقافة العربية الاسلامية .

---

(١) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية في أفريقية ، ص ٢٢ .

دور المساجد في الحياة الثقافيـــــة

اذا كان للمعاهد والمراكز العلمية وكتاتيب تحفيظ القرآن دورا هاما في الحياة الثقافية في برنو ، فأن المساجد لا تقل اهمية من دور هذه المؤسسات الثقافية أن لم تكن مارست أهم الادوار في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، بل كانت مصدرا من أهم هذه المصادر ، ذلك لان المساجد كانت هي أحـــدى ملامح انتشار الاسلام في البلاد لانه كلما انتشر الاسلام في مكان ما ، فان الحاجة تلحأ الى ضرورة وجود المساجد لكي يمارس المسلمون شعائرهم الدينية ويقومون بتأدية الصلاة في تلك المساجد ، وعلى الرغم من المساجد لم تكن تحـــاط بعناية كبيرة في برنو في بادئ أمر الاسلام بها ، اذ نجد أن المساجـــد في المدن والقرى كانت تبنى من الطين والخوص والقش او الطوب اللبن (١) .

وكانت المساجد مكانا استطاع من خلاله الرجال الدين أن يقوموا به بدورهم العظيم في المجتمع ، وكان دورهم في المساجد هو تأليف القلوب حول الشعائر الدينية وذلك بالاضافة الى أن الاسلام فرض على أتباعه أن يحملوا رسالتـــه الى كل بقاع الارض ومن فوق منابر المساجـــد كان يعلو صوت الجهـــاد

Trininqlam, J.S.: The christian church and islarn (١) in west Afrca. P. 31.

في نشر الاسلام وثقافته وكان ذلك من غير شك بداية وثقافية . أشارت في عصب برنو ، شعروا فيها بأنهم قوة متماسكة من ناحية ومن ناحية أخرى بأنهم جزء من كيان عالمي أوسع بكثير من حدوده بلاده هم الضيقة وكان دور المسجد هنا مهما في تعميق هذا الشعور لدى مسلمي برنو [1] .

ولقد صارت المساجد في برنو مراكز اسلامية قوية ومنارات للاشعاع الاسلامي والحضاري وبازدياد دورها وتركت تأثيرها في حياة السكان وطبعت البلاد بالطابع الاسلامي وازدياد عدد الداخلين في الاسلام . وظهرت آثار الحضارة الاسلامية العربية واضحة قوية من جراء ممارسة المساجد لدورها في نشر الاسلام والتعاليم الاسلامية وحضارتها [2] .

وكانت تدرس في المساجد كتب الحديث والتفسير وذلك على مذهب الامام مالك وهو مذهب الاغلبية في البلاد . وهذا يدل على الدور الهام الذى كانت تمارسه المساجد وما زالت تمارسه في نشر الثقافة العربية الاسلامية . وذلك ما ذكره استاذى الدكتور حسن احمد محمود . بأنه اثناء زيارته لنيجيريا وتأديته صلاة الجمعة في أحد مساجد العاصمة أن شاهد الخطيب يلقى خطبة الجمعة

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي . ص ١٠٣

(٢) Lewis, M. : islam in tropicol Africa. P. 23.

بلغة اليوربا وعلموا آيات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكان ذلك باللغة العربية (١) .

واهتم السلاطين اهتماما كبيرا ببناء المساجد وذلك لايمانهم بالدور العظيم الذي تلعبه المساجد في نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية بين قلوب الرعية وتوجيه المسلمين وأفكارهم في برنو على هدف واحد ، فنجد أن السلطان علي غازي ، عند ما قام ببناء عاصمة بلاده ، برني ، فانه قام ببناء اربعة مساجد كبيرة ، وذلك بالاضافة الى مسجد القصر الملكي ، الذي كان يؤدي الصلاة به جميع الامراء والنبلاء وسيدات القصر ، وخصص لكل مسجد من هذه المساجد اماما ، لكي يؤدي الصلاة يوم الجمعة بالمصلين وكان كل مسجد من هذه المساجد يسع أثني عشر الفا من المصلين (٢) .

وكان السلاطين يختارون ائمة المساجد من بين الذين يتمتعون بسمعة طيبة ويكون لهم تأثير قوي في نفوس الشعب وكذلك من المتعلمين الذين درسوا خارج برنو ورحلوا الى مكة والازهر الشريف ونالوا قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية (٣)

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٢) Palner, R: OP. cit .P. 34

(٣) Trin qham , J.S.: AAthstory of islam in west Africo.P. 117.

وقد أستطاعت مساجد برنو ، ومدارسها أن تجذب اليها طلابا من شتى بلاد غرب القارة الافريقية ومن السودان الشرقي حين خضع لبرنو ، ومن ذلك ، نجد أن الحاج عمر أحد زعماء الحركات الدينية في غرب افريقيا ، والذى لعب دورا بارزا في تاريخ السودان الغربي ، يمكث فترة ليست وجيزة في برنو لكـــي يتزود بالتعاليم الدينية ويتردد على علمائها ويسمع من فقهائها ويدرس في معاهدها ويسمع خطبائها في المساجد وذلك الذي يوسع مداركه ويعمق مفاهيمه الدينيـــة وعلى ثقافته الاسلاميـــة (1) .

ولقد تركت الثقافة العربية الاسلامية طابعها واضحا في البلاد ، بل أكثر من ذلك فانها تخطت حدود برنو الى الجنوب حيث مملكة الجوكون ، فنجد أن عقائد الجوكون ، قد تأثرت من عقائد شعب البرنو ، والذى نال قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية وذلك لان هناك قبائل البرنو وإمارات الهوسا قد عاشوا بين الجوكون ومن هنا فقد تأثروا بالحضارة الاسلامية العربية التي تلقاها أفراد شعب برنو في المساجد ومن الائمة . (2)

ولقد بذل السلاطين كل جهودهم ، على العمل في نشر المساجد في ، القرى والمدن وبنائها وتجميلها فنجد السلطان ادريس الوما بعد أن تولـــى

---

(1) Trimingtan, J.S.: OP. cit .P. 181.

(2) Meek, C.K. : Asudonese kimdyoms .P. 22.

أمر البلاد بترميم وتجديد المساجد القديمة ، وذلك لانها كانت مبنية من الخشب والطين ولم تكن تتناسب مع عظمة امبراطورية برنو وثقافتها في القارة الافريقية ولا مع النفوذ السياسي والثقافي الذي بلغته برنو في عهده ، فأمر بأن تكون كل مساجد العاصمة والمدن الكبيرة من الطوب الاحمر "الآجر" والحجارة وذلك لكي يتمكن المسلمون من تأدية شعائرهم الدينية والقيام بالصلاة على خير اداء ولا سيما في فصول الامطار الغزيرة ، وزاد اهتمامه بالمعاهد الاسلامية ، فعين الائمة والعلماء لتلك المساجد وبذل جهودا جبارة لكي تقوم تلك المساجد بدورها الهام في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلامية (1) .

وكانت المساجد بالنسبة للمسلمين الذين يسكنون بالقرب منها بمثابة بيوت أخرى لهم اذ كانوا يلوذون هذه الشدة وكانوا يستخدمونها في منافع أخرى كثيرة (2) .

ومن هنا فانه يمكن القول أن المساجد في بلاد برنو قد قامت بتأدية رسالتها في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية وفي نشر الحضارة العربية وثقافتها ، وذلك لان القائمين على أمور هذه المساجد من الائمة والوعاظ والعلماء كانوا قد

---

(1) Ahmed Fartua: Maildris Alloma. P. 39.

(٢) متز ، آدم : الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري جـ ٢ ، ص ٨٧ .

تلقوا تعليمهم الاسلامي في مدارس القاهرة ومعاهدها وفي القيروان وفاس وطرابلس ثم عادوا الى بلادهم ليتولوا هذه الامور وكان هذا من بين الاسباب التي جعلت المساجد منارة للعلم والمعرفة في هذه البلاد الافريقية والتي كانت شعوبها تنظر الى المساجد نظرة مقدسة .

الحج وأثره في نشر الثقافة العربية

الحج هو أحد أركان الاسلام الخمسة التي تقوم عليها العقيدة الاسلامية ومن هنا فقد حرص شعب البرنو وكانمه على اداء تلك الفريضة وزيارة الاماكن المقدسة في المدينة ومكة . وذلك لما كان يضفي لقب الحاج من أحترام وهيبة وقد يسر على الشخص الذى كان يقوم بتأدية هذه الفريضة . والذى كان يتحمل أهوال الطريق ومخاطره في الذهاب والعودة الى تلك الاماكن المقدسة . ولقد كان سلاطين كانم - برنو . من أحرص الناس على تأدية تلك الفريضة . وليس أدل على ذلك من أن السلطان أومي (١٠٨٥ - ١٠٩٧) وهو أول سلطان يعلن اسلامه في كانم وبرنو ويتخذ الديانة الاسلامية عقيدة له . يحرص على تأدية تلك الفريضة حرصه على تمسكه بالدين الجديد الذى أعتنقه وتحريضه على الدخول فيه افواجا . ولكن القدر شاء له الا يكمل رحلته الى الحجاز اذ أنه مات في الطريق (١) .

ولقد كان من صفات الذين يتخذون الدين الاسلامي عقيدة لهم . ويتمسكون بها هو أن يذهبوا الى الاماكن المقدسة لتأدية فريضة الحج وكانت الدعوى الى الذهاب الى الاراضي المقدسة خاصة بالحكام وعلية القوم في المراحل الاولى لانتشار الاسلام في البلاد . اذ كانوا هم الذين يؤدون الفريضة ومعهم عدد قليل

---

(١) Barth, H. OP. cit. P. 582.

من رعيتهم وكان حكام البرنو — كانم هم أول من ادوا فريضة الحج من سلاطـــين السودان الاوســط والغربي (١) .

وكان الطريق بين مصر وبرنو حافلا بالنشاط والحركة ولا تنقطع منه القوافـــل معظم شهور السنة وذلك لقدوم الحجاج المسافرين الى الاراضي الحجازية ، ولقد مات من سلاطين برنو سلطانين في مصر وهما في طريقهما الى أرض الحجاز (٢) .

ولقد كان الحج من الاسباب الرئيسية في انتشار الثقافة الاسلامية في برنــو اذ نجد أن كثيرا من علماء مصر وثقافتها كانوا يأتون الى برنو من اجل العمل علـى نشر الثقافة الاسلامية ، صحبة قوافل الحجاج القادمة من مصــر الى بلادها (٣) .

وليس هناك شك في أن الحجاج ، قد تأثروا بالبلاد التي مروا بها ، وهم في طريق الذهاب والعودة الى الاراضي المقدســة ، وأنهم اقتبسوا كثيرا مــن مظاهرها الثقافية والحضارية وأنهم اشتروا بعض الكتب الدينية التي تشرح وتفسر المذهب المالكي ، الذي كانوا يتخذونه مذهبــا لهم ، وأنهم قاموا بشــراء نســخ من القرآن الكريــم من مصر او الحجاز أو طرابلس ، لكي يقومــوا

---

(١) Trin inqhan, J.S.: The inflence of islam open A Afica.P.64.

(٢) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط ، ص٤٢٢ .

(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص١٢٢

بالقلاقل فيها طوال رحلة الطريق التى كانت تستغرق وقتا طويلا فى الذهاب
والعودة وأن الحجاج كانوا يتزودون بكثير من الفوائد الادبية والثقافية والدينية
التى كانت تنتشر فى البلاد التى يمروا بها (١) .

ولقد حرص السلاطين اشد الحرص على تأدية هذه الفريضة لما لها من اثر
ثقافى وحضارى وكسبا للعلم والمعرفة . فنجد السلطان على بن الحاج عمر .
(١٦٤٥ ـ ١٦٨٤) يقوم بتأدية فريضة الحج ثلاث مرات اثناء فترة حكمه
وهذا يوضح مدى الاهتمام والرغبة فى تأدية تلك الفريضة (٢) .

وكذلك السلطان ادريس الوما رغم انشغاله بالحروب التى كان يخوضها
ضد أعداء برنو ومن بينهم الوثنيين فانه استطاع أن يحصل على فسحة من الوقت
لكى يقوم بتأدية فريضة الحج وذلك لايمانه العميق بأهمية تلك الفريضه . ولقد
عادت هذه الزيارة التى قام بها الى الاراضى المقدسة بالنفع الكثير على البلاد
وكانت سببا فى الحصول على الاسلحة الحديثة التى ادخلها السلطان ادريس
الوما فى جيشه . وكان اول من ادخلها بلاد السودان (٣) .

بل أنه مما يذكر أن البرنويين انفسهم كانوا يدعون للاسلام ويحضرونه أثناء
رحلتهم على الاقدام لتأدية فريضة الحج وكانوا يتحملون اعباء الرحلة للقارة .
الافريقية من الغرب الى ساحل البحر الاحمر فى الدعوة للاسلام (٤) . فالمسلمون

---

(١) Triminghan, J.S.: Anistory of islom in west Africa P. 115.
(٢) Bantb, H. : OP. cit. P. 598.
(٣) Ahmad ibn fartua. : OPt. cit. P. 38
(٤) محمد عبده محلوف : الاسلام فى غرب افريقيا : نهضة افريقيا [illegible]

جهودهم العظيمة على ادخال كثيرا من أهالي البلاد التي كانوا يمرون بها وهم في طريقهم الى الحج الى السودان الشرقي حيث القبائل الوثنية التي كانت تقطن هذا الطريق ولا سيما القبائل التي كانت تسكن جنوب بحيرة تشاد و وادها و وداي •

وتشير وثائق برنو المحلية الى رحيل بعض العلماء الى الجامع الازهر وحججهم الى مكة وزيارتهم بغداد وتزودهم بالعلوم الاسلامية والثقافية العربية • ثم عودتهم الى بلادهم واشتغالهم بتدريس القرآن وعلوم الحديث وفن التفسير • وذلك بعد تأديتهم لفريضة الحج وتزودهم بالمعرفة والتعاليم الاسلامية بعد مقابلتهم للعلماء في مكة والمدينة والقاهرة [1] •

وكذلك فانه أثناء حج السلاطين فانهم اتصلوا اثناء مرورهم بمصر بالسلاطين المماليك • ووجوه القوم والعلماء والفقهاء • وكانت لهم معهم اتصالات قوية وفي كل موسم حج كان سلاطين برنو • يرسلون الهدايا الى سلاطين مصر [2] •

ومن أثر الاتصال بين اهالي تلك الديار وبلاد الحجاز وغيرها من الدول • الاسلامية العربية واختلاطهم بالعرب في موسم الحج • أن تمكن العرب من حمل تلك الشعوب على أتخاذ لغتهم وحضارتهم • وكان من جزء هذا الاتصال بين

---

(1) Palmer, R. : OP. cit .P. 33.

(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع • ص ٢٠٨ •

وفود برنو القادمة لتأدية فريضة الحج أن احتك هذا الشعب بمعتقدات العرب وعاداتهم وطباعهم وفن عمارتهم . وقد ظل نفوذ العرب الحضاري والثقافي مسيطرا على البلاد التي تسرب اليها وكان هذا التأثير قويا (1) .

ومن طريق الحج وصلت تآليف المصريين الى بلاد السودان ومنها برنو . وكانت أغلب هذه التآليف تدور حول فقه المالكية . وأن مؤلفات السيوطي وغيره من العلماء المصريين عامة في هذه البلاد . وكان طلاب برنو الوافدين الى الازهر الشريف ومدارس مصر يأتون صحبة قوافل الحجاج . وكانوا يدرسون فقه الامام مالك والعلوم الاسلامية العربية . ويذكر أن أعظم نشاط قام به أبناؤه في ميدان الدعوة الدور العظيم الذي قام به أبناؤها أكسبوا حظا من التعليم الديني والثقافة العربية الاسلامية أو حجوا البيت وجاوروا في أماكنها المقدسة . فقد كان هؤلاء الحجاج بعد رجوعهم الى بلادهم يشتغلون المدارس ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم . ويعلمون الاطفال . مبادئ الدين الاسلامي واللغة العربية وبعض السور القرآنية (2)

واستفاد هؤلاء الحجاج القادمين من برنو ودول غرب القارة الافريقية لتأدية فريضة الحج استفادة كبيرة وعظيمة من مصر ومن مرورهم بها . الا أن الثابت تاريخيا أن اختيارهم طريق مصر لم يكن لمجرد العبور أو المرور الى الاراضي الحجازية . بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر في حياتهم فقد قصدها الحجاج منطلقين ومؤمنين لمشاهدة هذا المركز الحضاري والتزود بالثقافة العربية الاسلامية (3) .

---

(1) لوبون ، جوستاف : حضارة العرب ، ص ١٠٩

ومن هنا يمكن القول أن مصر ، وهي في هذا الموقع لتلقي قوافـــل الحجاج القادمين من الشمال الافريقي وبلاد السودان الغربي والاوســـط قد ساهمت بدور هام في نشر الثقافة العربية الاسلامية في برنو وتركت تأثيرهـــا القوى على الحياة الثقافية بها .

كذلك فان الحج كان أحدى الوسائل الهامة في تعريف العقيدة الاسلامية لدى شعوب تلك المنطقة وأيضا عاملا قويا في نشر الثقافة العربية الاسلاميـــة اذ أن الحجاج كانوا يعودون الى بلادهم وهم أكثر حماسا للعمل من أجـــل العقيدة الاسلامية ومن أجل نشر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة على الدين القويم وطرح البدع والخرافات التي علقت بالدين الاسلامي الحنيف .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٢ .

(٢) سر الختم عثمان : نفس المرجع ص ٣٨ .

ج) الطرق الصوفية وأثرهـــــا في الحيـــاة الثقافيـــة

لقد كان للطرق الصوفية أثر كبير في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلاميـــة في برنو بل أن أثرها فاق كل المؤسسات الثقافية والمساجد في نشر الاســـلام وبمبادئه الصحيحــــة ... اذ نجد أن تلك الطرق قد عملت بمختلف الوسائل على نشر الثقافة العربية الاسلامية بين مواطني برنو وذلك بما كانت تضـــم بعض المريدين والأنصار والدعاة الذين كانوا يعيشـــون فترة من الزمن في زواياها المنتشرة في الصحراء ، والذين كانوا يعتنقون أفكارها ويعملون علـــى نشرها . ولقد تأثرت برنو في تاريخها المتأخرة بعدة طرق صوفية منها الطريقـــة السنوسيـــة ، والقادرية ، التيجانية والمهدية وقد تركت كل هذه الطـــرق الصوفية بصماتها في الحياة الاسلاميـــة في برنـــو .

أ- الطريقة السنوسيـــــــة

تنتسب الطريقة السنوسية الى مؤسسها الشيخ محمد علي السنوسي ، وهو الزعيم والمصلح الذي استلهم تعاليم الدعوة الوهابية في محاربتها للبدع ، وقـــد استمد الشيخ السنوسي مؤسس الطريقة هذه التأثيرات الدينية ، أثنـــاء

الأئمة بمكـــة لطلب العلم وقت استيـــلاء الحركة الوهابية عليها ، فعاشرهم وتتلمذ على أيدى علمائها وتأثر بمذهبهـــم (١) ولما عاد الى بلاده عمل مـــن خلال زاويته على أن يقوى المسلمين فى النواحى التى أقام فيها تلك الزاوية وعمـــل على أن يضم اليه كثيرا من الانصار ، وأن ينشر تعاليمه بين السكان (٢) .

لذا فان طريقته قد أثرت تأثيرا قويا واسعا وسط الصحراء ، وانتشرت الزوايا ال التى تدين للسنوسيـــة فى برنو ، وتركت تأثيرها على الحياة الثقافية والدينية علـــى الالاف من الموالين لها فى تلك البلاد بل أكثر من ذلك أن هؤلاء الموالـــين للطريقة السنوسيـــة كانوا يحاولون كل يوم كسب الانصار للطريقة والعمل على تشجيع ، انتشارها بين أهالى برنو وخاصة فى الجزء الشمالى من البلاد ، والقرب من الزوايا نجد لا لا شك هذه الطريقة نجاحا عظيما وساهمت فى نشر الثقافة العربية الاسلامية بـــين السكان (٣)

وكانت تأثيرها فى بادئ الامر محدودا ، اذ أنها لم تؤثر الا فـــى الاجزاء الشمالية من كانم - برنو ، وهى الاجزاء التى تجاور الصحراء الليبيـــة والواحة التى كان يقيم فيها صاحب الطريقة وهى واحة جغبوب ولكنها سرعان ، مـــا انتشـــرت الطريقة فى برنو وانضم اليها اعداد كبيرة من المريدين والدعاة (٤) .

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٢٢

(٢) Triminqham ,J.S. : Abistory of islam in west Africa P. 159.

(٣) Trim inqham, J.S.: Ib Id.P. 160.

(٤) Triminqham, J.S.: The influence of isbam open Africa.P. 122.

ولم يتوقف نشاط الطريقة فى كسب المريدين والاتباع والموالين لها ، بل إنها عملت من خلال الزوايا التى انتشرت فى أنحاء متفرقة فى الصحراء علـــى نشر الاسلام وثقافته بين القبائل الوثنية التى تقع الى الجنوب من المناطـــق الاسلامية والتى لم يصل اليها الاسلام بعد ، ومن خلال نشر الاسلام فانهـــا كانت تنشر الثقافة العربية الاسلامية واللغة العربية ، وتخلص الاسلام مـــن الشوائب التى علقت بين القبائل ، وقد ساعدهم على ذلك ، ما أجمع عليه أغلب ائمة المسلمين من عدم جواز ترجمـــة القرآن ، فكان لابد لمن يتعلمـــه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية والتى كان يقوم بتعليمها السنوسيـــون وأيضا عدم القراءة بغير اللغة العربية فى الصلاة وعلى ذلك فقد كان كل داخل فى الاسلام أن يتعلم حفظ ما يقوم به صلاته ثم يمضى الى تعلم اللغة العربيـــة ليزداد تفقها فى الدين (١) .

وعمل انصار الطريقة على ادخال الاعداد الكبيرة من الوثنيين فـــى الاسلام وتعليمهم اللغة العربية ، وأن كان نفوذ الطريقة السنوسية لم يصـــل الى مثل نفوذ الطرق الاخرى التى وجدت لها أنصار كثيرين فى البلاد ، ولكن ليس هذا يعنى أن تأثيرها كان ضعيفا فى البلاد ، ولكن انصارها لم يكونـــوا

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٥١ .

من الكثرة بالقياس الى الطرق الصوفية الاخـــرى التي تنافسها (١) .

ولا يستطيع أحد أن ينكر انها كانت من الطرق الفائقة في البلاد وأنهـا كانت تتمتع بنفـوذ روحي على كثيرا من المريدين وانها ساعدت على تعميق الشعور الاسلامي لدى الوطنيين وساعدت على نشر الثقافة العربية الاسلامية (٢) .

على أن الطريقة كانت كل يوم تكسب لها انصارا جدد ، وذلك بالعمل الدؤوب والنشاط الذى لا يكل ، والذى كان يقوده شيخ الطريقة وبذلك فانها نجحـت في أن تضم الى صفوفها رؤســاء القبائل وعمالها (٣) .

ولكن قبل سقوط الاسرة السيفية كان هناك عوامل ساعدت على انتشـارها في برنو - كانم ووداى ، ذلك أن امير وداى محمد الشريف ، والذى كان قـد تعرف على السنوسى وصادقه اثناء اقامته الاولى في مكه ، ثم أنه لما عـاد الى بلاده وتولى السلطنة ومن ثم فانه قام بالعمل على نشر الطريقة السنوسيـة بين قومه (٤) ، واستخدام كل الوسائل الممكنة للعمل على نشرها خارج نطـاق وادى والتوسع في نشرها غربا في كانم - برنو ، وباجرمى ، ولكن الفرنسيـين بدخولهم الى وسط افريقيا ، وضعوا حدا لنشاط الطريقة السنوسية في وسـط الصحراء ، بل عملوا على محاربتها ، وتدمير الزوايا التي كانت منتشرة فـي صحراء كانم (٥)

---

(١) ديفان ، هوبير : نفس المرجع ، ص ١٤٠ .
(٢) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم ، ص ١٣١ .
(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٢ .
(٤) احمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية رسالة ماجستير ، غير منشورة آداب القاهرة ، ص ٧٠ .
(٥) Trimingham, J.S.: islam in west Africa P. 101.

ذلك أن هذه الزوايا التي كانت تنتشر على عرض الصحراء ، قاومت الاستعمار الفرنسي وتقدمه داخل القارة الافريقية ، وحاولت ان تمنع تقدمه ولذلك حدثت بينهما عدة حروب ، واستطاع الاستعمار أن يرغم تبلاية لوحدات الزوايا وأنصارها نحو الجنوب ، وأن يحصر نشاطها ، وبذلك فان انصارها لم يعد يمثلون كتلا سكانيا منسجما ، بل صاروا عبارة من مجموعات قليلة من السكان متناثرة وسط الصحـراء[1] .

ولكن الطريقة عادت وشقت طريقها الى برنو واستطاعت أن تكسب ارضا جديدة ، وذلك عندما استرد سلاطين برنو الكانميين عرش بلادهم الملكي ، وكانت هذه الاسرة الحاكمة في برنو قد لاذت بالفرار بعد سقوطها على يد رابح الزبير ، واستقرت بين قبائل التبو ، بعد أن طردت من عرشها وفي الفترة التي قضتها بين هذه القبائل وهي فترة تناهز عشرة سنوات ، انضمت هناك الى الطريقة السنوسية السائدة ، ولما تغيرت الظروف السياسية في برنو ووجدت الاسرة الحاكمة الطريق مفتوحا امامها عادت الى برنو ، وفي ركابها الطريقة السنوسية ويعتبر سلطان برنو الشيخ البكري أول من أدخل الطريقة السنوسية الى برنو ، وأن كانت الطريقة قد انتشرت منذ فـتـرة طويلة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

من افراد المصريين كما أقامت لها عدة زوايـــا ولا سيما في الشمال[1] .

وليس هناك شك في أن الطريقة السنوسيـــة ، قد عملت بكل الطرق والوسائل على نشــــر الاسلام بين القبائل الوثنية التي كانت لا تزال تعيش على الفطـرة ، بل انها عمقت المفاهيم الاسلامية في نفوس المسلمين ، وعملت على تخليـــص الدين الاسلامي الحنيف من الشوائب والبدع التي علقت به ، وأيضا من خـــلال هذا كله بأنها عملت على نشر الثقافة العربية الاسلاميـة في كل مكان وصلـــت اليه تعاليمهـــا .

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجـــع ، ص ١٢٠ .

ب / الطريقـــة القادريـــة

أسس هذه الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكان ذلك في نهايـــة القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد أنتشرت الطريقة القادرية انتشارا واسعا في مساحة تمتد من برنو شرقا الى مصب نهر النيجر غربا ، وقام انصارها بنشـــاط عظيم ومجهود شاق في أنشاء الزوايا والربط والمدارس ، وارسال البعـــوث ، والتبشير بين الوثنيين ، وقد انطلقت في تأدية رسالتها بالجهود السلمية ، وعملت على نشر الاسلام والثقافة العربيـــة (١) .

وكان لهذه الطريقة الدينية ، الفضل الاعظم في نشر الدعوة الاسلاميـــة في السودان الاوسط والغربي ، وذلك للجهود الموفقة التي بذلها دعـــاة الاسلام من الوطنيين في تلك المنطقة واغلبهم من اتباع الطريقة القادرية (٢) .

وقد عمل الاتباع على كسب الانصار للطريقة ، ونشر التعاليم الاسلاميـــة والثقافة الاسلامية العربية ، وقد كانت هذه الطريقة من اشهر الطرق التـــي انتشرت في البلاد ، وكانت تقوم على مذهب الامام مالك ، وهو المذهـــب السائد بين شعب البرنو والكانم (٣) .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجـــع ، ص ٢٩٦ .

(٢) ديشان ، هوبير : نفس المرجع ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجـــع ، ص ٦٢ .

وكان لها الفضل السبق في البلاد ، اذ كثر انصارها دون الطرق الاخرى ، وأصبح كثيرا من التلاميذ والعلماء والائمة والفقهاء من انصار الطريقة القادرية ، وحاولت أن تجد لها انصارا هناك [1] .

على أن هناك اشارات تشير الى أن الطريقة القادرية لم يكن أنصارها وحدها من الكثرة في برنو ، وذلك بالنسبة الى الطريقة التيجانية ، الا أنها كانت تحاول أن تكسب كل يوم انصارا جدد لها [2] .

على أنه لا يستطيع أحد أن ينكر فضل الطريقة القادرية في نشر الاسلام وثقافته الاسلامية في سواحل القارة الافريقية ، فلقد كان لها نشاط عظيم في التبشير في سواحل القارة وخاصة المناطق التي كانت تقع الى الجنوب من برنو ، حيث استطاع الاسلام أن يجد صدى لها في نفوس كثيرا من أبناء القارة لدرجة أن الفولانيين عندما اعتنقوا هذه الاجزاء عملوا على التقرب الى رؤساء الطرق الصوفية ، وذلك لكي يستتب لهم الامر ، وذلك لما يتمتع به هؤلاء الرؤساء من احترام ونفوذ كبير لدى شعوبهم [3] .

---

(1) Trimingham, J.S.: islam in west Africa P. 96.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٣) محمد عبده مخلوف : الاسلام في غرب افريقيا ، نهضة افريقيا ، عدد ٤٩ ، ٥٥ .

وقد انتشر دعاة الطريقة في المراكز التجارية ، والمدن الكبرى ، حيث قاموا بفتح المدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وذلك في اقاليم الوثنيين التي كان الاسلام لم يصل اليها بعد [1] .

وعملت الطريقة على نشر عقيدتها وفلسفتها بين الافريقيين في تلك المناطق واستطاعت أن تكسب اعدادا كبيرة من الانصار ، وبذلك فانها استطاعت ان تقوم برسالتها في نشر الاسلام وتحسين مفاهيمه لدى شعب برنو ، بل أنها استطاعت أن تساهم مساهمة كبرى في نشر الثقافة العربية الاسلامية وبذلك فانها اثرت في الحياة الثقافية لشعب برنو ، تأثيرا قويا وساهمت بجانب الطرق الاخرى في نشر الثقافة العربية الاسلامية لدى سكان البلاد .

---

(1) Trimingham,J;S.: A history of islma in west Africa P. 159.

حـ/ الطريقـــة التيجانيـــة

اذا كانت الطريقة السنوسية والقادرية قد أثرت في الحياة الثقافيـــة بشعب برنو وساعدت على نشر الثقافة العربية الاسلامية ، فانه كان بجانـــب هاتين الطريقتين طريقة أخرى صوفية استطاعت أن تنتشر في البلاد ، تلك هـــي الطريقة التيجانية ، والتي أصبحت هي السائدة دون الطريقتين الاخريين[1] .

وقد اتخذت هذه الطريقـــة طابعا حربيا في نشر رسالتها ومن هنا فانهـــا استطاعت ان تكسب لها انصار كثيرين وأن يكون نفوذا واسعا في بلاد السودان الاوسط والغربي[2] .

وكانت الطريقتين السنوسية والقادرية في برنو ضعيفتين الى جانبها ، وذلك أن أكثر أهل البلاد ، كانوا من أنصار الطريقة التيجانية حتى لقد أصبحت هـــي المذهب الشائع في البلاد واعتنقها معظم الاهالي وكثير الدعاة لها بيـــن القبائل والمدن والقـــرى[3] .

وذلك لان مبادئها كانت تدعو الى الشدة في نشر الاسلام وثقافته بعكـــس القادرية التي كانت تدعو الى التساهل والتسامح في نشر طريقتها بين الاهالي[4] .

---

(١) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 122.

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٣) ميشال ، هوبير ، نفس المرجع ، ص ١٣٦ ـ ١٣٩ .

(٤) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨ .

ورغم أن الطريقة التيجانية ، كانت تدعو الى الشدة فى نشر مطالبها وفى جعل مريديها يخضعون لنظام صارم من الانضباط والخضوع فى تنفيذ الأوامر وما يطلب منه من أعمال ، فان أحد سلاطين برنو قد أعتنق هذه الطريقة ونشرها فى البلاد وأطلق العنان للمريدين لكسبها أنصارا لها وساعدها بكل الوسائل وذلك لزيادة انتشارها فى البلاد [1] .

على أنه مهما يكن ، فان الطرق الصوفية التى أنتشرت فى البلاد قد عملت على نشر الديانة الاسلامية وثقافتها التى كانت تعتمد على اللغة العربية فى تحفيظ القرآن وقراءته ، وفى رواية الاحاديث وفى تفسير الايات القرآنية وفى القاء الاحاديث والمواعظ ، وفى شرح المسائل الفقهية ، وكل هذه الامور ساعدت على نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلاد وأصبحت الاجزاء التى انتشرت فيها تلك الطرق اسلامية عربية ولكن هذه الطرق الصوفية صحبها نهضة عاطفية قادت الى الانتشار ، وزاد نشاطها واتخذت أهدافها فى نشر رسالتها واستطاعت هذه النهضة الاسلامية التى صاحبت هذه الطرق تخليص الدعوة الاسلامية من الركود [2] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٧٨٣ .
(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

هـ / الطريقة المهديـــة

وبجانب هذه الطرق التي انتشرت في البلاد ، وجدت المهدية طريقها الى برنو في ركب رابح الزبير ، الذي دفعته انتصاراته الى أن يقوم بالدعـــوة للمهدية في البلاد التي أخضعها لنفوذه وحكمه ، وكان أن روى بعض القبائـــل أنه ورث سيف النصر من المهدي وصدقته القبائل التي أصبحت تحت سيادتـــه وانتشرت الطريقة في برنو (1) .

وان هذا لا ينفي أن المهدية دخلت برنو قبل دخول رابح اليهـــا ، وذلك بين القبائل التي أعجبت بطريقة وكيفية استيلائه على مقاليد الامور فـــي السودان وكثرة أنصاره وبذلك فان الطريقة تخطت حدود السودان الشرقـــي الى الاقاليم الواقعة غرب مثل وادي وادمارا وبرنو ، وساعد على ذلك أن خليفـــة المهدي عبدالله التعايشي كانت اسرته أصلا من بلاد التكرور ، وقد دخـــل في المهدية بعضا من أهل التعايشي (2) .

ولقد عملت كل هذه الطرق الصوفية ، على نشر الاسلام وثقافته بيـــن شعب برنو ، بل أنها وقفت في وجه الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس أهالي البلاد ، ومن هنا فانه يمكن القول أن برنو

---

(1) علي أبوبكر : نفس المرجع ، ص ٦٤ .

(2) Trimingham, J.S.: The influence of islam open Africa, P. 78.

قد وصلت الى ممالك السودان ، جعلتها امتدادا للحضارة السودانية ، اذ انها اخذت من العرب عصبيتها ، واخذت من وثنية الزنوج ولم تكن زنجية ، فتختلف من كليهما وتتميز بخصائصها الفريدة [1] .

وعلى هذا فان برنو وصلت الى مرحلة من التقدم الثقافي والحضاري الاسلامي جعلتها رائدة الحضارة الاسلامية في بلاد السودان .

---

(١) شريف محمد شريف : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(((الخـــاتمـــه)))

فى هذه الدراسه يتضح أن سلطنه برنو الاسلاميه ، والتى كانت كانـم ـ برنو قبل القرن الرابع عشـر الميلادى ـ ثم صارت بعد ذلك برنو ـ كانم ـ فبعد أن كانت برنو جزء من الكانم أصبحت الكانم جزء من برنـو ـ كانت سلطنتـه طبعـت بالحضاره العربيه الاسلاميه وكان لها طابعها المميز فى ملائمـه هذه الحضاره العربيـه الاسلاميـه الوافـده من الشمال والشمال الشرقـى مع تقاليـدهـا وقيمتهـا الأفريقيـه ، فعلى الرغم من أنهـا أخذت عن العرب ثقافتهـم الا أنهـا لم تكن عربيـه واختلفت عن زنج الزنوج ، ولم تكن زنجيـه بل كانت لها حضارتهـا وثقافتهـا المتميزه ، على الرغم من أن الحضاره العربيه تركت بصماتهـا القويه وواضحه فى تلك البـلاد .

وقد ساعد على ذلك اتصالها المستمر بالعالم الاسلامى والهجرات العربيـه الواسعـه واستقرار الأعـداد الكبيره فى القبائل العربيه وانصارهـم فى برنـو وعملهـم على نشر الاسلام وحضارتـه .

وكانت هناك عده عوامـل ساعدت على صبغ البلاد بالصبغـه العربيه الاسلاميه وتأثرهـا بالحضاره الاسلاميه منها أن برنـو ، قد ارتبطـت بعده روابـط قويـه مع كل البلاد الاسلاميه المعاصره لها . وأنها قد نوجئت وجنت ثمرات هذا الاتصـال مكان من جراء اتصالها بمصـر أن رحبـت مصر بطـلاب برنـو فى الجـامـع الأزهر وأفردت لها رواقـا عرف باسـم رواق البرنيـه وأجزل لهم السلاطـين العطـاء والمنح وساعدوهـم على اكتسـاب المعرفـه والحضاره الاسلاميـه العربيـه وذلك حتى اذا ما عادوا الى بلادهـم فانهـم يحفظـون لمصـر كرمهـا وفضلهـا العلى والحضارى وكان هؤلاء يتولـون قياده بلادهـم فمنهـم

من يتولى الأمور القضائية والادارية والتنظيمية ، ومنهم من يتولى شئون التعليم والأمانة والوعظ والافتاء .

ورحبت برنو بتلك الثقافة الاسلامية العربية وعملت من جانبها على أن تشارك مصر فى أداء رسالتها الثقافية والحضارية والقائمة على مذهب الامام مالك. وتجلى ذلك واضحا فى قيام أهل برنو بانشاء مدرسة بالقاهرة كانت من أشهر المدارس بها . وعرفت بمدرسة بنى رشيق ، وذلك لكى تؤدى هذه المدرسة رسالتها الاسلامية ولكى تشارك قلعة الحضارة العربية ومنارة المعرفة من تثقيف أبناء السودان الذين يوفدون اليها بالتزود للثقافة العربية الاسلامية .

ولم يقف حكام مصر وسلاطينها موقفا سلبيا من أهل برنو بل عملوا على توفير الراحة والاستقرار للتجار الكارمية فنجد السلطان العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى ، يأمر ببناء فندق للتجار الكارمية على ساحل نيل مصر ببولاق . وذلك لكى يكونوا لهم مقرا وكانوا يسترحون فيه . ولكى يستطيعوا أن يمارسوا نشاطهم التجارى . بل أكثر من ذلك فانهم منحوا التسهيلات اللازمة فى كل الموانى والبلاد الملوكية المصرية مثل الاسكندرية وعيذاب ودمياط وغيرهما من موانى البحر المتوسط والأحمر وسمح لهم باقامة نقابة تجارية عليها رئيس منهم ليدافع عنهم وعن حقوقهم . وقابل التجار الكارمية هذا الكرم بالمساهمة فى بناء اقتصاد البلاد وذلك بما كانوا يدفعونه من ضرائب وتبرعات وما كانوا يقومون من أعمال التعمير والانشاء وفى المساهمة فى تحمل نفقات بعض الحملات الحربية من أعداء مصر .

وذلك لما كانوا يتمثلونه فى مصر وكونها قلعه الحضاره الاسلاميه وحصن الاسلام والعروبه . وأيضا فقد حفظ ديوان الانشاء المصرى نماذج لمكاتبه سلاطين برنو وهذا دليل قوى على عمق الصلات والروابط بل ان السلاطين مصر كانوا يتابعون الأحداث التى تجرى فى برنو وفى غيرها من بلاد السودان الغربى والاوسط وذلك لما كان لهم من نفوذ سياسى واسع فى تلك البلاد . ومن هنا فان مصر استحقت النره الوقوره والعظيمه التى كان ينظر بها اليها سكان برنو . وليس أدل على ذلك الرساله التى بعث بها سلطان برنو مع ابنه عمه صحبه قافله للحج الى سلطان مصر المملوكى السلطان الظاهر برقوق فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى (١٣٩٣) يشكو فيها عرب خدام . وهجومهم على بلاده وساعدتهم أعداء البلاله على قتل السلاطين وطردهم من ديارهم دوار أجدادهم . ولهذا كانت الدافع الى ارسال تلك الرساله ما كانت تتمتع به مصر فى مكانه عاليه وقدره على تأديب خطأ لاء الأعداء الذين نشروا الفساد على أرض برنو كما جاء فى رساله سلطان فى البلاد .

وكان لموقع مصر فى طريق الحج دور هام فى الاتصال مع برنو ذلك أن سلاطين برنو وحكامها وأمرائها كانوا يخرجون كل عام فى موكب حافل الى الأرض الحجازيه وأنهم كانوا يمرون بمصر ويستقرون بها فتره من الزمن ينالون فى ثقافتها وحضارتها وذلك لأن الحجاج برنو وبقيه بلاد السودان يقصدون مصر متطلعين ومتشوقين لمشاهده ذلك المركز الحضارى المشع من جميع جوانبه وكان المرور بمصر والاستقرار بها من احدى الدوافع على حرص سلاطين برنو على القيام بتأديتهم فريضه الحج وذلك لأن برنو كانت

من أول البلاد السودان التى دخلها الاسلام وكان سلاطينها أسبق سلاطين السودان الى تأديه فريضه الحج كانوا أسبق من مالى وسنغالى وغانا .

وليس أدل على حرص سلاطين برنو على تأديه تلك الفريضه فى وجود بعض السلاطين قاموا بتأديه جزء الفريضه ثلاث مرات منهم السلطان . على بن الحاج عمر (١٦٤٨ - ١٦٨٤ م) والذى قام بتأديه تلك الفريضه فى أعوام ١٦٤٨ . ١٦٥٦ . ١٦٦٧ م وكان من جراء تلك الاتصالات أن وفد على برنو كثيرا من العلماء المصريين صحبه القوافل الحجاج وحلت الكتب الدينيه والاسلاميه التى كانت تدرس فى مصر الى مدارس ومراكز برنو العلميه .

ولم ترتبط برنو بمصر فقط بل ارتبطت لكل من ليبيا وتونس ومراكش وذلك لأن هذه البلاد كانت منفذها الى العالم الخارجى وكانت الطرق الصحراويه الممتده عبر الصحراء هى حلقه الاتصال والتى ساعدت على قيام الصلات وطيده بينهما وقد تجلى على ذلك اتصال سلاطين برنوا لهدايا و السفارات الى كل من حكام ليبيا وتونس والمغرب .

وارتبطت بلاد غرب القاره وفد اليها العلماء من مالى وسنغاى ومارست برنو دورا سياسيا ونفوذا قويا على امارات الهوسا وسعت حدود غرب وفرضت سيطرتها على كثيرا من الاجزاء التى نفذتها سنغاى ومالى وأدت دورها فى مساعده تلك الشعوب ولم تقف مكتوفه الأيدى أمام الزحف المراكشى فى الشمال والذى أنهى وجود سنغاى عام ١٥٩١ م . وذلك بقيام السلطان ادريس الوما بارسال قواته العسكريه لمساعده أقاربه حكام سنغاى .

وارتبطت برنو بالأقاليم الشرقيه وادى واجرى وسودان وادى النيل ووجدت تتار

تدل على أن برنو فرضت نفوذ ها على دارفور وكردفان ، واتصلت ببلاد العراق والحجاز وتركيا .

وقام جيشها بفرض سيطرة برنو على الأقاليم المجاورة وذلك عن طريق الحملات العسكرية الكبيرة التي كان يقوم بها السلاطين وكذلك فان برنو ساهمت بجزء من قواتها العسكرية في الصراع الدائر في اقيم الأندلس بين المسلمين والمسيحيين وعبرت مضيق جبل طارق وقاتلت الى جانب قوات المسلمين .

وعملت برنو على نشر الاسلام ورسالته السامية بين الشعوب الوثنية التي كانت تسكن الى الجنوب والشرق منها . ورغم أن سكان برنو لم يكونوا أصل دعوة للاسلام الا أن تاريخهم كما أشار الى ذلك أحمد بن فرطو يشهد على أنهم بذلوا جهودا جبارة في نشر الاسلام وثقافة الاسلامية بين القبائل التي كانت تجاورهم وخاصة سكان الغابات الوثنيين وأن الحملات التي كان يقوم بها سلاطين البلاد لم تكن من أجل جانب الرقيق كما أشار الى ذلك الكتاب الفرنسيين المسيحيين . بل ان كل هذه الحملات كانت من أجل نشر الاسلام ورسالته السامية وليس أدل على ذلك من أن السلطان على غازي أول سلطان يدعم قوة برنو يخير أحد زعماء القبائل تهرها بين أعتاق الاسلام أو القتل ذلك الزعيم الذي الاسلامي عقيدة له ولقبيلته كذلك ألم يقبل السلطان ادريس الوما أقوى سلاطين برنو على يد أحد الوثنيين وهو يجاهد الكفار بكافة سكان الغابات وألن يكن هو الذي أرسل الى السلطان المغرب الأقصى يطلب الأسلحة النارية كن أجل نشر الاسلام عقيدتنا وجاهده الكفار كما أشار الى ذلك في رسالته المرسلة عام ٩٩٠ ق . هـ ١٥٨٢ م .

كذلك ألم يكن نظام الحكم القائم في برنو نظام حكم شورى قائم على أساس الشورى وذلك عملا بما جاء في القرآن الكريم وقوله تعالى . وأمرهم شورى

بينهم وقوله تعالى • وشاورهم فى الأمر وأيضا ألم تكن مكاتبات السلاطين ومراسيمهم وقوانيهم لتصدر باللغه العربيه وألم تكن نظم الضرائب والشئون الماليه للبلاد قائمه على ماجاء به الاسلام من ذكاه وجزيه وعشر كذلك ألم يكن جيش برنو يسير على نظم جاء بها قادته من الشرق والشمال الاسلامى وألم تكن الأسلحه والخيول وكل معدات وأدوات الحرب قادمه فى العالم الاسلامى •

من كل هذا تستطيع القول أن برنو ارتبطت بالعالم الاسلامى العربى ولو لم تكن الظروف الصعبه التى مر بها العالم العربى الاسلامى وما أصابه من ضربات على أيدى المغول • والتتار والصليبيون والمسيحيين فى الأندلس لكانت تلك المنطقه محل الدراسه اليوم جزء من العالم العربى الاسلامى الناطق باللغه العربيه لغه الضاد •

وأما كان هذا لا ينبغى وجود أعداد كبيره جدا اليوم من المسلمين والناطقون باللغه العربيه فى شمال نيجيريا •

((الملحق رقم "١"))

{ رسم المكاتبة الى سلطان برنو }

القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا

ج ٨ ، ص ٧

أدام الله تعالى ، نصر الجناب الكريم ، العالى الملك الجليل ، الكبير العادل ، الغازى ، المجاهد ، الهمام ، الاوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الاسلام ، شرف الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، ظهير الامام ، عضد أمير المؤمنين ، فلان ويدعى له بما يناسبه .

((ملحق رقم " ٦ "))

نص الرسالة المرسلة من سلطان برنو

" السلطان عثمان بن إدريس " الى سلطان مصر

المملوكي : السلطان الظاهر برقوق

القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا

ج ٨ ، ص ١١٦ ــ ١١٧

" بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، الحمد لله الذي جعل الخط ترسلا بين الاباعد ، وترجما بين الاقارب ، ومصافحة بين الاحباب ومؤنسا بين العلماء ومزعجا بين الجهال ، ولولا ذلك لبطلت الكلمات وفسدت الحاجات ، وصلوات الله على نبينا المصطفى ، ورسولنا المرتضى ، الذي أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ما لاحت البرق وما غاب الشروق الجليل ، ثم بعد ذلك ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك الاجل ، سيف الاسلام ، وربيع الايتام الملك القدام القائم بأمر الله ، المستنصر بالله ، المنصور في كل حين واذان ودهر وزمان ، الملك العادل ، الزاهد ، التقي ، الانجد ، الامجد ، المفخم فخر الدين ، زين الاسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكبراء ، كهف الصدور ، مصباح الظلام ، ابي عمر عثمان ، الملك بن ادريس الحاج امير المؤمنين ، المرحوم

كرم الله ضريحه وأدام ذريته . هذا اللفظ وارد على لسان كاتبنا لا لغة ولا نحوا .

الى ملك مصر الجليل . أرض الله المباركة . أم الدنيا . سلام عليكم . أطيب من المسك الاذفر . وأعذب من ماء الغمام واليم . أدام الله ملككم وسلطانكم . والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم الذين يدرسون القرآن والعلم وجماعتكم وأهل طاعتكم أجمعين .

وبعد ذلك فانا قد أرسلنا اليكم رسولنا وهو ابن عمي ادريس بن محمد . من أجل الجائحة التي وجدناها وملوكنا فان الاعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم قد سبوا احرارنا من النساء والصبيان . وضعفاء الرجال . وقرابتنا وغيرهم من المسلمين . ومنهم من يشركون بالله ويمرقون الدين . فغاروا على المسلمين فقتلوهم قتلا شديدا لفتنة وقعت بيننا وبين أعدائنا فبسبب تلك الفتنة قتلوا ملكنا عمر ابن ادريس الشهيد . وهو أخونا ابن ابينا ادريس بن ابراهيم الحاج . ونحن بنو سيف بن ذي يزن . والد قبيلتنا العربي القرشي . كذا ضبطناه من شيوخنا . وهؤلاء الاعراب قد أفسدوا أرضنا كلها في بلد بونو كافة حتى الان . وسبوا احرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم . ويختدمون ببعضهم . فان حكم مصر قد جعله الله في أيديكم من البحر الى اسوان . فانهم قد اتخذوا متجرا . فابعثوا الرسل الى جميع ارضكم

وأمرائكم ووزرائكم وقضاتكم وحكامكم وعلمائكم ، وصاحب اسواقكم يظلمون ويعسفون ويكلفون فاذا وجدوهم فلينزعوهم من أيديهم ، وليقتلوهم ، فان قالوا ، نحن احرار نحن مسلمون فصدقوهم ولا تكذبوهم ، فاذا تبين ذلك لكم ، فاطلقوهم وردوهم الى حريتهم وسلامتهم .

فان بعض الاعراب يفسدون في أرضنا ولا يصلحون ، فانهم الجاهلون بكتاب الله وسنة رسوله فانهم يتبعون الباطل ، فاتقوا الله وأطيعوه ولا تعطوهم ليسترقوا ويباعوا .

قال الله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم " وقال الله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " وكان عليه السلام يقول " السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم " وقال " المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا الى يوم القيامة " وقال " المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه الى آخره " وفي الحكمة ومن الفرائض الامر بالمعروف على كل من بسطت يده في الارض ، أراد به السلطان ، وعلى كل من تصل يده الى ذلك اراد بذلك القضاة والحكام والامراء ، فان لم يقدر فبلسانه ، اراد بذلك الفقهاء والعلماء ، فان لم يقدر فبقلبه أراد بذلك عامة المسلمين " .

اطال الله بقاءكم في أرضكم . فاوجروا الاعراب بالمهتدين من معوجهم .
قال الله تعالى " الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين
وقال عليه السلام "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وقال في الحكمة لولا السلطان
لاكل الناس بعضهم بعضا " وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام " يا داود أنا
جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله . أن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد . بما
نسوا يوم الحساب . والسلام على من اتبع الهدى " .

((ملحق رقم "٣"))

برنـــو وســــلاطينها

* من كتاب انفاق الميسور بذكر بلاد التكـــرور
لصاحبه : محمـــــد بلـــــو ، ص ١٠ .

برنو هي بلدة ذات أنهار وأشجار ، وبلاد واسعة عامرة بالمساكن قبل هــــذا الجهاد ولم يكن في هذا القطر أوسع منها ، وأكثر عمارة وسكانها البربر والعرب المذكورين والفلاتيين ، وفيها مماليك البرابرة الذين يعني قوى والجوش ، وهم الذين طردهم حمير من اليمن بعد افريقين قيس وسبب طردهم باليمن على ما زعموا ، أن افريقين قيس ، استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفساد فيها واستنصره عليهم وغزاهم ففتت جموعهـــم وسبا منهم ذراريهم ، ولما رأى نجدتهم استرق ذراريهم هذه مماليك ، يستعينـــــون بهم فلما مات وبقي برهة قاموا على حمير ، فاقتتلوا فطردهم حمير من اليمن ، واستوطنوا افريقية من ارض حبشة ، ثم رافوا كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجما تحـــــت حكم أخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا وظهروهم على البلد ، وأقبلت دولتهم أيام اختلاطهم البلد حتى ملكوا ، اقاصي البلاد من هذا القطر ، وكانت وادي وباغرمي قبل تحت سلطانهم وكذلك بلاد حوس بفتح الحاء والها من بلاد بوش بفتح الباء وإسكان الواو ثم عمت مملكتهم عليه حين من سلاطينهم كثيرون وظاهروا بالخير والاسلام واقامة الحدود والشريعة في أقاليمهم جدا ، وبقيت اثار الاسلام كثيرة ، وقد انتشر فيها الاسلام انتشارا فـــــي سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم ، بل لا يوجد في هذه البلاد عامة محققون بقراءة القـــرآن وتجويده وحفظه وكتابته مثلهم ، ولم تزل العامة هكذا حتى قام هذا الجهاد .

لكن حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم اليوم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون بالدماء على أبواب بيوتهم ولهم بيوت يحفظون فيها حيات وأفاعي يذبحون لها . ويعملون للبحر كما كانت تفعل القبط أيام الجاهلية .

ولهم في ذلك أيام يجتمعون فيها هم ووزراؤهم وسلاطينهم وأهلهم ولا يحضرها الا غيرهم ويسمون ذلك عادة البلد . ويزعمون ان ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ودرء المفاسد . فاذا لم تفعل تلك العادة بطلت مملكتهم وقلت أرزاقهم وضعفت شوكتهم وتوارثوا هذه العوائد . كابرا عن كابر . ولم يبلغنا عن أحد من سلاطينهم وعلمائهم بالقاما بلغوا . أبطل تلك العوائد الا ما كان من المؤمنين عن لا يشاركهم في أمورهم من الحرب والفلاة . فانهم لم يزالوا ينكرونهم على فعلها ويكفرونهم . ولا شك في كفرهم وأن كان علماؤهم يدعون أنهم لا يعبدون بذلك الاشراك . ولا يعتقدون . التأثير لهم كفار لان هذه الاصنام من الاشجار والمياه والاماكن التي يذبحون لها . كانت أصنام أجدادهم الذين لم يسلموا قبل فهم في ذلك مقلدون لانهم وأن تظاهروا بالاسلام والخير بعد ذلك لان الاسلام في هذه البلاد انما ورد به التجار والمسافرون . فأخذه من أخذه منهم . فمن الناس من خلص دينه كما يخلصون الناس من خلطه بما يناقضه وكان غالب ملوك هذه البلاد من هذه القبائل و لانهم أخذوا بالاسلام وهم يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون . لكنهم لم يتاركوا . أحوال أجدادهم الاولين ولم يتركوا من عوائدهم شيئا فكل من خالطهم علم بالضرورة أنهم يفعلون ما لا يصدر الا عن كافر فبعضهم من قبل التقليد وبعضهم من عند نفسه . قال شهاب الدين ابن تميم اليماني في الشهاب . من أهل السودان . قوم مسلمون . ومنهم قوم كفار . يعبدون الاشجار ومنهم كفار يعبدون الماء . .

((ملحق رقم "٤"))

نص الرسالة التي أرسلها السلطان

المنصور بالله أبا العباس ، سلطان المغرب الى سلطان

ترك السلطان ... ورسالتها في عام ٩٩٠ هـ ١٥٨٢ م

من كتاب : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ، لصاحبه

أحمد خالد الناصري ، ج ٥ ، ص ١٠٦ — ١١٠

الحمد لله الذي أعلى كلمة الحق منارا ، وسما في مطالعها النجوم ، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة ، غياهب الغباوة المدلهمة ، وسحائب الغواية المتراكمة ، ووضع على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر للفتاح كتاب التوقيت وأسجل للسعادة أجلها المعلوم وشرف هذا الوجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية ، والامامة الحسنية العلوية التي حركت الوجوه الى قبلتها المشروعة وأسعفها الحق بطلوع الصباح في مطالعها ، والى قضاياه لدعوتها المسموعة ، ونسخ بها ظلمة الفتراء دول السيف التي هي بسيف النبوة المرهفة مقطوعة ، وبلسان السنة مدفوعة ، ونوضحها مباني الادعاء التي هي على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث ، التي هي على مشاقة الله ورسوله تابعة ومتبوعة ، وقلع بظهورها على أعطاف الحنيفية السمحة رداء الفخر الفضفاض واستقل بتأييدها للدين الاحمدي ، سيف الانتقام والانتصاف ، وأنار للمدلجين بأسنها المروج بلسان الحجة الفضفاض ، وفجر للمؤمنين ينبوع رحمتها الجاري على حصاء عدلها الرضراض ، ومهد بسيفها الفتاء الآفاق ، والانظار فسيدا الأول من حكمه الاعتزاء ... مجلل بأنوارها المتألقة سدف الجهالة

التى أولاهم جودها ونعم وأسعد الوجود بيمنها والذى لبث فى أكناف مجدها ونعم وقضى

لها بتزاحم الارضون عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم • والصلاة والسلام على

مولانا محمد • الذى تضافرت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارعة • ونهج

للدين القويم طريق الحق العلى • وبادته القارعة عوضا لحق أمن به معاهد الهدى

النميرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه نبى الرحمة وشفيع الامة وعلى آله وأصحابه

الكرام أئمة الهدى ومصابيح الظلام والدعاء لمولانا العلوى الهمام أمير المؤمنين بن أمير

المؤمنين نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين وسليل الوحى والسجلين وبعد ••••••

فانه لما أذن الله فى ليل الجهالة أن ينجاب • وفى شمس الحق الوهاجة أن يرتفع

عنها السحاب • وفى القمر الغلق الجلباب • أن يعود الى الشباب وفى النجاح والاستقامة

أن يفتح لهما الباب • وفى الامارة أن تستند الى السنة والكتاب • وتتعلق من الشرع

بأسباب تدارك الله • سبحانه الوجود • وأمر العالم الموجود • وأسعطالت الانوار

المضيئة للانوار والتجوه بطلوع شمس الخلافة النبوية والامامة الهاشمية العلوية • فنافست

على أديم البسيطة أنوارها • وأرتفع الى حيث الهنا والفرقدين منارها • وابلج بالاصباح

نهارها ولاحت فى سماء المجد بدورها وأقمارها • وكادت تشتبه بنجوم السماء اتباعها

وأنصارها وانتشرت فى الآفاق والاقطار على البعد والقرب شائرها • وهزت عطف الزمان •

انتماء مناقبها وأخبارها • مفاخر مركبها على أكتاف العصور بسيبها الزاخر وتيارها

خلافة ينتمى الى النبوة عنصرها • وتتسلسل من رسالة الوحى أسطرها وينتاط بمرتفعها

الوسطى خنصرها • وأمامه على وليها • والله نصيرها والمستمد بدرها الذى حباه ظهيرها

وسريرها •

والحمد لله الذى أعطانى من هذه الدوحة النبوية الغناء والشجرة العلوية الهاشمية التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء . أماما التى الله له فى القلوب حبا جميلا . ووليس جعله الله على مرضاته سبحانه دالة ودليلا وخليفة أسعداه فكان بحسن الرعى . لخلقه وجاه . كفيلا . واتخذى من بأسه وسالته لحماية حوزة الشريعة حسامًا صقيلا . مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله فى الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين المفترضة طاعته على الخلق اجمعين والمعون بأمانته المقدسة على العالمين . بحر الندى وأبا سوجمة الله للناس . أمير المؤمنين . والمنصور بالله ابا العباس صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين . والائمة الطيبين الطاهرين . وغيهب بأنفاس القترة لحوده هم اجمعين أمامهم تهتز لذكره أعطاف المنابر . وتتقلد من شريف دعوته أبهى من تلك الجواهر . وتتعطر الانداء بالكيل عرفة الزاهر . وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر . أبقى الله أيامه الغر بقاء يصحب النصر دوامه . وخلد له ولأعقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة . ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته البهية وخلافته ولاحت فى سمائها شهب علائمه الشريفة الدالة على فخامة شرفه وأصالته وثبتت لجده الايات البينات التى تشهد له بتراث الرسالة وتقضى له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة وأوضح الله سبحانه للناس من حسن أعتاد وجوب طاعته والاقتداء بامامته والانقياد لدعوته وطلبه بمقتضى ما جاء به كتابه الحكيم وورد به سنة نبيه الكريم . كما قال عليه السلام " لا تزال الخلافة فى قريش ما بقى منهم اثنان " وكما ورد فى صحيح الخبر ان الخلافة فى قريش والقضاء فى الانصار والحبشة الاذان ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان فلا تاكر ان ليرى المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله فى شأن تشخيصه لهل الشرع أنه امام الجماعة حقا المقتفى

ميرطها والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها وأن القائم بهذا
الامر على الاطلاق غيره هدى ومحاولة من اذنه الشرع بدعى . ويتعين لذلك أن الرجوع
الى الحق فريضة واستهان بها تغرير وعلم أن امارة الاتفاق فى الشرع محلها المشروع منوط
بواوضة . ويوجبها لذلك منطوقه ومفهومه . فاتفقت باليقين الاثار وصحيح الاخبار وستنصرف
الى ارضا الله العناية ويقف من الشرائع المشروعة حيث مراتب الرواية ومنتهى الغاية .

الوصى ابو العلاء ادريس أيده الله انتداب من وضحت به محبة التوفيق على حضرة
الاخلاص والتصديق وأخذ عزائمه السعادة والى حيث الفوز . برضا الله ورضا رسوله حقيق
موالتأييد صاحب ورفيق ومن الامال انيق . وباب الراحة والاطمئنان هي الى تقلد
أمام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا وتعظيما التى تؤسس أن عاه
الله على تقوى الله ورضوانه وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمن . وآثر اسعده الله أن .
يؤدى فرضها المعتد به من فروضها عان وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام
الى القاصى والدان . وينشر سنتها المشروعة فى مقصده وما يليه من الاصقاع والبقاع
بالسودان فلذا يستحق أن شاء الله بأثاره ويتشرف به للعز المكين على مثاره ويحمد
به والجميل جزوة ناره وينتظم به فى اتباع الحق زمرة أنصاره ويجلى به صورة انسانه ويكوكب
من الله عوارف صبغة وأحسنه ويرهف به للعدو على الغربات حد سيفه وسنانه ويسرع
به لرضا الله بابا بالقبول ويتضاعف له ببركته العمل المقبول . ويستنشق بمشهد عقدها الكريم
نواسم النبوة ويجود لديه الزمان للعباب والنخوة ويرفع ره مناع الامارة على قواعد الشرع .
الوثيقة ويعدل به فى كل الاحوال عن المجاز للحقيقة . وتتسنى له به وجوه المقصد والاسنى

والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بآبائه بنى العباس السفاح والمنصور والمهدى سنتها

التى نقلها ثقات الاعلام وأصدور فى صحيحها الامام الخليفة ابا مهدى الاكبر ، سليـــل

سيد المرسلين محمد مولانا امير المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه يرث الخلافـــة

النبوية أدلى أحق فى منصب الامامة على شرطها اعرف ، وسيرها ومنبرها الشريف فلكه

للمعتقد بما كتبه الله بهذه الاثار الشريفه ، والمناصب المفيضه العلم والقصد ، وأنجز لــه

فيها اراده صادق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد فتابعه اهل الله بعده علـــى

الامن والامانة ، والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد للمجد اركانه ، مبايعة شاهـــدة

على عقدها الكريم ، أكرمه الله اتباعه وجميع أشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والمواثيق المشدده

الوثاق ، وجميع الايمان الصادقة الايمان ، وأعطوا بها صفقة ايديهم ورفع بها الضميرة

عاديهم ، طالبين ان يد الله فيها فوق ايديهم وأمضوها على السمع والطاعة والاعتصـــام

فى سلك الجماعة ، أخذاء يدينون به فى السر والجهر ، واليسر والعسر ، والرخاء والشدة

والايمان المعقدة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جمعا ونوعا بنيات خالصة صادقة

وقد قابلت الله لهم بالخير سابقة وسعادة بالحسنى لا حقة ابرموا عقدها وأحكمـــوا

عقدها ، وعهدها ، على حكم الكتاب والسنة والجماعة والاخذ بحقيتها وأعطاها من اعقـــاب

وأعقابها الى أعقاب الى يوم القيامة واقتراب الساعة لا يلحق عقدها الكريم فسخ ولا يعقبــه

بحول الله فسخ ولا يطرق اليه تقصير ولا نكث ولا يشوبه شوائب الشبهات بحيث ، وأجمـــع

على هذا أسعده الله بالمواثيق المستفيضه والايمان اللازمة المغلظة هو وأتباعه أجماعـــا

شرعيا ، وختموه على أنفسهم ختما مقضيا وأخذوه وأعتقدوه ابديا ورضوا على التزامـــه

يشهد عقدة المبارك افرادا وأزواجا ، ووحدانا وأفواجا وأشهدوا على الولاء به بأيمانهم

الصادق البرور ، ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين بالله الذي لا اله الا هو الملك
الحق ومن العليم بالخفيات والخبير بالاجال والوفيات وبجميع الرسل الكرام والانبياء وملائكة
الرحمن في الارض والسماء على أنهم أن حادوا عن هذا السبيل وانقادوا عليه عاد وامي
التعديل ، أو انحرفوا عن المنهاج وسننه فهم براء من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته
ومستوجبون لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ومن شفاعة نبيه الكريم
يوم القيامة لامته ، وأنهم خالعون لربقة الاسلام وخارجون من سنة الرسول عليه السلام ،
اعلنوا بهذا اعلانا تقصد به التجوى وادوه بشروطه الجاريه ، على مذاهب التقوى وأحكامه
اللازمه لكلمة التقوى استرضاء للمولى الخلافة النبوية الامامة العلية ورياضة للنفوس
على بيعتها المباركة الميمونة التقية واستيفاء لشروطها واتمامها الواجبة المستحبة
والمندوبة مبتهلين الى الله بالقلوب الخاشعة ومتضرعين الى بابه الكريم بالادعية
النافعة في أن يعرفهم خير هذا القصد الكريم والعهد العميم بدأ وختاما وأن يمنحهم
بركته تصحبهم حالا ودواما ، لا رب غيره ولا خير الا خيره وأشهد على نفسه وعلى بيعته
الرئيس ابو العلاء ادريس ، أسعده الله وأكرمه ، وبتاريخ المحرم الحرام عن
عام تسعة وتسعمائة من الهجرة النبوية ، انتهى .

المصادر العربيـــــة

١- الادريسي (محمد بن محمد ت ٥٦٠ هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ليدن ، ١٨٩٣ م .

٢- ابن بطوطه (ابوعبدالله محمد بن عبدالله ، ت ٧٧٩ هـ)
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ٢ جزء . القاهرة، ١٩٣٨ م .

٣- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد ، ت ٨٥٢ هـ)
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . الهند ، ١٣٥٠ هـ .

٤- ابن حوقل (ابوالقاسم) . صورة الارض ، ليدن ، ١٩٣٨ م .

٥- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ، ت ٨٠٦ هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ

٦- ابن دقماق (ابراهيم بن محمد ، ت ٨٠٩ هـ)
الانتصار بواسطة عقد الامصار . القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

٧- ابن سعيد المغربي . بسط الارض في الطول والعرض . تطوان ، ١٩٥٨ م

٨- الاصطخري (ابواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي)
المسالك والممالك . القاهرة ، ١٩٦١ م .

٩- التنبكتي (محمود كعـــت) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس .
باريـــس ، ١٩١٣م.

١٠- التونسي (محمد بن عمر)
تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ، مصطفى مسعد ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١١- الدمشقي (شمس الدين ابي عبدالله محمد)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحـر . ليبزج ، ١٩٢٣ م.

١٢- الزياني (سليمان رصد الحنفي)
كنز الجوهر في تاريخ الازهر . القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

١٣- السلاوي (احمد خالد)
الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى . الدار البيضاء ، ١٩٥٥ م .

١٤ـ السيوطي (جلال الدين بن عبدالرحمـــن ، ت ٩١١ هـ)

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهـرة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ٠

١٥ـ عبدالرحمن السعدي : تاريخ السودان ، باريس ، ١٨٩٨ م ٠

١٦ـ القلقشـندي (احمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) ٠

صبح الاعشي في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩١٤م٠

١٧ـ محمد بلـو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، لندن ، ١٩٥١ م ٠

١٨ـ المسعودي (أبوعبدالله محمد الباجي)

الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تونس ، ١٨٦٦ م ٠

١٩ـ المقدسي (محمد بن محمد ، ت ٣٨٠ هـ)

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦ م ٠

٢٠ـ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ)

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ٠

ـــــــــــــــــــــــــ

المراجع العربية والمعربة

١- ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٢- ابراهيم على طرخان : الاسلام واللغة العربية فى غرب افريقيا (مقال) مجلة اداب القاهرة ، العدد ٢٧ .

٣- ابراهيم على طرخان : البرتغاليون فى غرب افريقيا (مقال) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٥ .

٤- ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى أمبراطورية كانم - برنو ، الخرطوم .

٥- احمد سويلم العمرى : الافريقيون العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٦- أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية (رسالة ماجستير) . اداب القاهرة

٧- ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٨- بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٩- حامد عمار : علاقة مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى (رسالة ماجستير) اداب القاهرة ، ١٩٤٥ م .

١٠- حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، القاهرة ١٩٥٨ م .

١١- حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

[illegible]

١٢- ديفان مونير : الديانات فى افريقيا السوداء ترجمة احمد صادق حمدى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣- سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى (رسالة ماجستير) ، أداب القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٤- سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

١٥- سليجمان : السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف سعد ، القاهرة ١٩٥٩م

١٦- شوقى الجمل : تاريخ العلاقات المصرية الافريقية . محاضرات معهد الدراسات الافريقية . القاهرة . ١٩٧٢/٧١ م .

١٧- شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل . ٢ جزء . القاهرة . ١٩٧٢ م .

١٨- شريف محمد شريف : توطين العناصر الافريقية فى السودان (مقال) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٤ .

١٩- صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى (مقال) المجلة التاريخية العدد الثانى . القاهرة . ١٩٥٢ م .

٢٠- صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء . القاهرة . ١٩٦٠ م .

٢١- دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو .

٢٢- عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . القاهرة . ١٩٥٩ م .

٢٣- عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا . القاهرة . ١٩٥٨ .

٢٤- عبد الرحمن زكى : افريقيا الاسلامية . القاهرة . معهد الدراسات الاسلامية .

٢٥- الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط . القاهرة ١٩٧٢ م .

٢٦- عبد الرحمن زكى : جمهورية نيجيريا الجديدة (مقال) . مجلة المجلة . العدد ٤٧ . ١٩٦٠ م .

٢٧- عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول . القاهرة . ١٩٤٧ م .

٢٨- عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقى . الخرطوم . ١٩٧٢ .

٢٩- عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان . القاهرة . ١٩٥٣ م .

٣٠- عبد المجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربى فى أفريقيا . القاهرة .

٣١- عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة . ١٩٧٣ م .

٣٢- علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا (رسالة دكتوراه) ، اداب القاهرة ، ١٩٦٨م.

٣٣- ليون جوستاف : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٣٤- محمد عبدالمنعم خفاجي : الازهر في الف عام ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .

٣٥- محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٣٦- محمود ابوالعلا : دراسات في جغرافية العالم الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٣٧- مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٣٨- مصطفى مسعد : سلطنة دارفور (مقال) المجلة التاريخية ، العدد ١١ ، ١٩٦٣م

٣٩- مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلان ، الاصلاحية في غرب افريقيا ، (مقـــال) مجلـــة جامعة ام درمان ، العدد الاول ، ١٩٦٨ م .

٤٠- مكي شبيكه : السودان عبر القرون ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٤١- مكي شبيكه : مملكة الفونج الاسلاميـــة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٤٢- محي الدين خليل : لغة البقارة في غرب السودان (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة

٤٣- محمد عبده محلوف : الاسلام في غرب افريقيا (مقال) مجلة نهضة افريقيا ، العـــدد ٢٤

٤٤- نعيم زكي سليمان : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصـــور الوسطى (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة .

٤٥- نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام . ١٩٦٩٥م

٤٦- نقولا زياده : الرحالة العـــــرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٤٧- آدم متز ، ادم : الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة / محمـــــــد عبدالهادي ابوريده ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٤٨ - وزارة الاوقاف وشئون الازهر : الازهر تاريخه وتطوره ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

=====

ثانيا : المراجع الأجنبية

1. Anderson, J.A., Islamic Law in Africa, London,1964.
2. Alexander, B., From Nigeria to Nile.
3. Arkell, A.J., A history of the Sudan.
4. Ahmed Ibn Furtua: History of Mai Idris Alooma of Bornu.
5. Barth, H.: Travels in North and Central Africa. 3 vols., London, 1965.
6. Bovill, E.W.: The golden trade of Moors, London, 1958.
7. Bovill, E.W.: Carvans of the old Shara, London, 1933.
8. Carbou, H., Le region du Tchad et du Ouadai, Paris,184
9. Coleman, J.: Nigeria, Back ground to nationalism, Berkeley, 1960.
10. Cooley, W.: The Negro land of the Arabs, London, 1891.
11. Columbia Encyclopaedia.
12. Crowder, M., The story of Nigeria, London, 1955.
13. Denhom, and Clupperton, Travels in Northern and Central Africa, London, 1926.
14. Encyclopaedia Britannica, Art. Kanem. Chicago, 1960.
15. Encyclopaedia of Islam, Art. Bornu.
16. Hodgkin, T., Nigerian perspectives, London, 1960.
17. Hogben, J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, London,1930.
18. Gervis, P, of emirs and pagans, London, 1962.
19. Johneston, H., A History of colonization of Africa.
20. Kuper, H., Urbanization and immigration in West Africa, Los Angelos, 1965.
21. Leo Africanus: A History and description of Africa.
22. Lyon, G., Travels in Northern Africa, London, 1821.
23. Macmichael, A.H., A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., London, 1922.

24. Mcewan, J.H., Africap from the early time to 1800.

25. Meck, C.K., A Sudanese Kingdoms, London, 1931.

26. Meeh, C.M., The Northern Tribes of Nigeria, 2 vols., London, 1952.

27. Meak, C.K., Tribal of Studies in Northern Nigeria, 2 vols., London, 1931.

28. Murdack, G.P., Africa, its people and their culture History, New York, 1959.

29. Halt, The Cambridge History of Islam, 2 vols., Cambridge,19

30. Mandour El Mahadi, A short history of the Sudan, London,196

31. Oliver, R., The dawn of African history, London, 1951.

32. Oliver, and Fage, A short history of Africa, London,1965.

33. Palmer, R., The Bornu Shara and Sudan, London, 1936.

34. Palmer, R., Sudanese memoires, London, 1967.

35. Shinnie, M., Ancient African Kindgoms, London, 1968.

36. Trimingham, J.S., A history of Islam in West Africa, London, 1962.

37. Trimingham, J., Islam in West Africap London, 1959.

38. Trimingham, J.S., Islam in the Sudan, London, 1949.

39. Trimingham, J.S., The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

40. Trimingham, J.S., The Christian Church and Islam in West Africa.

41. Urvoy, I., Histoire de l'empire de Bornu, Paris, 1949.

42. Urvoy, J. Histoire des populations du Sudan central, Paris, 1936.

43. Lebouf, A., Les population du Tchad, Paris, 1959.

44. Vischow, H., Across the Shara from Tropli to Bornu.

45. Word, E.W., A history of Africa, London, 1960

46. Lewis, L. M., Islam in Tropical Africa, London,1966.